
1409
FEYZULLAH







١٩٥ ٢١ تاريخ العتبى

1417

تاريخ العتبى للعالم الكامل المنشى ابى النصر محمد بن عبد الجبار الشاعر
اليمنى فى تاريخ عين الدوله محمود بن سبكتكين صنفه فى سيرته
ووقايع الخوارزمية واحدج فيه وقايق
عربية ولطايف ادبية

[illegible]





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الظاهر باياته • الباطن بذاته • القريب برحمته •
البعيد بعزته • الكريم بالآيه • العظيم بكبريائه • القادر فلا يمانع
والقاهر فلا ينازع • والعزيز فلا يضام • والمنيع فلا يرام • والملك
الذي له الاقضية والاحكام • الذي تفرد بالبقاء • وتوحد بالعز
والسنا • واستاثر باحاسن الاسماء • ودل على قدرته بخلق الارض والسما
كان ولا مكان • ولا زمان • ولا ابدان • ولا ملك ولا انسان فاوجد
المعدوم ابداعا • واحدث ما لم يكن انشا واختراعا • جل وتعالى
فيما خلق عن احتذاء صورة • واستدعاء مشورة • واقتفاء رسم ومثال
وافتقار الى نظير قياس واستدلال • ففي كل ما ابدع وصنع • وفطر
وقدر • دليل على انه الواحد بلا شريك ووزير • والقادر بلا ظهير
ونصير • والعالم بلا تبصير وتذكير • والحكيم بلا روية وتفكير
والحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير • رفع السما
عبرة للنظار • وعلة للظلم والانوار • وسببا للغيوث والامطار
وحياة للحقول والقفار • ومعاشا للوحوش والاطيار • ووضع
الارض مهادا للابدان • وقرارا للحيوان • وفراشا للجنوب ۝
والمضاجع • وبساطا للمكاسب والمنافع • وذلولا لطلاب الرزق
وارباب البضايع • واشخص الجبال اوتادا راسية • واعلاما بادية
وعيونا جارية • وارحاما للاجنة الاعلاق حاوية • وجعل البحار
مغايض لفضول الانهار • ومعابر لسيول الامطار • ومراكب لرفاق
التجار • ومضارب لمصالح الامصار • ومناجح الاوطار • تحوي من

الدر

الدر والمرجان نباتا • وتنبع من الملح الاجاج عذبا فراتا • وتقذف
للآكلين لحما طريا • وتحمل للابسين جواهر وحليا • واستخلف على
عمارة عالمه من انتجبهم من خلقه وآثرهم بالطاعة • ودبرهم باوامره
واحكامه • وكان اعلم بهم من ملايكته • حيث قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني
اعلم ما لا تعلمون • واقام عليهم مهيمنا من لدنه يهديهم الرشاد •
ويجنبهم الفساد • ويرجيهم الثواب • وينذرهم العقاب • ولم ۝
يقتصر على ما اقامه من الحجة • واوضحه من المحجة • حتى ابتعث الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين بالمعجزات الباهرة • والدلالات الزاهرة
واعين الى توحيده وبادين لتسبيحه وتمجيده • فازاح بهم العلة
وازال الشبهة • وافاد سكون النفوس • ونفى خلاج الشكوك واللبس
ولم يزل يستحدث من يشا من خليقته النفس • موسومين بسنن
الانبيا • ومثل من قام بعدهم على منهاجهم من الولاة والامرا •
حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبي المصطفى • الامين المجتبى الابطحي
المرتضى • محمد صلى الله عليه وعلى آله فارسله بالحق بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا • وجعل امته به افضل الامم
وكلمتهم اعدل الكلم • وملتهم اوسط الملل • وقبلتهم اسد القبل وسنتهم
اقوم السنن • وكتابهم اشرف الكتب • ووعدهم ان يكونوا يوم العدل
والقضاء الفصل شهدا على من يظهر الجحود • وينكر الواحد المعبود •
قال الله تعالى جده وهو اصدق القايلين • واحكم الحاكمين وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

النفس ظ

فنسخت بشريعته الشرايع • وبصنيعته الصنايع • وبدليله الادلة •
وبنده الاقمار والاهلة • وانتشرت نبوته مسنداة بالخلاص ملحمة
بالاخلاص معلمة بالتمام • مطرزة بالدوام على تعاقب الايام والليالي
لم يفرط فيها من شيء يقتضي تماما • ويستدعي رويته وانجاما • قال الله
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال • لاستقامته على غاية الاعتدال
وانتفائه عن عوارض النقص والاختلال الى ان قبضه الله تعالى
اليه مشكور السعي والاثر • مرضي السمع والبصر • ممدوح النظر
والظفر • محمود العيان والخبر فاستخلف كتاب الله وعترته في
امته الثقلين اللذين يحميان الاقدام ان تزل • والاحلام ان تضل
والقلوب ان تمرض • والشكوك ان تعترض • فمن تمسك بهما فقد
امن العثار • وربح اليسار • ومن صدف عنهما فقد اساء الاختيار ۝
وركب الخسار • وارتدف الادبار • اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى اله
ما انبلج الليل عن الصباح • واقترن العز باطراف الرماح • ونادى
المنادي حي على الفلاح • صلاة تكافي حسن بلائه وتضاهي سابق
عنايته • وتقضي فرض طاعته • وتقتضي فرض شفاعته وسلم تسليما
وبعد فان الملك والدين توأمان فالدين اس والملك
حارس وما لا حارس له فضايع وما لا اس له فمهدوم والسلطان
ظل الله سبحانه في ارضه • وخليفته على خلقه • وامينه على رعاية حقه
به تتم السياسة • وعليه تستقيم الخاصة والعامة • وبهيبته ترتفع و

الاس اصل البناء

الحوادث

الحوادث والفتن • وبابائه تحسم المخاوف والمحن • ولولاه لاختل
النظام وتساوى الخاص والعام • وشمل الهرج والمرج وعم الاضطراب
والهيج • واشرابت النفوس الى ما في طبايعها من التباغي والتباين •
والتفاضل والتمايز حتى يشغلهم ذلك عما يصلحهم معاشا ومعادا
ويقيم اودهم يوما وغدا • والى هذا المعنى يلتفت عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ما يزع السلطان اكثر مما يزع القران اذ كان
اكثر الناس يرون ظاهر السياسات فيردعهم خوف المعاقبة
وحذار المواخذة عن تنكب الجدد والعدول عن السمت المقصد
وقليل من يستقري آي كتاب الله بفكره ويتدبرها بعقله ويجعل
لنفسه منها اماما يهديه الى الاصلح • وينبهه عن الاقبح • فيكون مؤدب
نفسه • ومقوم ذاته ورايض اخلاقه وعاداته • ومعنى حديث عمر
رضي الله تعالى عنه منتزع من قوله تعالى لانتم اشد رهبة في ۝
صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فموضوع السيف
للعامة ومجموع القران للخاصة وان كان الجميع في معاينه ۝
مشتركا وباوامره ونواهيه مرتبطا غير ان العامي يرى السيف
فيرتدع • والخاصي يرى الحق فيتبع • وشتان ما بين مدبر ومسخر بغيره
ومهذب ومؤدب بنور رتبه • وقد كان يختلج في صدري معنى قوله
تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس صح وليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ۝ فجمعه بين الكتاب
والميزان والحديد على تنافر ظاهرها من المناسبة وبعدها قبل الرو

اشرأبت اي مد عنقه

والتمايز ع اودهم عوجهم

تنكبه تجنبه مختار

يقال فلان يراوض فلانا على امر كذا اي يداريه ليدخل فيه مختار

والاستنباط عن جوار المشاكلة والموانسة والمجانسة وسالت
عنه عدة من اعيان العلما بالتفسير والمشهورين منهم بالتذكير
فلم احصل منهم على جواب يزيح العلة ويشفي الصدر وينقع الغلة
حتى اعملت الفكر وانعمت التدبر فوجدت الكتاب قانون الشريعة
ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد ويفصل جمل الفرايض
ويتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام
والحدود وقد حظر فيه التعادي والتظالم ورفض فيه التباغي
والتخاصم وامر بالتناصف والتعادل في اقسام الارزاق المخرجة
لهم بين رجع السما وصدع الارض ليكون ما يصل منها الى اهل الخطاب
بحسب الاستحقاق بالتكسب دون التغلب والتوثب واحتاجوا
في استدامة حياتهم باقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال
آلة العدل التي يقع بها التعامل ويعم معها التساوي والتعادل
فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما ياخذونه
ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيهلكوا اذ لم يكن ينتظم
لها عيش مع سوغ ظلم البعض منهم للبعض ويدل على هذا المعنى
قوله جل ذكره والسما رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان
واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى
جعل السما علة للارزاق والاقوات من انواع الحبوب والنبات
فكان ما يخرج منها من اغذية العباد ومرافق حياتهم مضطرا الى ان يكون
اقتسامه بينهم على الانصاف دون الجزاف ولم يكن يتم ذلك الا
بهذه الآلة المذكورة فنبه الله على موقع الفايدة فيه والعايدة

به بشكر يرد ذكره ومعاينه فكان ما تقدم ذكره معنى الكتاب والميزان
ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة
للتعامل بالسوية انما يحفظ العام على اتباعهما ويضطر العالم الى
التزام احكامهما بالسيف الذي هو حجة الله تعالى على من جحد وعند
ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو بارق سطوته وشهاب نقمته
وجذوة عقابه وعذبة عذابه فهذا السيف هو الحديد الذي
وصفه الله تعالى بالباس الشديد فجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعو
متداينة الجنوب محكمة المطالع مقومة المبادي والمقاطع
فظهر بهذا التاويل معنى الآية وبان ان السلطان خليفة الله في ارضه
على خلقه وامينه على رعاية حقه بما قلده من سيفه ومكن له في ارضه
واحق الولاة بان يكون شريفا نبيها وعند الله كريما وجيها من كانت
عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين اوفر
واوفى ومجاهدته لاعداء الله المارقين عن شرايعه المارقين
دون حدوده وفرايضه بنفسه وماله ورهطه ورجاله اشرح
للصدور واشفى وقد علم ابنا البدو والحضر وانشا المدر
والوبر من حيث مد الصباح جناحيه الى ان ضمهما للوقوع في افق
الغروب ان راية الاسلام لم تظل على سلطان احسن دينا واصدق
يقينا واوسع علما واوفر حلما واسد سيرة واخلص سريرة واتم
وفا واعم سخا واوفى واوفر حجا واغنى غنا واعظم قدرا وافخم
ذكرا وامد باعا واشد امتناعا واجل جلالة واكمل عدة وآلة
وارفع ملكا وسلطانا واطوع انصارا واعوانا واروع سيفا وسنانا

واحمى للاسلام وذويه وابغى للشرك ومنتحليه واعدى للباطل
ومن يليه اكتسابا ووراثة وطباعا واستفادة من الامير السيد
الملك المؤيد يمين الدولة وامين الملة ابى القاسم محمود بن ناصر
الدين ابى منصور سبكتكين رحمه الله ملك الشرق بجنبيه والصدر
من العالم وبديه لانتظام الاقليم الرابع بما يليه من ثالث الاقاليم
وخامسها فى حوزة ملكه وحصول ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة
فى قبضة ملكه ومصير امرائها وذوى الالقاب الملوكية من عظمائها
تحت حمايته وحياطته واستذرائهم من آفات الزمان بظل ولايته
ورايته واذعان ملوك الارض على بعدهم لعزته وارتياعهم من
قابض هيبته واحترامهم على تقاذف الديار وتناجز الانجاد والاغوار
من فاجئ ركضته واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره
واقشعرار ذوائبهم لمهب الرياح من ارضه وقد كان ادام الله دولته
منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام
واستغنى بالاشارة عن الافهام مشغول اللسان بالذكر والقران
مشغوف النفس بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالى الامور
معقود الامنية بسياسة الجمهور لعبه مع الاتراب جد وجده
مستكد لما لا يعلم حتى يفتله خبرا ويجرب لما يجربون حتى يدمثه
قهرا وقسرا وكان الامير الماضى انار الله برهانه يرى الدنيا بعينه
ويسمع باذنه وينطق بلسانه ويستحلى نداوة العيش به ويستطيب روح
الهواء بقربه ويستفتح مغالق الامور بيمنه ويستحمد عواقب الخطوب
بايمنه ولم يزل بين سحره ونحره الى ان استنزلته رؤية البلوغ ○

وبصيرة

وبصيرة الادراك عن حجره ولم ينفك يتدرج بين الطائفة ○
وكرامته وولايته واقطاعاته من رتبة الى اخرى اعلى منها
مكانا وارفع شانا الى ان ولى قيادة الجيوش والعساكر نحوا
من الرتبة التى طالما تناحر عليها اكابش الرجال وقروم الابطال
فلم يحظ بها الا العدد اليسير الذين سار ذكرهم فى الافاق ○
وتسامع بهم رحالات خراسان والعراق سناء وقدرا ودهاء ونكرا
ومهابة وحشمة ونباهة ونعمة هذا على طراءة سنه ونضارة غصنه
وعنفوان امره وريعان شبابه وعمره **كما قال الكميت**

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته اذ ذاك فى اشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به همم الملوك وسورة الابطال

وهلم جرا الى ان ملك خراسان باسرها وزاولستان عن آخرها
وبلاد نيمروز بحذافيرها وجبال الغور على حصانتها وروح السند
فاستباحهما وغزا المولتان فاجتاحها وتوغل الهند عودا على بدء
فنكأ جراحها واذل لقاحها وجاس مغانيها ورباعها وافتتح صياصيها
وقلاعها واقام عن بيوت الاصنام مساجد الاسلام وعن مشاهد
البهتان معاهد التوحيد والايمان فصارت لاطفال الهند
فى بطالاتها باقدامه وتفزع باقبال الويته واعلامه وظل ابدا
وحيالهم وكماتهم وابطالهم **كما قال اشجع السلمى فى نحوه** شعر

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام

وحاز الله له من البسطة فى العلم والحلم والهيبة بالاسم والجسم

والظفر باجابيش الاعداء في وقايع يعز صبر النفوس على امثالها
وتكاد الارض تمور من اهوالها مما لم يسمع بمثله خبر لاحد من الملوك
الا عن اساطير الاولين اريد بها التطويل والتهويل والتعجيب والتغريب
دون الحقيقة التي يشهدها العيان ويقوم عنها البيان والبرهان
فلو نشرت صحايف الدول الاسلامية وايام الملة الحنيفية لكانت
دولته غرة تلك الدول ومساعيه فيها طراز تلك الحلل اذ لم
يقتن احد من سلف الملوك من غر المآثر وزهر المناقب والمفاخر
ما اقتناه هو بنفسه وابيه ومساعيه ولما خار الله له كرايم الخصال
ووفاه طبع المكبال في معاني الكمال سياسة ازرت باردشير في
زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خفقت لها اجادب الليالي
النايمة وخمدت عليها عيون الاراقم العارمة وعدلا ضم به بين
الضدين حتى النار الى الماء والف بين الذياب الطلس والشاء
فكفيت لانياب شبا الاطراف والقرون صلابة الاجواف ○
وكانت ايامه مشغولة بثمر السياسة عن حلو ثمر الدراسة وبفروض
السيادة عن نفل الاستفادة ولطف الله سبحانه وتعالى له باولاد
كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر بل
العقبان الكواسر من لم تر مثلهم الالحاظ اشخاصا نوادرهم فخامة
وجلالة وسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا وعلوما
وادابا ولفظا وكتابا وحفظا وحسابا واخلاقا قاهرة وبذا بانعم
وصرامة ومضا وشجاعة واباء وسيادة وعلاء ونجابة ورئاسة
ونبالة ونفاسة وابالة وسياسة واسامة وحراسة وفروسة

وفراسة

وفراسة فجمع الله له بين تمام السعادة وقصر عليه ادوات السنا
وقيض الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن لوزارته
وتدبير امور مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة من احرار
الرجال واباء الفعال فلم يطبع مثله على غرايزه ولم يصنع سرواه
في مضمار سجاحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كف وفصاحة قلم
وهمة ترى الدنيا هباة بين اجوائها الثايرة بل نقطة موهومة من
نقط الدايرة وغدت سدته سوقا نافقا للفضل واهله وسوقا
للادب ومنتجعيه تجلب اليها بضاعات الفضايل بين منظوم ومنثور
ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات الادباء والكتاب تصانيف
في ذكر ابائهم وتصاريف احوال الزمان بهم بحسب فنونهم في البيان
وسهمتهم من بلاغة الخاطر واللسان حتى ان ابا اسحاق ابراهيم بن
هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار الديلم موشى
بحبر الفاظه الساحرة ومغشى بحلل معانيه الزاهرة فحل عقد
البيان بما قدم وبيض وجه البلاغة بما سوده وان تكفل وله يتفق
اثبات محاسنها بالتخليد وتقييد مآثرها بالتابيد فهذه هي التي
تقتضي الادباء ان يخلدوا ابتغوا بمعالمها كلامهم ويجلوا بحبر
مساعيها اقلامهم ولو ادركها الماضون من ارباب التصانيف
لودوا لو كانت الفاظهم عن غيرها معزولة والى ذكر محاسنها منقولة
ولحدثتهم انفسهم بان يعتذروا اعتذار ابي نواس بقوله **شعر**

• اذا نحن اثنينا عليك بصالح فانت الذي نثني وفوق الذي نثني
• وان جرت الالفاظ يوما بمدحة لغيرك انسانا فانت الذي نعني

وقد كنت اقدر ان بعض صنايع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعة
وتوجه في طرق البراعة برتاح لتقييد اخبارها وجمع كتاب في تصاريف
احوالها واطوارها من لدن قام الامير الماضي انار الله برهانه
امير الى ان اجلى ابا علي محمد بن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن خراسان
كسيرا وحصله من بعد في يده اسيرا وولي امورها سياسة وتدبيرا
وما تقدر له في اثناء ذلك كله من اعانة الامير الرضي ابي القاسم
نوح بن منصور رحمه الله ونصرته واستجابة ما لطف اليه من دعوته
والمدافعة عن بيته وخطته واستيفاء ما فضل عن ذوبان الترك
من ولايته وكفهم بترغيبه وترهيبه عما زاد حشمته واستباحة
ما سلم عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه الاولى طالما
صنعوا الصنايع واودعوا الودايع وبثوا العوارف والرغايب
وانفقوا الاموال حتى كنزوا المحامد وعرفوا اللهوات اقدارها
وحفظوا على البيوتات اسرارها وقضوا النفوس المتطلعين
اليهم اوطارها الى ان ورث السلطان المؤيد يمين الدولة
وامين الملة مكانه فخلفه في ترتيب الامور وتدبير الجمهور وتألف
الاخوة والاقارب واستمالة القلوب ببذل الرغايب الى
ان استقل به سرير الملك مطاعا وناهضت ولاة الاطراف
الى بيعته سراعا فوجدتهم قد عدلوا الى معانيهما على ما سار في
اكناف الحضرة من الاشعار الفارسية لازدحام شعرايها على بابه
الرفيع بقصايدهم التي قد عبروا بها في ديباجة الرودكي وصنعة
العنصري والدقيقي ولعمري انها كافية شافية ومن وراء

الاشباع والاقناع آتية ولكنها دواجن خراسان لا تعرف عن
ديارها ازتحالا ولا تالف غير اقطارها مجالا فاقتضاني احكم
ما اسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمته وتعرفته ايام الامير
الماضي قدس الله روحه من بركة اصطناع ونعمه ثم ما رسمه
لي الامير ابو احمد محمد بن يمين الدولة وامين الملة ان اسمع
اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كتابي البيان
يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون به
عجايب آيات الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال
الى حال بشيء يا بذكر الامير الماضي اكرم الله مآبه من حيث نشأت
نبعته وتفرعت دوحته الى ان استعان به الامير ابو القاسم
نوح بن منصور برد الله مضجعه في تلافي دولته والانتقام له من
ابي علي بن سيمجور حين نزع يده من طاعته واستجره بغي مسئلته
عمن دار اقامته لكفاية ما دهاه من امره واهم من طابقه من الترك
على حقوقه واطعمهم برسايله ووسايله في بور دمملكته وما
جرى على يده من الفتوح المأثورة والمقامات المشهورة ومتبعا
ذلك بلواحقه من وقايع السلطان الاجل يمين الدولة وامين
الملة في الهند والترك والخلج وما اتيح له فيهما من النصر والفلج
وما يتصل بها من اخبار واخبار ولاة الاطراف في جوارهم والله
ولي المعونة على درك المنشود واصابة الغرض المقصود بمنه

ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمه الله

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جملة ابي النفس حمي الانف

الذين ظ

العوارف ... عارفه ... اللهوات ...

تعرفت ما عندك تطلبت حتى عرفت قاموس

الفلج الظفر والظفر واللام الضم قاموس

والموالاة

جريء القلب قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كبير الهمة كثير
الحكمة يتبين ذلك كله في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه
وأحواله وحكى لي أبو الحسين جعفر بن محمد الخازن أنه كان
ورد بخارا أيام الأمير السديد منصور بن نوح في جملة أبي إسحق
بن البتكين صاحب جيوش خراسان وهو إذ ذاك حاجبه الكبير
ووجهه العزيز وعليه مدار أموره وبيديه مناظم شؤونه
وعرفه أركان تلك الدولة بشهامته وعفافه وصرامته ومضا
وتوسموا فيه الارتفاع إلى اليفاع بهمته وذكائه فحين صرف أبو
إسحاق إلى غزنة واليا عليها وسائر أسبابه بها انصرف هو بأ
نصرافه على جملته في زعامة رجاله ومراعاة أمور بابه فلم يلبث
أبو إسحق بعد معاودته إياها أن قضى نحبه وودع عمره ولم يبق
من قرابته وبطانته من يصلح للمحلة ومكانه واضطر العدد الدهم
من مواليه وموالي أبيه إلى من يتولى زعامتهم ويتكفل بحسن الإيالة
خاصتهم وعامتهم فلم يتكفوا مختلفين في الاختيار ساخطين عند
الاختبار إلى أن اجتمعت كلمتهم على تأميره واتفقت آراؤهم على الرضا
بتدبيره والإذعان لحكم تقديمه وتأخيره فبايعوه بأيمانهم طائعين
وحالفوه بأيمانهم متابعين فولي أمورهم برأي صليب وحزم عجيب
واهتمام شديد وقيام بمصالحهم حميد ولم يزل يركض بهم على أطراف
الهند غازيا مجاهدا أعداء الله الكفرة بها ومفتتحا قلاعها ومستخلصا
ديارها ورباعها ومحكما سيوفه في أهلها مؤمنا من أسلم وشهد وقاتلا
من أشرك وجحد وجرت بينه وبين عساكر الهند حين غزوا بأسرهم

وتضافروا

وتضافروا على مداهمته واستكفاف عاديته حروب لبس فيها
جلد النمر وارث نارها نار بث لمدمر وعض في معاناتها على جذم
التصبر وجافى الجنب عن الضجعة واقنع النفس بالطوى والخمصة
وامضى بحده مركب الجد وحث أصحابه ورفقاءه على لذة الأمنية
أو راحة المنية كأنما عناه عمرو بن الإطنابة الأنصاري بقوله

أبت لي عفتي وأبى بلائي · وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقدامي على المكروه نفسي · وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت · مكانك تحمدي أو تستريحي

وحكى لي رحمه الله في عرض ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته
وآثاره في العدو ونكاياته أني رافقتهم في بعض وقائعهم هؤلاء
الرفقاء ونحن في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا
وبهم ممارسة الحروب حتى أقوى الناس من الزاد وعجزوا عن
الامتيار والاستعداد ولم يكن أمامنا إلا السيوف القواضب
ووراءنا إلا المهامه والسباسب فضرجوا إلي بما دهاهم وسألوني
حيلة الثبات على ما عراهم فعرفتهم أني كنت استصحبت كاصيتي على
سبيل الاستظهار صدرا من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم
بحد لا سوا بالغا ما بلغ من قدر الكفاية إلى أن يمن الله تعالى بالفرج
وكشف هذا الضيق والحرج فكنت أصدح لهم إياما مدة لكل منهم
أو لأولي من بعدهم آخرا قعبا صغيرا فيجتزي طول النهار والليل
ونحن على ذلك بين معالجة المكروه ومكابدة المجهود وملاقاة
السيوف والسهام بنحور الوجوه والصدور إلى أن وهب الله النصر

واهبا الظفر واخاف واحاق سوء العذاب بمن كفر فولوا الادبار
بين قتيل مزمّل وجريح مرمّل وعقير مرهق واسير بالقد موثق
وسمعته يذكر ذات يوم ما كان من حسن تدبيره وتفقد يوم عند
افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه ورزاحة حاله عن التوسع
في الانفاق والتخرق في البذل والاطلاق وانه كان كاحد
رفقائه في الحال والمال واحتاج مع ذلك الى ان ياخذ لمؤنته
للزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان يدخر منها ما يبقى نصافاهم
في الاسبوع دفعة او دفعتين ولم يزل على هذه الجملة الى ان
اتسعت حاله فزاده بحسب الزيادة الى ان استكمل اسباب السيادة
وكان كما قيل • نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الكر والاقداما
وجعلته ملكا هماما • ولم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم
حجم جريدته وعمرت ارض خزانته واشفقت النفوس من هيبته
وتعلقت الاطماع بمعونته وكان من احد فتوحه ناحية بست ○
وسبب ذلك ان بايتوز كان قد ملكها على طغان احد الامراء
كان بها غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلجا هو الى الامير الماضي ○
رحمه الله مستظهرا به ومستنفرا اياه عليه بما لك بيعته وولي برهنه
وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها فلبى
نداه وحقق بفضله رجاه وناهض خصمه بمعظم جيوشه حتى اناخ
بباب بست وبرز اخو بايتوز الى معسكره فتناوشا القتال كاشد
ما يكون نفحا بالصفاح ومشقا بالرماح واثخانا بالجراح فلما اصطرت
الفريقان والتقت حلقتا البطان حمل الامير الماضي على قلب عسكره

زوهت الناقة كمنع زوها وزواها سقطت اعياء وهذا الا قاموس

نفح الشي بسيفه تناوله قاموس

حملة كشفتهم عن مقاماتهم واغصت شوارع البلد بهم وداركت عليهم
الحملات من كل اوب حتى طواهما مغلولين وتفرقوا في ظهور ○
الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين واستقر
طغان بها شاكرا احسانه وموجبا تحقيق ما اوجب عليه ضمانه
وبذل به رهنه ولسانه وهو يتمثل في ذلك بين انجاز وعد
واخلاف وتبرح بين رفاق وخلاف حتى اذا حان حين الاداء
طالبه الامير بالوفاء واغلظ له في الاقتضاء بما راه من فرط الاباء
والالتواء وتمادى على صحرا غاصته تعللا بهما وابتاعهما بمجرشة عجرفيته
الطبع بالمنع ولم يرض بالقول حتى انتضى سيفه وضرب يد الامير ○
ضربة اوسعت جرحها فلما تبين تعديه ضرب الامير بيده الى سيفه
وهي تسحب دما فضرب منكبه ضربة انصفت له منه وطلبه
باخرى فحجز عنها اختلاط الفريقين واصاب الامير رفقائه
وغلمانه بادروا الى طرد الغواة وحطمهم وتبيض تلك النواحي من ○
سوادهم فلم يبلغ النهار الا وبست له صافية واطرافها عن ذوي
الخلاف خالية وبشعار دولته حالية وانسد اخو بايتوز ○
وطغان الى نواحي كرمان وسجستان ولم يعلم احد منهما بان يلتفت
وراه فضلا عن ان يثني لقاءه وكان من جملة ما استفاده ذلك
الامير من صفايا ذلك الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب
صاحب التجنيس رحمه الله فانه كان كاتبا لبايتوز فلما استمرت
به الكشفة اعيته صحبته فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره
ومناه واصطنعه لما كان قبل متعهدا له اذ كان محتاجا الى مثله

العجرفة جفوة في الكلام وخرق في العمل والاقدام ويكون عجرفي المشي وبه تعجرف وعجرفية وعجرفة قلة مبالاة لسرعته قاموس

في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته وحدثني
أبو الفتح رحمه الله قال لما استخدمني الأمير الماضي وأحلني محل
الثقة الأمين عنده في مهمات شأنه وأسرار ديوانه وكان بأبي
نوح بعد حسادي وحسادي يلوون ألسنتهم بالقدح فيّ والجرح
لموضع الثقة بي لديه أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن
يعلق بقلبه شيء من تلك الأقوال ويقرطس غرض القبول بعض تلك
النبال المحضونة ذات يوم وقلت إن همة مثلي من أرباب هذه
الصناعة لا ترتقي إلى أكثر مما أراني أهلا له من اختصاصه واستخلاصه
وتقريبه وترتيبه واختياره لمهمات أسراره عن حداثة عهدي
من كنت به موسوما واهتمام الأمير بنفض ما بقي من شغله يقتضيني
أن أستأذنه في الاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر له
هذا الأمر في نصابه ليكون ما آليه من هذه الخدمة أسلم
من التهمة وأقرب إلى السداد وأبعد من كيد الحساد فارتاح لما
سمعه وأوقعه من الاستحماد موقعه فأشار علي بناحية الرخج
وحكمني في أرضها أتبوأ منها حيث أشاء إلى أن يأتيني الاستدعاء
فتوجهت نحوها فارغ البال رافغ العيش والحال سليم اللسان
والقلم بعيد القدم من مخاضات قال وكنت أدلجت ذات ليلة
وذلك في فصل الربيع أؤم منزلا أمامي فلما أصبحت نزلت فصليت
وسبحت ودعوت وقمت للركوب ففتح ضيا الشروق طرفي على
قرية ذات نمنمة محفوفة بالخضرة مغمومة بالنور والزهر وأمامها
أرض كأنها مغمورة وشية ببساط من الزبرجد منجد بالدر والمرجان

رمى فقرطس أصاب القرطاس قاموس

واسع

غم الشيء غطاه قاموس

مرتع

مرصع بالعقيق والعقيان تتسلسل بها أنهار كبطون الحيات في
ماء الحياة وقد فغمني فيها من نسيم هوائها عرف المسك السحيق والعنبر
الفتيق فاستطبت المكان وتصورت منه الجنان وفزعت إلى
كتاب أدب كنت استصحبته وحملته مع نفسي لأخذ الفأل على المقام
أو الارتحال ففتحت أول سطر من الصفحة عن شعر وهو
وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوز   فقلت هذا والله
الوحي الناطق والفأل الصادق وتقدمت بعطف ضبنتي إليها
وغنيت ستة أشهر بها في أنعم عيش وأرخاه وأهنا شرب وأمراه
إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي إلى الحضرة بتعجيل وتأكيد
وترتيب وترحيب فنهضت إليها وحظيت بما حظيته منها إلى نوى
هذا فكان اختياره في ذلك أحد ما استدلك به ذلك الأمير على
رأيه ورزانته ودرجه إلى محله ومكانته وصار من بعد ينظر بأقلامه
منثور الآثار عن حسامه ويتبجح بعباراته وشائع فتوحه ومقاماته
وهلم جرا إلى زمان السلطان يمين الدولة وأمين الملة فقد
كتب له عدة فتوح إلى أن زحزحه القضاء عن خدمته ونبذه إلى
ديار الترك عن صر قصده وإرادته فمات بها غريبا ولم يجد من
مساعدة الزمان نصيبا ولما استتب للأمير تلك النواحي واستقرت
على شعار دولته الأقاصي والأداني وصفت له أشرابها ودرت
عليه أخلافها استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه وكانت
بلاد قصدار قد وقعت من وراء بسته ومرد عليه وإليها لحصانة
أطرافها ونواحيها وخشونة مصاعدها ومهاويها فظن أن بعده

فغمه الطيب كمنع فغما وفغوما سد خياشيمه قاموس

فزع إليه لجأ منه أيضا

الضبنة مثلثة وكفوة العيال ومن لا غناء فيه ولا كفاية من الرفقاء قاموس

السبب أي المقام

الثقة وحزونة المضرب وضيقة المدخل ووعورة المتغلغل
مانعة من الدنو عليه وقاطعة دون الوصول اليه فلم يرعه
الا صيحة الغارة واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة وقد
طوى اليه تلك الطرق القاصية والقلل العاصية المتناصية
في ركضة لم يبل فيها جنه قرارا ولا عينه غرارا ولا خيله جماما
الا المامًا فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فاخذه كما قيل ○
فاخذته اخذ المقصب شاته عجلان يشويها لقوم نزل
وكان صياحه كما قيل ○ اي الجزار
اذا جرس الفحل وسط الجحور وصاح الكلاب وعق الولد ○
ثم راى ان يمن عليه ويرجع اليه ما كان بيده فاطلقه تطولا وانعاما
واعاده الى مكانه احسانا وامتنانا ووافقه على مال يحمله واخر
في كل سنة يحمله فعمرت باسمه تلك المنابر واشترك في العلم
به الوارد والصادر والغايب والحاضر ولم يزل بعد ذلك
يدارك الركض على اطراف الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا
كانت مرتفعة في جبالها مطبعة باموالها ممتنعة برجالها
وحصلها كلها في يده ونظم خزاينها في سلك ملكه ولم يزل
يتوغل تلك الحدود حتى افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر ولم
يطاها في الاسلام خف ولا حافر ولما علم جيبال الهند ما
دهاه ممن يطوي مسافة ملكه ويقبض من اطراف ولايته ويلصق
الهون والخسار بمن يحامي عن حوزته اخذه المقيم المقعد من ملكه
المزعج المكمد وراى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه

انتضى الحمل والارض طالا وارتفعا قاموس

جم جما وجماما ترك فلم يركب قاموس

وهيزور نا لما بالكسر غبا قاموس

المقعد المقيم

وعشيرته

وعشيرته واعيان جيوشه وبكا كرته وما خف من ثقال فيلته
يريد الانتقام منه بوطي عرصة الاسلام واستباحة حلته الحرام
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره ○
الكافرون وسار كما هو حتى جاوز لمغان من ولاية الامير
الماضي من الواثق بطوله الساكن الى قوته وحوله وقد
باض الشيطان في راسه وفرخ ○ وثوى السواد في دماغه وطبخ
فهو بطن الظنون ويعد في حساب الحسبان ما لن يكون ولما
سمع الامير بوروده وتغلبه استعد لمناهضته وجمع اولياءه على
مناجزته واستجاش من مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم
لمناصبته وكف باسه ومعرته وبرز من غزنة متوجها نحوه
وقاصدا اقصد بنيه في الجهاد قوته وجنته للاسلام ابنه
وواسطة بين الناجيين في رجال كقطع الليل او دفع السيل ○
ومعه السلطان يمين الدولة وامين الملة كالليث الخادر ○
والعقاب الكاسر والموت الكاشر لا يوم مصعبا الا ذلله ولا
يروم عقدا الا حلله ولا يزاحم منكبا الا حطه ولا يصاول قرنا
الا اباح دمه ونشبت الحروب بينهم اياما ولاء وادبرت
عليهم كووس الطعن والضرب ملاء حتى سكر الفريقان من سورة
الطعان وبقرب تلك المعارك مما يلي الكفار عقبة تعرف
بعقبة غورك ينخفض عنها طرف العقاب ويعسكر دونها جيش
السحاب ○ ذات مهاو ومشارف ومثان ومعاطف وفي بعض
اوهادها شريعة ماء كان كالشريعة الحنيفية في الطهارة لا يقبل

الورد الجرى كالوارد الزعفران
والاسد كالمتورد قاموس

قدرًا ولا تحمل غثاءً ولا تضرّ اقرانًا لغى شيئًا من القاذورات فيها
اكفهرّت له السماء واحلفت للبكا واظلمت الشواهق والاعماق
وغصّت بالزماهير الآفاق حتى يرى الموت الاحمر عيانًا والعذاب
الاكبر حقيقةً وبيانًا • فبعدها امر الامير رحمه الله بالقائها
ضروبًا من النجاسات تعمّدًا فقامت القيامة على الكفرة الفجرة هم
وتوالت عليهم الصواعق والقوارع • واحاطت بهم الرياح
الزعازع • ومدّت السما عليهم سرادق البرد والخصر واثارت
عليهم زعازع الاعصار والقتر حتى عميت عليهم المذاهب والمهاد
وانسدّت دونهم المساوي والمسارب فاستسلموا لفرط الهول
والوهل • وشهدوا بان قد شهدوا الموت قبل الاجل • وارسل
جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب على مال يؤديه • وحكم
للامير في فيلته ومملكته للامير بمضيه • فهمّ الامير باجابته
الى ملتمسه اشفاقًا على اوليائه او لصواب عنّ له في رايه •
فهمّ السلطان يمين الدولة وامين الملة اوليائه لرسل نهرًا
وابى ان يكون فيصل الحرب الا عنوة وقهرًا حمية للاسلام
والمسلمين وثقةً بالله رب العالمين فانصرفوا بما عرفوا من صورة
الحال وضيق المجال فاضطر جيبال لما اعياه من الحيلة في امره
الى اعادتهم في طلب المكافة خاشعًا والتماس الموادعة طالبًا ضارعًا
وكانت رسله تقول للامير انكم قد عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت
اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب مكروه فان يكن امتناعكم
عن الصلح طمعًا في الغنيمة والفيء والفيلة والسبي فهاهو اولا

صبري

صبري عزم نمتطيه في استهلاك الاموال وسمل الافيال وعرض
الغلمان على النيران ودسر الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب
وظبات السيوف ثم شانكم وما يبقى من حماد ورماد ومواريث
ورفات فلما سمع الامير ذلك من كلامه واحسّ مصدوقة ما هم
به عند ياسه من مرامه راى حط الدين واوليائه في موادعته
واستنزاله عن ماله وعدته ازيح من تعليته وما احاط به من التقاطع
بالسيوف والتهافت في الوقود فوافق الامير السيد يمين الدولة
وامين الملة على لف يد الارهاق عنه على الف الف درهم شاهية
وخمسين راسًا من الفيلة ضمنها نقدًا او على عدة بلاد وقلاع في
سرة مملكته كان اشترطها عليه ان يسلمها الى من يتسلمها من حصته
بعد ان بعث اليه برهائن من عشيرته واعزته على الوفاء بما
يضمنه والانجاز لما يعده وقبض المال والفيلة نقدًا ووافقه
على البلاد المذكورة وعدًا وارسل معه بمسبلته وحاجبه دليلين
يعدلان به عن المتعسف ويقفان به عن المنصرف وبعث معه
بعدة من ثقاته لتسليم الاماكن المشروطة منه فلما اوغل به
المسير وراى انه قد خف عنه الطلب واستراحت به اللبث
حدثته خبث الضمير بالاخلاف واركسه عجز الراي في استيناف
الخلاف واعتقل من كان في صحبته بدلا عمن رهنهم من عشيرته
وقدّر الامير ان الذي بلغه من امره ارجاف من دونه خلاف
وباطل ليس له حاصل الى ان تناصرت به الانبا فصرح الخفا
وانكشف الغطا وعلم ان الله تعالى قد طبع على قلبه وحال بينه

دينٍ رشدِه ليحيق به وبالُ امرِه ويحق عليه مآل كفره وشحذ
عزيمته لغزو بلاده وتخليصها عن خبث خبثته واكاده ونهض
في الكماة من غلمانه والحماة من رفقائه واعوانه متوكلا على
الله وحده ومتنجزا الى النصر وعده وسار حتى اقتحم بهم ديار
الهند فلم يبرز لهم بارز من اعوان جيپال وجيوشه الا اوسعهم
طعنا او ايسلحهم ضربا وطعنا وقصد لمغان وهي كورة تحصن
الاطراف وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتدارا
واضطرم بعضها على الكفار نارا وهدم بيوت الاصنام واقام
فيها شعار الاسلام ومضى عنها قدما يفتتح البلاد ويقتل الانجاس
الاوغاد حتى اذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين ولما
اربى على الغاية في النكاية واربى على قدر الامكان في الاثخان
وبردت يده وايدي اوليائه بما يغمر العد والحد من كرائم
الاموال وغنائم تلك البلاد عطف الاعنة وراءه كريم الظفر
حميد الاثر ميمون الورد والصدر وتطايرت كتبه الى الآفاق
بذكر ما فتح الله للاسلام على يده فاشترك الناس خاصة وعامة
في الارتياح له والانشراح لموقعه والشكر لله على ما اتاحه فيه
من صنعه ولما راى جيپال ما قد دهاه جزاء عما نقضه من عهده
ونكثه من مرائر عقده وراى وجوه رجاله جزرا للسيوف
القواطع وطعمة للنسور والخوامع سقط في يده وفت في عضده
ونالته منه الندامة وقامت عليه القيامة وبقي زمانا مبهوتا
على حالة لا يعرف الراي في ظهر ادباره او في وجه اقباله ثم حركته

الانفة

وتخليصها ظ

استلحم الطريق تبعه قاموس
او وسلكه

ومضى قدما لم يعرج ولم ينثن
في الحرب قاموس

الوغد الاحمق الضعيف الرذل
الدني قاموس

المرمرة الحبل الشديد الفتل وجمع
مرائر قاموس

الخوامع الضباع جمع خامعة
قاموس

نسخة قاريه
الضعيف

الانفة لاستيناف المناجزة طلبا للثار وطمعا في الانتصار ففكر
ودبر شر عزم وقرر ونادى بحشوه وثار في مائة الف او يزيدون
وبلغ الامير خبره فقابل اقباله بالاستقبال وحرض المؤمنين على
القتال وسار بقلب منشرح وامل منفسح حتى اذا تدانت الخطو
بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا
النمل منشورا والجراد مبثوثا محشورا فراعه منهم ما يروع الذئاب
من سوام الغنم واللبوث الجياع من هوادي النعم وحث اولياء
الله على الكفرة القلف فاجابوه سراعا بقلوب محشوة بالدين
مملوءة من صدق اليقين وتقدم اليهم بان يتناوبوا الحملات بينهم
في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس الحاطمة والقراتكينات الهاشمة
حتى اذا الموا عذرتهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من ينوب منابهم
رضا وهصا وطعنا وطحنا ففعلوا ما امر واحد واما رسم فلم
تزل هذه حالهم حتى استغاث الملاعين من حر الوطيس ووقع
السيوف والدبابيس وهموا بان يحملوا حملة ترجرج الاقدام
وتقلع الجيش اللهام فعندها حمي الوطيس واختلط المرؤوس
والرئيس وتداعت الصفوف وعزلت العوامل الا السيوف
واختلفت الضربات فمن واحدة تقط الهام واخرى تقد الاجسام
وثارت عجاجة غبرا استترت العيون عن الاشباح فلم تعرف
الصفاح من الرماح ولا الرجال من الافيال ولا الابرار من
الفجار ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الارجاس واسلامهم عددهم
وعتادهم واسلحتهم وازوادهم وفيلتهم وكراعهم وقد غصت البيد

الحمية

فرع كمنع صعد ونزل ضد
قاموس
راع فلانا اعجبه قاموس
والهوادي الابل صنو الهادية

هصه كسره ووقصه قاموس

واللهام العدد الكثير والجيش
العظيم كانه يلتهم كل شيء
قاموس
القط القطع

م

بحيث تلاقيهم بين جريح بحد الحسام وطريح من هول تلك المقا
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وولت
الهند بعد اذنابها على دبرها ورضوا بان يسلموا من حر الطلب
في اقاصي ديارهم ويتركوا في شعارهم بمنابت اشعارهم وصفت
تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه اخلاف الاموال
وانحلت له عقد الجبايات وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها
ما سار ابن من القبلة الحربية فكثف له سواد جيوشه وزانت
له الافغانية والخلج فيمن شا استشار منهم الالاف في خدمته ⊙
وامتهان الارواح والنفوس في نصرته والقيام بفروض طاعته
وعند ذلك اوجب اغاثة الامير ابي القاسم نوح بن منصور ره
والي خراسان واعانته على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار
ملكه بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرق دهماهم واضطرهم
الى الانهزام وراهم كرا لم ينبسط له غيره من اولياء تلك الدولة
وانشاء تلك النعمة لا جرم ان الله جاز له جماله وذكره وقصر عليه
سناه وقدره وجعل كدحه سببا لانتساق الملك الى ولده
وتوطئة لبقاء العز في عقبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم **ذكر الاسباب التي اطمعت الترك**
في ولاية الامير ابي القاسم نوح بن منصور وتوسط
مملكته واجلائه عن بيته وخطته قد كان انتقل الملك
اليه سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع اولياؤه وحشمه على بيعته
بعد اموال عظيمة اطلقت وعشرينات فرقت حتى تهدد شمل

الاموال

بلغ

بون

الاموال التي كان وزراء السامانية من قبل يكدحون لها ويدأ
بجمعها كابي الفضل البلعمي وابي جعفر العتبي ومن كان ينتصب منصبهما
في الوزارة وتدبير امور المملكة وكان ابو الحسين محمد بن ابراهيم
بن سيمجور اذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور فتلطف له في الرضى
به وعقد البيعة له على صغره وحداثة سنه وضوعفت له
الصلات المطلقة لامثاله من اركان الدولة حتى لانت ⊙
عريكته وتمت بيعته وفوضت الوزارة الى ابي الحسن العتبي
فقام على ميعة شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق وكفله
بما صحبه كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق حتى استقامت
بحسن تدبيره الامور وانشرحت الصدور وانسدت الثغور
واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا وبعدا وقربا
وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره ⊙
ونباهة ذكره ومناعة جانبه وخشونة حده يتوخى رضاه
فيما يحتكم عليه به من المطالب التي تختص بولايته وربما اخذته
العزة باللجاج فيذكر ما وراه من الادواء المعضلة والامور
المستعجلة فيسمح قرونه ويذل صعبه وحرونه وحدثني
احمد الخوارزمي وكان من جملة خاصته مدة وبا بحمل رسوم كل
عام الى بيت الله الحرام ومجاوريه وسكان مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفريقها فيهم ووضعها مواضعها بينهم
قال دخلت اليه ذات يوم منصرفا من خراسان فسألني
على رسمه عن حال ذلك الشيخ في سلامته واستقامة الامور في

يقال حدب عليه اذا تعطف صح

ضمن كفالته ثم قال هات ما استدعاه واعرض ما بدا له
ونوخاه فعرضت تذكرة كان سلمها الي تتفصيل ما رسم لي حمله
من بلاد العراق وفي جملتها الف ثوب مستعملة مطرزة
الاطراز باسم الامير السيد الملك المويد المنصور ولي النعم
ابي القاسم نوح بن منصور مولى امير المومنين وخمسمائة ثوب
مطرزة باسم الشيخ الجليل السيد ابي الحسين عبيد الله بن احمد
ومثلها معلمة بالحاجب الجليل ابي العباس تاش فلما تامل النسخة
واحاط بها علما دخلته نخوة الملك وملكته حمية العز وطار
به الغضب كل مطار فالقى الي في الجواب ان ابن العتبي لو
اغتنم سلامته في نفسه وما يليه وتفرد بالتدبير منه لكان
اولى به واعود عليه وعلى صاحبه مما يسومني بهذا الاحتكام
وامثاله عنى اني اجعل سواحل جيحون قبل عودك من وجهك
مرابط للجحافل ومراكز للقنا والقنابل فقمت من مكاني متخاذل
القوى من جوابه متهافت الاركان خوفا من عتابه واخذت
اجر رجلي على الارض نصبا وارتياعا الى ان ركبت على الرسم وانصرفت
الى المناخ فلما ارتفع النهار اتاني رسوله فبادرت اليه
واحسنت خدمة المجلس بين يديه فرادني على المعهود بشرا
خصيصا وبرا وترحيبا وقال قد امرنا في معنى التذكرة ما استدعاه
ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه وخلافا على خلاف وفاته فتنجز
العمل به ليوافق عودك من وجهك فراغ الصناع منه وحصول
المراد به قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها

الجحافل جمع الجحفل وهو الجيش
القنابل جمع القنبلة وهو طائفة من الجيش ما بين الثلثين الى الاربعين
صح

في صحبتي

في صحبتي الى بخارا مشفوعة بالنجاح في سائر ما رسم لي تحصيله وتنجزه
وقد اكثر الشعراء من اهل العصر في وصف محاسن الشيخ ابي الحسين
العتبي رحمه الله ولاسيما ابو طالب المأموني فانه سير في مدحه
قصائد غير معدودة منها قوله من قصيدة يمدحه بها
هدى عزائم عتبي تفرق ما بين الجماجم والاعناق ان عتبا
دوحة تلبي عنق الارض ان برزت من صدره لم تسعه الارض
اذا انتضى للردى او للندى قلما اجرى به سحبا او جحفلا لجبا
تنجي الصغير والندى نزرا اذا هلك للمعروف او قطبا
شعر
وقوله فيه من اخرى
كتائب منصورية ملكية ابى السيف فيها ان يرى الغمد مضجعا
يؤيدها عتبي عزم مؤيد بحزم تجلى ظلمة اللبس طلعا
اذا امر الشيخ الجليل سيوفه هوت سجدا في الدارعين وركعا
يعود بها وجه الخلافة ابيضا بابيض من ابناء عتبة اروعا
شعر
ومن ذلك قول اللحام فيه
واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى من العتيبة نفاع وضرار
كانما جاره في كل نائبة جار الاراقم في ايام ذي قار
تجري مكارمه في لا وفي نعم فالناس في جنة منه وفي نار
شعر
ومن ذلك قول ابي الحسن العلوي الرضي
كانما الدهر تاج وهو درته والملك كف وهو خاتمه
والبر والبحر والاعلام اجمعها والخلق والفلك الدوار خادمه
وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي امور الباب وزعامة

مضطربا
اللجب الصوت والجلبة وجيش لجب اي ذو جلبة وكثرة صح

ونضى سيف الجسل

الحجاب والسفارة بين اولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم
واستطلاق اطماعهم وعشويباتهم واستزادة مراتبهم وولاياتهم
حتى تحققت النفوس بمحبته وتعلقت الاهواء بزعامته وفتح ابو
الحسين عليه ابواب الفوايد والاصابات حتى كثر وفوره وظهر
امره واشتد بالاستظهار ظهره وكان ابو العباس من جملة فتيان
ابي جعفر العتبي ملكا اهداه الى الامير السديد ابي صالح ايثارا
له بخدمته على نفسه لكيسه وذكائه ورضى شمايله ونجابته
فاستتم ابو الحسين الصنيعة عنده بالرفع منه والتنويه به ○
والاشالة بضبعه وباعه وتدريجه الى المحل الذي توسمه
في قوته واضطلاعه وجرت امور ذلك الباب بتعاضدهما
على النصايح وترافدهما على ارتهان المصالح على احسن الوجوه هيبة
وجمالا وهيبة وجلالا ونفاذا للاوامر يمينا وشمالا واستخص ابو
الحسين فايق الخاص لطول خدمته كانت للامير السديد ○
وحظوته عنده واختصاصه برعايته واشتراكه في وصايته
فكان شريكهما في التدبير وصيانة هيبة السرير وافرد امير
الجيش بخراسان على ابي الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور فتفرد كل
واحد منهم بحماية الملك سدا للثغور وسياسة للجمهور ○
وحصدا لنواجم الشرور الى ان بدت كمايمها تتفتق وجيوبها
تتخرق وكان من ذلك امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد
كان استنصر الامير السديد على طاهر بن الحسين قريبه وخليفته
على اعمالها بعد انكفايه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور

سنة

سنة اربع وخمسين وثلثماية لتمكنه كان من الولاية واستظهاره بالمال
والعدة واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل تلك الخطة فامده
حسن نصرته ومعونته وكفاه كلفته ومؤنته وامده بمن استمدهم
من كماة الجيوش لرده الى بيته وتقرير ملكيته في يده فانحاز طاهر
حين احس بالمدد وكثرة العدد الى اسفزار حتى قر خلف قراره
ووضع عنه اصاره وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره
ثم كر عليه كرة اجلته عن دياره الى باذغيس فيمن نادى بشعاره
فعاود حضرة الامير السديد مستصرخا اباه وضارعا الى غوثه
فيما دهاه فاحسن لقياه واكرم مثواه واعاد تقويته وانجاده ○
وكثف بالخيول سواده ورده بهم الى سجستان فوافق وصوله اليها
مضي طاهر لسبيله وانتصاب ابنه الحسين منصبه ووراثته في
في الخلاف مذهبه فحاصره خلف فيها مناصبا له الحرب غاديا
ورائحا حتى كثرت القتلى بين الفريقين فطالت يد الانتصاف على
اصحاب الحسين فعندها كتب الى بخارا استصلاحا عن سمة الخلاف
ومتلطفا للاستقالة والاستعطاف ومظهرا للطاعة في وفادة
الحضرة ومباشرة تراب الخدمة متى صادف افراجا من ضيق الخناق
وكان من شدة الارهاق فاحسن ذلك الامير اجابته وقابل بالقبول
انابته وسهل الى ورود الحضرة سبيله وحقق بالاحسان والافضال
تاميله واستقرت امور سجستان على خلف بن احمد فطالت عليها
ايامه وطارت فيها اوامره واحكامه وانبسطت بالعز يده وباعه
وتموجت بذخاير الاموال رباعه وقلاعه وانقطعت عن بخارا مواده

خدمته وطاعته واعفائه بماله موافقته ومقابلته حق الاصطناع
بواجبه وانضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة اليه
في حثه على رشده ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده • فتجرد
عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته في جمرات خراسان ومشاهير
رجالها ومساعير ابطالها فحصره في قلعة ارك وادارك عليه
الحرب زمانا طويلا فلم يغن فتيلا ولم يجد الى الافتتاح سبيلا وحمل
ابو الحسين العتبي بزيده عددا على عدد وصعدا الى صعد وكان
من جملة القواد بها بكتاش وبكتاش واخوه الحسن بن مالك
واضرابهم من انياب تلك الدولة ووجوه انشابها ونجوم سمائها
فطال هناك ثواؤهم وقصر عن المراد غناؤهم لمناعة الحصار
وحصانة سوره وشدة اغلاقه وسدوده واعيا الخندق
المحيط به على الفارس ان يعبره ركضا وعلى الراجل ان يقطعه
خوضا ولا رصاد ظلف اياهم بفنون الحيل التي يقل استنباطها
بالظن والحسبان ابهاما للبيات واطلاعا من مامون الجهات
وقذفا بحروب الافاعي عن افواه المجانيق والعرادات حتى يضطروا
بذلك الى الارتحال والتنقل في المضارب والمحال وبقوا هناك
قرابة سبع سنين على هذه الجملة حتى فنيت الرجال ونزفت الاموال
وذهبت الحرائب وعطبت المطايا والركائب وكانت هذه من
اوائل الوهن على تلك الدولة ومن هناك وهى العقد وانتقض
السلك وترايد الفتق واتسع الخرق ولكل امر امد ولكل امة
اجل ولكل ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب

وتذاكر

الصعد بالتحريك العطا
العرادة بالتشديد اصغر من المنجنيق
وحريبة الرجل ماله الذي يعيش به
النيق ... والرفع بالاقتلاع

وتذاكر اركان تلك الدولة فيما بين هذه الحالة لزوم صاحب الجيش
ابي الحسن مكانه من نيسابور كلّاً على صاحبه لا يناهض خصما ولا يفتح
سدا ولا يحسن ردا ولا يغمس في مصالح الدولة يدا وتناضلوا
بينهم ما كان الامير السديد يصطنعه عليه لالتزامه بالمكان
وجموده عن نصرة السلطان وبنوا آراءهم على صرفه والاستبدال
به وكتب اليه في الصرف وقلد ابو العباس تاش ما كان يليه
من الامر فلما ورد الرسول عليه وادى ما تحمله على ورد من الانهاء
اليه ابت عليه الحمية خطة الهوان ولقنته الانفة كلمة العصيان
وطارت نعرة الخلاف في راسه فادعى الامر لنفسه اتكالا
على فرط قوته وباسه واعتزازا باولاده واعضاده واستظهارا
بجيوشه واجناده ثم تبينت للتدبير وخمر الراي والتفكير فلم يرض
بان تتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيخوخته في الدولة ○
وتناهي مدته في الخدمة وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب
التي تسكب النفوس حمامها والعيون منامها والاموال المدخرة
نظامها الى ما فيه من التعرض لمكروه النوائب والتحمل لمحذور
العواقب فراى ان قبول الضيم على السلامة من لواحق الآفات
اقرب الى الصواب وابعد من المعاب ودعا الرسول فاستقاله
عثرة ما قاله وعرض صدق الطاعة مشفوعا بفرط الخشوع
والضراعة وقال انما انا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها
بماء كرمه فله المشيئة في استبقائها للاثمار واقتلاعها والقائها
على النار وصرفه على جملة الطاعة ولين المقادة والبدار الى حيث

النضال الرمي للسبق
الاز الشد لغة
النعرة مثل الهمزة ذباب ضخم ازرق العين له ابرة في طرفه تلسع بها ذوات الحافر خاصة
التحمل ...
النبع شجر تتخذ منه القسي الواحدة نبعة

يعلى اليه من ديار مملكته وتلطف لتسكين من كان يقلقل في ذروته
من اهل بيته واوليائه بتسويله واغوائه فعل من استشف بصيرته
اسرار العواقب وانفق عمره في تجارب التجارب ونهض الى قهستان
منتظرا لما يستانف به امره ويتقرر عليه تدبيره الى ان رمي به
في نحر خلف بن احمد لاعضال دائه وتحير العساكر لطول ايام
بقائها فبادر الى سجستان وبينه وبين خلف مودة موثقة واسباب
موكدة فافتتح الراي عليه بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه ○
والانتقال الى غيره من معاقله ليتسبب هو ومن كان من قبل نجدة
به من اولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعلة الافتتاح
وظاهر النجاح فاذا خلا له وجهه ثنى العنان اليه منتصفا منه
وممضيا حكمه فيه فقبل مشورته وفارق ارك الى حصار الطاق حتى
دخلها ابو الحسن بن سيمجور وصلى الجمعة بها مقيما رسم الخطبة
للامير الرضي وطالعه بذكر ما فتح الله على يده وسناه من نجاح
ذلك الامر بجده وجهده ورتب الحسين بن طاهر بها اميرا وقرر
اعمالها عليه تقريرا وانصرف هو وراءه وسنورد ما جرى في
امره من بعد في موضع مثله

ذكر حسام الدولة ابي العباس تاش الحاجب وانتقال السالارية اليه

ثم سير ابو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على قيادة الجيوش
وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من امور الممالك ○
ووصل جناحه بفايق الخاصة ونصر بن طغرل الشرابي وبني مالك
على فخامة اخطارهم وجلالة اقدارهم وسير تحت رايته اعيان

الاوليا

الاولياء والحشم بعد ان ازيحت علته فيما شاء واقترح من الاموال
والاسلحة والعتاد والعدة فوردها سنة احدى وسبعين وثلثمائة
في آلة راعت الابصار وهيبة اعجبت النظار وجيوش شجت النفوس
الجوانب والاقطار ودبر الامور بصرامته ونظم المنثور من ضرائبه
وتألف الجمهور برفق سياسته وزعامته ووافق تلك الايام ○
انقطاع شمس المعالي قابوس بن وشمكير وفخر الدولة ابي الحسن علي
بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين مويد الدولة بويه
وبينهما وسببها ان عضد الدولة ابا شجاع كان قصد فخر الدولة
وهو اخوه لاجلائه عن ولايته التي كان ابوه ركن الدولة اوصى بها
له وعقد الوثيقة على كل منهما به على الجملة التي اشار اليها ابو اسحق
الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودبر ودس الى اهل عسكره
من استمالهم عنه واغراهم به فلما ناهضه وهو اذ ذاك بهمذان
وتدانت الخطى بينهما زحف معظم جيوشه الى عضد الدولة مستامنا
وولوه اعقاب الغدر هاربين فلما انس خذلانهم اياه وكفرانهم
نعماه وبالامس ما قد رأى ابن عمه بختيار كيف قطع رحمه
واراق دمه خالفهم الى طريق الديلم هائما على وجهه وناجيا
بحشاشة نفسه ومتنكبا بركوب شعابها المضطربة وآكامها ○
الاشبة مجاوزة من مس الطلب وركض الاكراد والعرب وتوغل
تلك البلاد طاويا مسافتها الى جرجان حتى الم بشمس المعالي
قابوس بن وشمكير لاجئا اليه ومستامنا اياه فامنه وآواه ومهد
له ذراه واعطاه فوق ما تمناه واشركه فيما ملكت يداه حتى جعل

العلق بالكسر النفيس من كل شيء تمت

الملك وهو العلق الذي طالما ضنت النفوس بابتذاله ووقايته
له دون مهجها باغيالة وسعى في استفساد حاله وبيان ذلك ان
عضد الدولة ومويدها ارسلا رسولا اليه يستردانه على شرط
اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى ○
مواثيق تستانف في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي
السرا والضرا فوجم اليهما ان الرجا رحم والوفا كرم وان للامان
عند حرمة لا يرى اخفارها في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة
وعساه لو همّا او كادا ان يأتي عليه بيض المواضي وزرق الاسنة
والعوالي فاحفظهما هذا الجواب وحرصهما على مكاوحته وانتزاع
مملكته فاحفظهما هذا الجواب من يديه وكتب ابو شجاع الى اخيه
مويد الدولة مناهضته بعدان امده بما فوق الحاجة من بهم ○
الرجال ونفايس الاموال وبرز من الري متوجها نحو جرجان
في جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى استراباذ متغلبا
على كل ما يرده من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي
من لدن طلوع الشمس الى الزوال حتى احمر بساط الارض من دما
الابطال ثم انجلت على عسكر الجبل كشفة ضبطها لزوال الاقدام
عن المقام فتفرقت جموعهم في خمر الغياض والآجام وعطف شمس
المعالي الى بعض قلاعه المشحونة بذخائر امواله واستظهر عنها
بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة
من طريق اسوا فالتقيا هناك واجتمع اليهما من فرقهم الكشفة
في الطرق المختلفة من طبقات الرجال وكتب الى ابي القاسم نوح

لي ب

بن منصور

بن منصور والي خراسان يحالهما في قصد دولته وتأميل الانتعاش
بعونه ونصرته وانتكال ما غصبا عليه من الولايات بعز دعوته
فورد عليهما من الجواب الضامن للايجاب فاشرح صدورهما وشد
بالنجح القريب ظهورهما وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما
واكبار قدرهما واكرام جوارهما وتقديم الاحتشاد لردهما الى
ديارهما ففعل ما رسم وتلقى بالامتثال ما حتم وعطف اليه اعنة
الخيول من كل وجه حتى استظهر بنخب الرجال وعزم على الارتحال
ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مويد الدولة
بويه لينتزع ولاية الامير شمس المعالي ولا من يده ثم يتفرغ من
التدبير فيه الى غيره وعن له ان يسرح فائقا على سمت قومس والري
ليقطع الامداد والمواد عنه ويلبس اخبار تلك الديار عليه ○
فيزيده شغل قلب بتوجه الجيوش اليه من وجهين واحداهما به
من جانبين فنهض على السمت المذكور ثم بدا له فيما دبره ورأى
ان التحرب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب ومن الحزم والاحتياط
اقرب فاسترده من وجهه الى آزاذوار فاجتمعا على التظافر واتفقت
آراوهم على التناصر وسار حسام الدولة تاش في تلك العساكر
الى باب جرجان وفيهم شمس المعالي وفخر الدولة حتى اناخوا
بظاهرها وتحصن مويد الدولة بويه بها واحتجز بخندق حفره
ويخترق عورة وفروج للبلد حصنها ودروب بحفظة الرجال
شحنها ومادهم الحرب حتى عبر شهران كيوم واحد في مداومة
الكفاح وملازمة السلاح وضاق الطعام في ربض جرجان

حتى أعيا الديلم قوتهم الذي يحفظ على الثبات فوتهم فكانوا
يرزقون من نخالة الشعير المعجونة بالطين وعهدي بهم يدرجون
كتبهم إلى أهاليهم بالتوى أشباه الفراريج منها شكوى الحال والهزال
فكانت كأقراص المداد في السواد وزحف الفريقان بعضهم إلى
بعض وكان فخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلي بن كامة صاحب
جيش مؤيد الدولة فأظهر الغناء وأحسن البلاء وحمل عليه حملة
زحزحته عن مقامه كليما وطرحته إلى استراباذ هزيما ولو أعين
بمدد في الحال لفسح ضيق المجال وجعلها آخرة القتال لكن القوم
نافسوه فخذلوه لا جرم أن كوكبة من كتائب الديلم عطفت على
من تشاغل بالنهب والإغارة من أوباش الخراسانية فطبقوا عليهم
حبالة الأسر ثم عرضوا عن آخرهم على ظبى السيف وورد بعد
ذلك على أبي العباس تاش أبو سعيد الشبيبي في رجال من جنود
خوارزم من أنجادها ورجالها وفتاكها وأبطالها من وقاد الضرام
أبناء الشهامة والسهام واقتدح الحرب بهم فلم يضعوا أيديهم
إلا في منافس الأشداق ومواضع الثغر والأحداق وأفشوا
العور والقتل والحور في الديلم يومهم ذاك ولم يزل تقوم
الحرب بينهم على ساقها ظاهرة وغبا فينتصف البعض منها من
البعض وكان أبو الفضل الهروي المنجم أشار على مؤيد الدولة
بمصابرتهم إلى أن يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم
منجحا أو مخفقا فأسر ذلك في نفسه واستعد لوقته فلما كان
يوم الأربعاء من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ثار

بنفسه

بنفسه وعسكره وعساكر أخيه على إخلاف أحبابهم وكان أهل
خراسان يظنون أن حزبهم تلك عارض ينقشع عن قريب على الرسم
في مثلها فلما رأوها غماما ركاما وشاهدوها عزاما ولزاما أقبلوا
عليها مضطرين فإذا الأمر جد والخطب إد والحد حديد والبأس
شديد وبرز الديلم من وراء الخنادق إلى العراء يخرجون من
جهد البلاء وضنك البؤس والداء فاستعرت وقدة الحرب
ودارت رحى الطعن والضرب وتحدث الناس بأن مؤيد الدولة
قد جنب فائقا وأضرابه بمال حمله إليهم سرا وأطمعهم في أمثاله
حيلة ومكرا وواطأهم على التساهل في الحرب لليوم المرقوب
والأجل المضروب فلما حمل عسكر الدولة من ميمنتهم ولى أولئك مؤيد صح
أدبارهم نفورا وثبت حسام تاش وفخر الدولة في القلب يتضاربان
بالسيوف والقرانكينيات ويترددان الحملات المتداركات بصد ق
النبات في الثبات إلى أن انقد ذكا بينهما في كافر وقد أثخن
الجيوش وتفرقت تلك الجموع فحدث نحو فخر الدولة فضل المقام
لتكاثر الإقبال من كل وجه عليه وتوجه الأطماع في كل أوب
إليه فانقلب إذ ذاك يريد المعسكر فساخت قوائم الفيل الذي
كان حصن القلب في بعض تلك المخاضات والعجلة تحز الأمر عن
التوقف لإزعاجه وإخراجه فتركه على حاله ونجا برأسه وترك
المعسكر شاغرا بما فيه من الأموال المعدودة والأسلحة المنضدة
والغلمان الحصادية والغلات المجموعة ومضى على حاله إلى أن الحص
نيسابور فدخلها ليلا وكتب إلى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرحمة

فعادا الجواب بتقوية الآمال وتمنية الرجال وتهيئة الأمداد
والأموال وطير الصاحب كتبه في الأطراف بذكر الفتح على ما نطق
به رسايله وأنشدني البجلي الشاعر لنفسه في مؤيد الدولة
من قصيدة

شعر

ما هال غيرك في هيجا ملحمة مذكورة آل ساسان وساسانا
فاكتب لمن يتجارا أمنه فلقد غادرته عند نوم الناس يقظانا

والبجلي هذا مطبوع الشعر مسلوك النقد سديد البديهة شديد
العارضة فانقطع إلى الأمير شمس المعالي بجرجان في أخريات
به فعرض له في جملة حاشيته إلى أن قضى نحبه فمن شعره فيه
من قصيدة قوله

شعر

لله شمسان تذكر بخيرهما وللمؤنثة النقصان ملتزم
أدري تلك سنا من غير معرفة فهما وذي هذا العلم والكرم
يا أيها الميمون طايره وخير من في الورى يمشي به القدم
لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا لما اهتدى إلينا الشيب والهرم

وللمؤنثة يعني شمس الملك

ووصف أبو الحسين الجوهري رحمه الله الفيل المقبوض عليه في الجمل
اللازب وذلك أن الفيل ساخت يداه في بعض المخاضات بقصيدة أولها
قل للوزير وقد تبدا ابتعرض الكرم المعدا
أفنيت أسباب العلى حتى أبت أن تستجدا
لو مس راحتك السحاب لأمطرت كرما ومجدا
لم ترض بالحيل التي شدت إلى العليا أشدا
وصرايم الرأي التي كانت على الأعدا جندا
حتى دعوت إلى الهدى من لا يلام إذا أنعدا

متقصا

قصدا

متقصاية العلوج وفطنة أعيت معدا متعسفا طرق العوالي حيث لا يتساق
فيلا كضوى حين يلبس من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملبسا لكانما برقا ورعدا
رأس كقلة شاهق كسيت من الجبلا جلدا
فتراه من فرط الدلال مصعرا للناس خدا
يرمي بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا
متمددا كالأفعوان تمده الرمضا مدا
أو كمراقصة تشير به إلى الندمان وجدا
أو كالمصلب شد جنباه إلى جذعين شدا
وكأنه بوق تحركه النفخ فيه جدا
يسطو بسا زنين يخطأن الصخر هدا
أذناه مروحتان أسندتا إلى فودين عقدا
عيناه غائرتان ضيقتا بجمع الضوء عمدا
فك كفوهة الخليج بلوك طول الدهر خدا
تلقاه عن بعد فتحسبه غماما قد تبدا
متنا كبنيان الخورنق ما بلا في الدهر كدا
ردفا كدكة عنبر متمايل الأوراك نهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب حوله ساقا وزندا
يخطو على أمثال أعمدة الخباء إذا تصدى
أو مثل أميال نضدن من الصخور الصم نضدا
متوردا حوض المنية حيث لا يتساق وردا

ب ض

متملكا وكانه متطلب ما لا يودي متلفعا بالكبرياء كانه ملك مقتدي
ادنى الى الشي البعيد يراد من وهم واهدى
اذلى من الانسان حتى لو راى ظلا لا لندا
لو انه ذو بهجة وفي كتاب الله سردا
عقته ارض الهند حتى حل من زهو هوندا
قل للوزير عبدت حتى قد اتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قربا وبعدا
لو ان اعطاف النجوم جرين في الربيع سعدا
او سار في افق السما لانبتت زهرا وورد
يا ايها الملك الذي احدى وعلم كيف يجدي
ما بال عبدك لا يرى لتاخر التشريف حدا
برد الزمان وليته تميلا في بات بردا
قد صد عني تلكم الالا حاشى ان تصدا

وهوند نهر جرجان الذي جرت تلك الحروب على سواحله وهو يتلوى في ارض جرجان تلوي الحيات كثير الازواد والعطفات ومنابع عيونه جبال دنبار دنبار زادتة تنصب العين منها الى العين حتى تملا النهر وتدهده الصخر بغمرة وواصل ابو الحسين العتبي كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان في استنهاضهم واستنفارهم ليتحدروا الى مرو وتجمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من رجالات خراسان على نحو ذلك الحرف وريق في لك الفتوق وحو سمة العجز واستعادة رونق الملك واقبل يستعد للامر بجهده

ويواصل

ويواصل الكتب بحميده وعده وخلع الرضي عليه خلعة جمع له بها بين عزة تدبير الاقلام والقواضب واضاف له الى بزة الكتاب زي ارباب الكتائب وكانت خلعة خالعة لروحه قاصعة لعمره خاتمة لامره وذلك لان ابا الحسن بن سيمجور كان يشكو الى فائق ما دهاه من فضح اباه حين عزله عما كان يليه وكاده في نفسه وذويه ولم ينفك يوضح بالغوائل ويطلبه بوجوه الاوتار والطوائل الى ان اشار فائق عليه بطائفة من الغلمان السديدية كانوا رؤس اضرابهم في السفه والشغب والتحكم في المطالب بفرط القوة والغلبة ودس اليهم من اغراهم به بسفايح يحرزها اليهم حتى تواموا وايتهم على قتله وتجمعوا على الفتك به مغتنمين خلوتكارا عمن يحيي له او يحامي عليه واحس ابو الحسين بما دبر من الامر واشفق على نفسه بما استطار من شرر الشر فشكا الى الامير الرضي صورة الحال وما ارصد به من الاغتيال فبعث اليه بعدة من القواد لمرادفته الى الدار اجارة له مما كان يخشاه وصيانة لروحه عما تحاماه فتسامع طائفة من المشركين في التدبير عليه بخبره فطاروا باجنحة الركض على اثره ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى اثخنوه ضربا وخبطا ورضا وقصا واشفق من كان في مسايرته على انفسهم فخذلوه واسلموه فكان كما قيل كليته وجوبه جعار وابشري بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره ضبع وترك على الشارع صريعا يمج دما نجيعا وعندهم انه قتيل وان ليس للحياة اليه سبيل ونقل كما هو الى باغ قريب من مصرعه ليراعى

بما يحدث من الرأي في غده فلما غشيه موج الظلام وهبت زعازع
البحران أتته سمها الباغيان فبادر اليه فاذا به رمق قليل
ونفس يختنق فنعى الى دار السلطان بحرا ثبات حسه واضطرابه
على نفسه حتى أمر به فنقل الى القهندز والزم الاطباء المنابرة
عليه طمعا في انعاشه فاستصعب داؤه على الدواء وقضى الله على
عمره بالانقضاء فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر كريم الورد
والصدر عديم المثل في سعة الرحل فقيد النظير في الفضل
العزيز لم ير ونى لا ولين ان احدا من الوزراء انتحت همته
لمشاطرته على مروته ومنازعته فضل افضاله وفتوته سماحا
كالغيث يقذف بالوبل او الريح تعصف بالرمل وسياسة
حفت لها جاذب الليل وغصت لها مشاعب السيل وانشد
ابو جعفر الكلبي لنفسه فيه ويرثيه
لهفي عليك ابا الحسين عثار منك بكل عين
جرعتني غصص الهوى وأريتني يوم الحسين
ولبعضهم فيه وقد زاده جماعة من اصدقائه
مر على قبرك اخواننا وكلهم فقدها له شانكا
فلم يروك على قولهم عز على العلياء فقدانكا
وقد كان شمس المعالي وحسام الدولة وفخر الدولة بنيسابور
على انتظار معونته واستفاضة ما اسفر لهم من عدته فحدثني
ابو نصر العتبي خالي رحمه الله وكان على البريد بنيسابور قال
دعاني ابو العباس تاش آخر نهار يوم فلما وصلت اليه وجدت

الثلاثة يتناصلون بينهم الاراء في معاودة الحرب واستئناف
معالجة الخطب فخلطوني بانفسهم فيما تداولوه وسالوني ان
انهي الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم المعونة واستعدادهم
للبدار الى امره واقبل على شمس المعالي من بينهم فقال اكتب الى
ذلك الصدر بان الحروب لم تزل بين الرجال سجالا وانها
تستصعب مرة وتصحب اخرى والحازم من يستفتح بالجد باب
النجح والظفر ولا يتلف بين العجز والضجر واضرب له ابيات المتنبي
اذا غامرت في امر مروم فلا تقنع بما دون النجوم
يرى الجبناء ان العجز حزم وتلك طبيعة الوغد اللئيم
فطعم الموت في امر حقير كطعم الموت في امر عظيم
قال فاستقللت يومئذ بقوله على فضله وورد عليهم بعقب
ذلك نعي ابي الحسين فاوسعهم وجوما ونثر عليهم من التدبير
ما كان منظوما وورد على ابي العباس تاش كتاب السلطان
في استعادته الى الباب لتدارك ما اختل وتلافي ما انحل واعتل
فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الامور ونظم
المنثور وتتبع الجناة على ابي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير
وعمهم بالنفي والتسيير واستوزر ابو الحسن المزني فعجل بالتدبير
ووحل في التقدير والتاخير لتهافت الاعمال واستبداده
اخرين عليه بالايراد والاصدار وقد كان ابو الحسن بن سيمجور
انكفأ عن سجستان الى خراسان من حرامي صدر اليه استشرافا
لهجوم الفتن وانتقاض الاعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان

وتشوفا لنفاق سوقه فيما بينهما فكتب اليه ابو الحسن مقبحا اليه
فعله وناعيا عليه عقله وسامه ان يعدل الى قهستان
متدرعا وعن ملابسة الاعمال متورعا وان يسلم ابنا الدولة
في جملته ويحتز رايته الى ابنه ويامره ان يعاود الى سجستان
فيكفي امرها ويلم شعثها ويرأب صدعها وجعل باذغيس وكنج
رستاق برسمه على ان يزاد في توليته وحبايته متى عرف في
الطاعة صدق نيته وعنايته ولما استقر ابو العباس تاش
ببخارا اغتنم ابو علي خلو خراسان عنه وعن المناصلين دونه
فراسل فايقا يريده على مخالفته والجهار بمنابذته وترك الرضى
بزعامته فوجده سمح القياد الى المراد طوع الزمام الى العناد
واجتمعا على توكيد العقود وامرار المواثيق والعهود وبدا
ابو علي بمصادرة عمال ابي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم
بما كان يختانه بهم من امواله وارتفاعات اعماله ثم نهضا
الى مرو سدا دون الولايات وحجابا دون الاموال والارتفاعات
حتى اضطر ابو العباس تاش الى مناهضتهما وكفاية ما اهم من
امرهما واستفتح الخزائن عن ذخائر الاموال ونفائس الاسلحة
والاثقال وبرز من بخارا الى آمل الشط فخيم على طرف الرمل
وتردد السفرا فيما بين الفريقين على حفظ نظام الالفة
واستبقا جمال الدولة واخماد جمرات الفتنة فوقع الاتفاق
على ان تكون نيسابور لتاش وبلخ لفايق وهراة لابي علي وتفرق
كل منهم على راس عمله وللخوارزمي في ابن علي وقد حصل بهراة

تمنا

تمنا بالامير هراة اذ قد بلاغ ان يهنى عن هواها
وكيف تمنا الدنيا جميعا بناحية من الدنيا حواها

وانحدر ابو العباس تاش الى مرو وقد كان قبل فصوله من بخارا
توصل الى عزل المزني عن الوزارة بابي محمد عبد الرحمن الفارسي
المتولي كان للامور كدا اخذا بيته لما بينه من ميله الى ابي علي ۝
وفايق وازهانه في امرهما فلما استقر هو بمرو وصرف عبد الرحمن
بعبد الله بن عزيز وهو المعروف بنعت آل عتبة ومشاحتهم
ونصب العداوة لهم وحرق الارم كادا عليهم فقد انصرف ابي
العباس تاش عن قيادة الجيوش ونقلها الى ابي الحسين العتبي ۝
وتدبيره وتداركا بن عمه لما ويبني من اصل تقديره وتفويضه وامر
بالكتاب عن السلطان اليه في نقل العمل عنه وتعويضه كورتي
نسا وابيورد منه والايعاز اليه بالاستبداد بهما والاقتناع بهما
وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر به على ما كان موسوما
به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه احس بامارة الشرود لالة
الخبل والخبر وعلم ان ذلك فاتحة الخطب عليه والتشفي منه
والوضع من قدره والتثلم في جاهه ومحله واستحضر وجوه
القواد واعيان الحشم وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دابه
ودينه في طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته
والذب عن حوزته والشكر لما وسعه قديما وحديثا من
نعمته واقباله مدة مصاحبتهم اياه عليهم بحسن رعايته ورفق
زعامته واياليه نيابة عنهم في بحرا وطارهم وتوبيني مسا

اعهم

وآثارهم ومواساتهم بما اتسعت له يده من خاص ماله وخاص ملكه • وانه يؤمّه ذلك في نفسه • ومهجته مقصوده • وعن باب ماله وولي نعمته مردوده • ولا منع من جهته لاحد منهم عن آرائه واختياره في معاودة بخارا او اللحاق بأي جانب شاء فليختر كل منهم ما احب غير منازع في قصده • ولا مدافع له عن وجهه فاستمهلوه ريثما يعلمون من وراءهم • من اهل العسكر صورة الحال ويعرفون ما عندهم من الرأي في المقام او الارتحال وتجمعوا بعد ذلك دفعات متساعدين في الاختيار مرة ومتقاربين اخرى الى ان اتفقت كلمتهم على موافقتهم • له وترك مخالفتهم ومفارقتهم اياه • والاذعان لرياسته ومراعاته على ما يقاسم الزمان به من سلم وحرب ودولة وصعب وسهل وحزن وسرور وحزن وخوف وامن وكانوا الى بخارا سائلين برد الرأي عامة عليه رعاية لحق خدمتهم وتحكيما للكرم في تحقيق مسائلهم • واستبقاء لوجوههم ما اطاعتهم • فابى ابن عزيز ان يقع لهم نجاح • او يستمر بين اولياء الدولة صلاح • وكتب اليهم يتهددهم الوعود ويعدهم الغرور وسرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وسامهم معاودة الحضرة تطميعا لهم وتعنيفا للنفاق عليهم فلما عرفوا صورة الحال ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته • وتصرفا بتصاريفه وتخوعا له في وجوه تكاليفه •

ذكر انقلاب فخر الدولة الى ابي العباس تاش من المكاتبة والتعاون

الى

الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة والتعاون الى آخر عمره

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش بخارا أن قضى مؤيد الدولة نحبه ولقي ربه وقبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما ما دهاه الخبر بوفاة عضد الدولة اخيه • فتماسك عن اظهار المصاب اناة بالخطب ما امه حتى يكفيه ○ بحفظته المرة ونقضيه بعزيمته المستمرة وتشاور اولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه • ويسد في الرياسة مسده • فأشار الصاحب اسماعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن في ذلك ○ البيت احق بالامارة • واتم استقلالا باعباء الرياسة والسياسة وكفاية منه فطير والبريد اليه في البدار الى ما اورثه الله من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا صفوا لا منة لاحد عليه به ولا حق لانسان يختم لسانه بشكره • واستخلفوا اخاه ابا العباس فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتأود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه ويتولى عنه تحرير ما ينشئه برأيه ويمليه وبادر فخر الدولة من نيسابور الى جرجان تطاير البرق بين جناحي الافق فاستقبله العسكر خاضعين طائعين وعلى صدق المصافاة والموالاة متابعين وتبوأ مقعد من سرير الملك وارثا ما اوصى به له ابوه • وسابق ما كان يدبره اخوه • كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد • ولقد احسن ابو بكر الخوارزمي في قصيدة

برئ بما يؤيد الدولة ويعتزي ذهني فخر الدولة
رزيت أخاً لو خيّر المجد في أخ من الناس طرّاً ما عداه ولا استثنى
وقد جاءت الدنيا إليك كما ترى طفيلية قد جاوبت قبل أن تدعى
خطبت بك عشقاً وهي معشوقة الورى فقد أصبحت قيساً وعهدي بها ليلى
ولما رأت خطّابها فركتهم فلم ترض إلا زوجها الأول الأولى
ولم تتساهل في الكفو ولم تقل رضيت إذا ما لم يكن لك معزى
على أنها كانت خطبتك ترتلا فخلتها حتى أتت تطلب الرجعى
وانشدت لأبي الفرج بن ميسرة أبياتاً من قصيدته
ولو قبل الفداء لكان يفدي وإن جلّ المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون تكدّ لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس برغمك دون ثوبي حداد
إذا قدمت خاتمة الرزايا فقد عرّضت سوقك للكساد
وكتب إلى أبي العباس تاش بذكر ما أصاره الله إليه وأعلقه بيديه
وأن ذلك كله موقوف على أحكام مشاركته • ومصروف إلى
أقسام إرادته • وأنه لم يرح لاستجابة أيامه النافذة • واعتنا
دولته العالية المتغايرة • ارتياحه لما يمكن به من معاضدته
على مصالح أحواله ومرادفته • على مناهج آماله شكراً لما كان
يهتدي من مقامه قبله • وقدّمه من جهده في إيثار الخبر به
وارتياد النجح له • فأجابه عنه مهنئاً بما أتاحه الله إليه من كريم
صنعه • وزفّه إليه من هدى ملكه • وشاكراً له ما أوجبه وراه
وشاكياً إليه ما رهقه ودهاه • فكتب إليه بأنه يهمه فيما يليه

بما يلي

وقسمه

وقسمه على ما يحويه • وأن أمره ممتثل في كل ما يرومه ويبتغيه
فليبين أمره على ما يقف عليه اقتراحه منتظراً لما يقتضيه شركة
المفاوضة من التسمح بالملك والمال وترتيب الرجال وقد
كان أنهض أبا سعيد الشبيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين إلى
ما قبل فخر الدولة رسولاً فصرفه في العاجل بقدر من المال
وزهاء ألف فارس من شجعان العرب والأتراك فورد نيسابور
وانضم إليه أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق موالياً لأبي العباس
تاش على أبي الحسن بن سيمجور فاجتمعا على التعاضد واتفقا على
التكاتف والترافد وانحدر تاش إلى نيسابور فسبقه إليها
أبو الحسن وانحاز المقيمون بها انتظاراً لوصوله في سواد حوله
ولحق بهم فصارت الأيدي واحدة • والقلوب على الإخلاص
متعاقدة • وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيّم
بظاهره وناوش أبا الحسن الحرب أياماً عدة • وهو متحصن بالبلد
ودروبه • ومحتجر بضيق مداخله وسدوده • ولحق بأبي العباس
تاش زهاء ألفي رجل من خلّص الديلم ونخب الأتراك يقودهم
أبو العباس فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يعتدهم
على الزمن ويدخلون ولو خرمت الإبر • فلما أحس أبو الحسن بن
سيمجور باناختهم • علم قوتهم على حرب المضيق وإعجازهم •
بأطراف الرانات والمزاريق فاتخذ الليل جملاً • وترك البلد
هملاً • وسار يريد قهستان ساتراً عورة الانهزام بلباس الظلام
وسمع عسكر أبي العباس تاش بنيسابور وجاوزها إلى المعسكر بظاهرها

نور.

بما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر مرضي الاثر • وانشدني ابو
منصور الثعالبي لنفسه في تلك الوقعة

قل للذي ابان هواه خابش • صاد الفؤاد بصدغه الجمايش
صدغ يرى عند الرياح كانه قلب ابن سيمجور احسن ناش
ان الشتا مضى بقبح فاش • واتى الربيع لنا بحسن رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله • واتاش ابنا الكرام نباش

وله ايضا

ولم يزل تاش مساخمة ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستمالة
والاستقالة والضمان لانيف لطاعته • وعرض النفس والملك
بلسان الضراعة • فلجت بابن عزيز صلابته في عداوة آل عتبة
دون مخابطته ومعاداته ومعاندته فطفق ينفق على الامير
الرضي ووالدته • التي كانت كافلة بالملك ان تاش مقتصر
بالديلم قاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخي من
عنانه فيما يستدعيه وجب التعزي عنها والتكبير عليها حتى ظنا
ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه • وجعلا رباط الخير والشر
بيديه • وقد كنت اروي لصديق لي في تلك الايام بيتين
لابن المعتز سمعتهما في الشباب وهما

شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الاحباب

فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان في وزنهما وضاعهما
للحسين بن علي المروزي وهما

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما راي النساء وامرة الصبيان
اما النساء فميلهن الى الهوى واخو الصبي يجري بغير عنان

فانصف

فانصف لعمري فيما وصف وحكم حكما يشهد به العيان • ويستقل
بصحته الامتحان • وابى الله ان يكون طيرا في شفقة الامر وملك
بمنزلة العم • وعسيف بمثابة الصاحب ووزير يحل الملك
الغالب المستبد برايه الصايب • وفكره الثاقب • واستمال ابو
العباس تاش ما استمه من امر ابي الحسن بن سيمجور وقصد مدار
بولاة التدبير ببخارا واستماله لهم واستنداديهم وايساكا
للوحشة من الازدياد • وصيانة للفرج من الامتداد • وهم
فيما بينهما يهتبلون فرصة الرخاء • ويغتنمون فسحة الامهال
والامهاء • ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستعداد •
ومداومة الاستمداد والاستنجاد • وكتب ابو الحسن بن سيمجور الى
ابي الفوارس بن عضد الدولة بفارس فامده بالفي فارس من
نخب الاعراب وانضم اليه فايق من خواص غلمانه وساير
من استماثهم من اطراف خراسان وكروا باجمعهم على ابي العباس
تاش في خيول غص بما عرض الحبوب • وضاق عن ضمها اضلاع
الشمال والجنوب • فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكرهم الى
البلد لامتلاكه عليه ومساورته الحرب عن ظهر منعة واقتدار
وحال نجدة واستظهار • فعارضهم ابو العباس تاش في مسيرهم
بعبد الله بن عبد الرزاق وابي سعيد الشبيبي وخواص غلمانه
وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى ان صارت كعين الاحول
وظلت حملاته تخطفهم خطفا وتوسع اركانهم هدا وهدما • وكانت
الجماعة بين سرخس الى مقامهم ذاك قد بلغت منهم مبلغا

اخرجت صدورهم واقتعت بالاجفال جموعهم، ايثارا للفسحة
المضطرب والخلاص عن ضيق المعترك وحمل ابو العباس تاش آخر
النهار حملة قدرها خاتمة القتال وآخرة النزال، فتلقاها ابو
الحسين وابو علي ابنه بشكائم قوية، وعزائم في الثبات صبرية،
وردوا منطلقات الاعنة وردوا مشرعات الزحوف بمرهفات
السيوف، فلما انقلب الى مقامه، وقد تفرق في تلك الحملة عنه
سواد حماته وحفظة راياته، شدوا الحملة عليه دفعة واحدة
فاضطروه الى الانهزام واسلام المقام وتداركت الحملات على
عسكر الديلم من جانب فائق حتى تزعزعت صفوفهم، واضطربت
جموعهم، فتداعوا الامان من وقوع السيف خلا من انجتهم صهوات
الخيول فجمعوا في بيت الاسار، على حال الذلة والصغار، ثم حملوا
الى بخارا على الجمال في الجوالق آية ونكالا، وسيقنا من ساقتهم الى
خراسان ارسالا، فاستقبلهم المخانيث بالدفوف والمغازل بدلا
من السيوف والعوامل وامر بهم الى محابس قهندز الى ان اقتسمتهم
الايام بين ممات ونجاة، ذكر انتقال ابي العباس
تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور
على قيادة الجيوش واتجه ابو العباس تاش الى جرجان
فتفصل عنها فخر الدولة متوجها نحو الري واخلاها له ولاهل
عسكره وترك دار الامارة محفوفة بالفرش الفاخرة، والخزائن
العامرة، والاهب الوافرة حتى المطابخ بما فيها من الآلات الصفرية
والاواني الذهبية والفضية، وتقدم بان يسلم اليه خزانة كان

قد اعدها

قد اعدها للحمل اليه قبل الكشفة مشتملة على خمسين الف دينار
والفي الف درهم وخمسمائة تخت من الوان الثياب الى غيرها
من عتاق الافراس وجياد المراكب والدواب، واعداد الاسلحة
والآلات من تجافيف ومغافر ودروع وجواشن وترسة وزانات
اكثرها مغشى الظهور والنصب بالذهب والفضة، وسوغ له
دخل جرجان ودهستان وابسكون واستراباذ الا قدر ما كان
مصروفا الى عمارة القلاع، وارزاق مستحفظيها من الخواص فأمر
ابو العباس تاش بتفرقة تلك المبار والاموال فيمن صحبه من القواد
وطبقات الاجناد حتى جبر كسرهم وقوى اسرهم وواصل لهم الاقامات
والاطماع، حتى آثرت احوالهم وخصبت رحالهم فصاروا ابحر جان
احسن منهم بخراسان حالا، وارغد عيشة وانعم بالا، وجعل فخر
الدولة يتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في تاثيل حاله ○
واستبقاء لنظم جنوده ورجاله، فعل من لا ينفس على اخيه بنفايس
ما يحويه، ولا يضن على صديقه بجليل ملكه ودقيقه، وقد كان
الصاحب يتشوف ما يوجبه له من الاحسان والمواساة، ○
ومواصلة الصلات والكرامات، ومن قبل ما نصح له في استرجاع
خراسان برجاله مخالفة لسلفه فيما اختاروه من مسالمتهما
واغتنام السلامة منهما، فقال له ذات يوم ان حقوق ابي العباس
علي حقوق لو تركت معها على جميع ما آتاه الله تعالى علي من مراتب
هذا الملك حتى اخلع له عن هذا القميص لوجدتني في ادنى درجات
المكافأة، واشار الى واحد يكفيه امارة له على ما اوجبه له ايام

مقامه قبله اشفاقا على مهجته وحرصا على محبته وذبّا عنه في حال
غربته وبين ان اخويه عضد الدولة ومؤيدها ارسلا اليه
يستردانه على اموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان
اولا وله ثانيا مشفوعة بمجلوبات العراق من وشي الثياب و
وفره العتاق واغليا في الاستيام والتطمع حتى لم يبق للرد مجال
ولا للنسيان لعذر مقال وانا في خبر الرسالة فاستظلمت ضوء
النهار واستخشنت جانب القرار وقمت من الحياة على شفا جرف
هار اذ لم يكن في الهرب مطمع ولا في قوس الرجاء منزع وبت
بليلة انقد ازرى الشوكان قد الى ان اصبحت وقواي متخاذلة
واركاني متهافتة خوف الاذن بالداء العياء والداهية الدهياء
فاتاني حاجبه بعد فراغه من الاذن داعيا واذنا فلم ادر اداعي
هوام ناع وادب هوام نادب وطالع ضيافة ام طارق آفة
وحملت في الطريق كناية عن المحذور وتورية دون القدر
المقدور وقد كنت اليه وسير عناني اخصف مرة من ثناني عليه
الى ان حصلت في مجلسه فصادفت من حسن القيام وقوة الاهتزاز
وفرط الاكرام والاعظام وفضل البر والايناس ونصرة الرجا
على الياس ما لم اكن عهدته فيما مضى من مجالسته ومؤانسته وما
زال يرقيني بنشره ويسحرني بلطفه وبره الى ان ثابت نفسي
الي وانحلت عقدة الخوف عني وتطاير الهم عني شعاعا
وذهب سوء الظن جفافا ثم ناولني الرقاع الواردة عليه فنشرتها
عن انباء الاراقم وحماة العقارب على الرسم المعتاد من كيد الاقا

ثم اقبل

ثم اقبل علي فقال كنت على ان اكتم الامير صورة ما ورد صيانة
لقلبه عن نوازع الظنون والاوهام لكني فكرت في حكم الحال
التي تجمعني واياه فرايت اطلاعه ما كتب والافضاء اليه بحقيقة
ما طلبت املك لسكونه واوضح لطائره وانفى لعلاج الشك
عن خاطره واقسم بجميع ما يغلظ به ايمان البيعة انه لا يعدل
خراج العراق باسره على نفاسة قدره بشعرة من بدنه ولا
يرضيه من ترته وان جميع ما املكه من صامت وقائم وناطق
وقاعد حتى فص هذا الخاتم وزر هذا القرطق وقاية لمهجته
ووقف على مصلحته ومعد لدرء الحوادث عن ساحته ومبتذل
في الانتقام له ممن نافسه في ملكه ونازعه حق ارثه حتى ياذن
الله تعالى في ثبته ورده الى بيته فرايت العين منشرح الصدر
صاعد البخت ماضي الحكم على الخصم ايستحق من يسمح بمثل هذه الاكرومة
طوعا وطبعا لا عن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع الى
وجه مطمع ان يتغافل عن معونته وارفاده ويتجاهل دون ما
يجذب اليه زمام مراده لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة
لا اعرف للناس نسيان هذا الحق العظيم وقد استسهلت طريق
المكافاة واصبت عون الله تعالى على حسن المجازاة على ان
الفضل له بسبقي الى البر وان جهدت في المقابلة وشددت
الى الغاية في المساجلة فتعجب الحاضرون من هذا الكلام
والكرم الذي عز سماع مثله في سالف الايام واحتشد الصا
من بعد لمصالح ابي العباس تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه

بما يقتضي الحق عليه ويفيد شرف الوفاء له وبقي ابو العباس تاش
بجرجان ثلاث سنين نابي الجنب عن القرار جافي الجنب دون
الغرار شوقاً الى خدمة سلطانه وحرصاً على عرفان حق ○
اصطناعه واحسانه واشفاقاً من تأويل حساده في ابتعاده
عن خراسان انكاره حق الولاء ونزعه عن رقبته طوق الطاعة
والوفاء وجل همته معاودة بخارا للاستيناف لخدمته والسلامة
من المذمة وارسل ابا سعيد الشبيبي الى فخر الدولة في الاستعانة
على معاودة خراسان فجهز له اسفار بن كردويه وعدة من اعيان
القواد في زهاء الفي رجل من خلص الديلم وكتب الى نصر بن الحسن
بن فيروزان وهو بقومس في صلة جناحهم والزعامة عليهم
في ايرادهم واصدارهم والصدر في ذلك كله عن رأي حسام
الدولة ومثاله والتصرف بتصاريفه في حالتي حله وترحاله
وتاركي سلمه وقتاله وحمل في صحبته من المال لاقامات اهل
عسكره ضعف ما كان خلفه عليه عند فصوله من جرجان فصار
ابو سعيد الى قومس فانتدب نصر لقراه وقرى القواد في صحبته
كما قرى تميم ضيفها وجارها ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل ○
وذلك انه امر بهم في صحن دار حتى اخذتهم السيوف يمنة
ويسرة حتى برد وعمد الى اخرين فحبسهم في سرب واوقد الفحم
عليهم وسد منافس السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر المحبس
وعدم المتنفس وافتات تلك الاموال المحمولة والدواب ○
المقودة راضياً بسمة الغدر وقاضياً على نفسه بالخزي مدى

الدهر

الدهر وانفلت الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على اخر
الى ان وردوها فقرروا الصورة وقرأوا العجمعة المنسوعة
فورد من ذلك على فخر الدولة ما اطار وابعمه وهاج وادعه
وعلى حسام الدولة ابي العباس تاش ما اقلقه واكمده واضعف
عن كل شيء قلبه ويده وكتب اليه فخر الدولة يذكر ما رآه من
تجهيز اليه وتحديره الى استراباذ ليصير المقصود محصوراً بين
العسكرين ومضغوطاً من كل الجانبين الى ان ياذن الله فيه بالبوار
والانقياد الى عثرها من الادبار وانحدر ابو العباس تاش الى ○
استراباذ وضيق بهم اوطان فاخذ نصراً ما قدم وحدث وما نتج
وخبث ورأى الحين قد نفر فاه والسيوف تطلب وجهه وقفاه
فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام فطفق يكتب
في الاعتذار الى الجانبين بانه كالعارك جبا ما ارتكبه وخجلاً
من عوار ما اكتسبه وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح
واستقاله ما تخطى فيه بسوء الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس
من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول انابته ورعاية لحق ○
نسبته وقرابته وعاد ابو العباس تاش الى جرجان على ان يشا
تدبير خراسان وكان فخر الدولة قد استوحش من ابن اخيه
بهاء الدولة لاحوال اختلفت بينهما بعقبه وترخص معها في المفروض
من اجلال قدره ومحله فناهضه في معظم جيوشه مزاحماً له
في اعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه في حشود الاكراد
اولي البسالة والجلاد وسار حتى غلب على كورها مدة بالقوة

السابغة والنجدة الوافرة • ونهض أبا العباس فيروزان بن الحسن
نحو البصرة لتلك الاستصفا بهما واستضافهما إلى أخواتها • فلما عبر
نهر حوس استجاش المقيمون بها من عسكر فخر الدولة أهل
البصرة عليهم فحشد منهم خلق عظيم إلى المسالك بينه وبينهم • فثقبوا
سكور الأهواز عليها حتى غمرت الطرق • وأعوزت المجال والمخترق
وبقي هو ومن معه في مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه
الأخبار • وطمست دونهم معالم الإقبال والإدبار • ووافتهم
أفيال جنود من حول الموصل على عوادل الطريق لمظاهرة
المقيمين بالبصرة فلما أحس بهم أبصار أصحاب أبي العباس فيروزان
بن الحسن رأوا فيهم شوكة ووفورا • وولوا على أدبارهم نفورا •
وكان بدران قريبا منهم فلما رأى الكشفة جاء مانعا • وثبت
بنفسه مدافعا • فأعياه سد ما أخل • وعقد من حل ورد
ما أخل • فاستمرت الهزيمة بهم إلى فخر الدولة وهو بسوق الأهواز
وشكوا إليه ضيق الحال • وتجمعوا على بيتهم للمطالبة بالمال •
فغاظه ما ظهر في الأول من عجزهم وخورهم • وما انتشر في الناس
من سوء فعلهم وآثارهم • فانكفأ بهم راجعا إلى همذان على ظاهر
هدنة وضح التقاضي عليه ومنها إلى الري وذلك في شهور
سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بأرض جرجان خارج
عن الحد في هذه السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش وجوه
قواده وأعيان رجاله • والمذكورين من كتابه وعماله
وسائر حاشيته وغلمانه • خلق عظيم وعرضت له بآخرة علة

صعبة

صعبة ختمتهم به فقضى لسبيله رحمه الله وقد كان أصحابه أوغروا
قلوب أهل جرجان برسوم ذميمة ابتدعوها • ومعاملات قبيحة
اخترعوها • وأعمال عنيفة أوقعوها • فلما انتشر خبر وفاته
صاروا إلبا واحدا فكبسوهم في الدور والحجر • وطلبوهم تحت
كل حجر ومدر • وجعلوا القتلى جفلى فانتظم الكبير والصغير
والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل • والإبادة
والتمثيل • وشغل وجوه أهل عسكره دهاء المصيبة عن الفزاع
لفقيدهم وفقيههم • وإخماد جمرتهم واستكفاف معرتهم • واقتضتهم
صورة الحال البروز إلى ضاحي البلد لضبط الأمر وضم النشر
وإتقان التدبير • في اختيار من يصلح للتأمير • فبرزوا إليه واتفقت
كلمتهم على أبي أحمد بن أخت له فقدموه وطالبوه بمال البيعة
فأطلق لهم ما وجد في خزانة الماضي مضافا إلى ما أمكن تحمله
واجتبا له عشر بنية حتى هدأت فورتهم • وسكنت سورتهم وتولى
النفير من البلد بمد أهله أيديهم إلى عورات نساء الخراسانية
بغيا وكاد أن تحركهم الحمية للانتقام • من أولئك الرعاع
والأغنام • فركبوا على سمت كراباذ لمجاهدتهم وثار أولئك الأشقياء
إليهم متهافتين في الدمار • تهافت الفراش في النار • فلم ينشبوا
أن حمل أهل العسكر عليهم كشفوهم عن رؤوس بلا غلاصم وأيد
بلا معاصم ونفوس بلا عواصم وفرشوا أرض ذلك الفضاء بجثث
القتلى متشحطين في الدماء • وضربت الدور والحوانيت بالنفاط
وبسطت عليهم الأيدي بالغارات • فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد

يلبثوا

طاب •

بن المهلب مثله نكاية رادعة • وعقوبة وازعة قامعة • وعندها
أرسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الأمان • ويناشدون
الله والإيمان • فكفوا عن القتال • وانكفوا إلى الرحال • فسكن
نابض تلك الفتنة • ووقع طائر الهيج واللوثة • واختلف العسكر
في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان خاصة إلى خراسان
واستحب الديالمة الانقطاع إلى فخر الدولة والاختصاص
بخدمته وكتب صاحب الجيش إليهم أجمعين بالتوقف ريثما يلحق بهم
الأستاذ أبو علي فيطلق لهم أموالهم ويحقق في الولايات •
وزيادة الإقامات • فحفزهم حب خراسان عن التوقف ○
وأعجلهم طول العهد بالأوطان دون التثبت فساروا على سمت
الرو وقد عاود نيسابور للاتصال بأبي علي بن سيمجور وهو
إذ ذاك صاحب الجيش مكان أبيه وأقام الباقون من الديالمة
إلى أن وردها الأستاذ أبو علي فاستعرضهم وأثبت أساميهم
وأطلق أموالهم وسيرهم إلى الري فأمر فخر الدولة بنقلهم
إلى الدار وتوجيههم على أمثالهم بمزيد الإكرام والإيثار رعاية
منه لحق أبي العباس تاش من جانب واستظهارا بهم من آخر وقد
كانت جرجان تموج بالغاغة وذوي العيث والدعارة ممن قتلوا
أهل خراسان ومثلوا بهم فوضع الأستاذ أبو علي الأرصاد لهم
وبث العيون عليهم وقتل منهم بمن حمل منهم يوما واحدا جريد
واحد زيادة على ثلاثة آلاف رجل صلبا وصبرا وغيلة ومكرا
فتمت بذلك سياسته • واستفاضت هيبته واستقامت أموره

وصفت

وصفت جرجان في أيامه ممن يتحقق في فساده أو يحكم بغير استقامه
وسداده •

ذكر أبي الحسن بن سيمجور في قيادة الجيوش إلى أن قضى نحبه وانتقال الأمر إلى ابنه أبي علي

فاستقامت بولايته وقراره بنيسابور وانحدر أبو العباس تاش
إلى جرجان بحليا أمور خراسان وانصرف عسكر أبي الفوارس
إلى كرمان وعاد فائق إلى بلخ واستقر أبو علي بهراة وكان ابن
عزير يستحث أبا الحسن على قصد جرجان ويؤنبه على التقاعد
عنها وهو يستمر على المعلوم من عادته في استشعار الحلم واستصحاب
السلامة والسلم إشفاقا من عثرة قدم • تقضى إلى نحبه كالتي
عرضت لأبي العباس تاش بجرجان من الكشفة التي جلبت على الدولة
من الوصمة ما سار في البلاد خبرها إلى أن أقيم أبو علي محمد بن
عيسى الدامغاني للوزارة وذلك في جمادى الآخرة من سنة
سبع وسبعين ونفي ابن عزير إلى خوارزم فجهد أبو علي في تسديد
الأعمال وحفظها على الاعتدال • فأعياه ما أراد لانسداد
الولايات • وتراجع الارتفاعات • واستشراء الحشم وضراوة
الأتراك وتسحبهم على الوزراء واحتكامهم في المطالب خلفا
للجام والمراقبة • وأين من سر السياسة وصدق المؤاخذة
مصروف بأبي نصر بن أبي زيد وهو الشهم الذي يصيب المحز
في أقواله • ويطبق المفصل في أفعاله • ويبذ الكفاة بغنائه
ومضائه • وصواب تدبيره وآرائه • ثم بدا لهم في أمر أبي علي
فرد ثانيا إلى مكانه من صدر ديوانه • واتفقت لأبي الحسن بن

سيمجور بين هذه الاحوال نهضة الى حرمات بعض متنزهاته
بواحدة من خطاياه فخانته نفسه خلال الترف لها وخر
الى الارض عن صدر دابته واخفي خبر وفاته الى ان رد
الى داره واستعد لاظهاره وورث ابو علي رياسة بيته
واخوته وجيشه فسد الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته
وحسن رعايته وخفي ايالته وولايته وحسنت طاعة
ابي القاسم اخيه وساير اخوته له وعمر رضاهم به وبلغ ابا علي
ان هراة سميت لفايق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه
على ما استجازه من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون
هراة لفايق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل
واحد منهما اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا على الرسم
لولاة الجيوش وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو
بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول منتصف الطريق عدل الى
فايق بما صحبه فعلم ان ذلك مكر مكروه وغدر مستور وانه
المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فايقا شخص عن
هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد
حتى انقض عليه فيما بين هراة وبوشنج فعل من اتخذ الجد جدنا
وصاحبا ونكب عن ذكر العواقب جانبا وعلم انه متى استمرت
به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة وعرف جبنه
وخوره لم يرتفع له ولا لاهل بيته راية ولم يعرف لانتقاض
الامور عليهم وانسياب المحذور اليهم من كل وجه غاية

بعده صح

فصدق قتاله آخذا بفرط الجد والتشمير ودق عسكره دق
المضطب اسناه المسامير فولوا به منهزمين الى مرو الروذ
واردفهم ابو علي من قواده للتشريد به في هربه فوافقوه
بقنطرة مرو الروذ مستعدا للمدافعة ومحتشدا للممانعة
فقارعهم حتى اسر عدة منهم وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى
مرو خاطبا عمل ابيه ومنذ لابسا بحرماته ومساعيه
ومتكثرا باخوته وذويه فتحقق الرضى سؤله ووجد اليه
فيما استدعاه رسوله ووفر قيادة الجيوش عليه وناط
مصالحهم بيديه وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة
وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد
نال بما اراد فهذب الاعمال ورتب الاحوال والرجال واخذ
امره يزداد نورا وبهاء ويتضاعف قوة واستعلاء الى ان
تلقب بامير الامراء المؤيد من السماء وامتدحه ابو بكر
الخوارزمي في قصيدة اولها

ان الاولى خلف الخدور رهم في الضماير والصدور
وقع الغبار عليهم فغدا ابيته على العبير
لما مشين على الثرى شاه المغار على المعبر
فغدوت في حال الاسير وقد مخت حال الحسير
وكذاك من عشق النجوم ورام صيدا للبدور
يا سايلي من في الهوادج والبراقع والستور
بهما الرضاع من المنية والفطام من السرور وسالت من فدح المنابر

حين يخطب والسرير

فهو الأمير بن الأمير بن الأمير بن الأمير
المشتري المدح القليل بما له الجم الغفير
من سيفه كسر الجبير وسيبه جبر الكسير
والناظم المعنى الطويل بلفظه النزر العصير
يرمي أعاديه بسهم من سعادته طرير
حتى لو افترشوا الحرير لساءهم مس الحرير
ويبوئ البهم الذكور بتلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدى وعداته حشو القبور
أستغفر الرحمن بل حشو الحوامع والنسور
وبصوم صارمه يفطر بالجماجم والنحور
وإذا أتاه سائل لا رب الشويهة والبعير
أبصرته بفنائه رب الخورنق والسدير
أأحمد بن محمد هذي الثمار من البحور
لو كانت الدنيا نذور ربلى الحقائق في الأمور
ما صيغ تاج محمد الأمين القمر المنير
وأتاه البديع أبو الفضل الهمذاني وهو بمرو يمتدحه بالقصيدة التي أولها
بلى أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلماء واليلبا
وأترك الخود معسولا مقبلها وأهجر الكأس تغدو واشربها طربا
حسبي الفلا مجلسا واليوم مطربة والسير يسكرني من مسه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفا إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل

تظل تنثر من أجفانها حببا دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للعلى عذبا موارده يبناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا
طلعت إلى قمر أسعد امنازله حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما رجت درجت وكنت كالورد أبهى ما أتى ذهبا
أستودع الله عينا تنتحي دعجا حتى تؤوب وقلبا يرتمي لهبا
وطالعنا أخذت منه النوى وطرا من قبل يقضي الهوى من حكمه اربا
غضي عليك قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا
أبى المقام بدار الذل لي كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الأمير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الأمراء أفخر بما ملكت إلا ثمناك مولى واشتهاك أبا
إذا دعتك المعالي عرف هاتها لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
أين الذين أعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما أعطى ذهبا
ما الليث مختطما والسيل مرتطما والبحر ملتطما والليل مقتربا
أمضى شبا منك أدهى منك صاعقة أجدى يمينا وأدنى منك مطلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يا من يراه ملوك الأرض فوقهم كما يرون على أبراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول أصدقه ولا تهابن في أمثالها العربا
فما السموأل عهدا والخليل قرى ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا

من الامير بغشار اذا اقتسموا امانی المجد فيما اسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان بعد بنی والمازنی ولا العبسی منتدبا
هذا الرکنه وذا الرهبه وذا الرغبه وذا اذا اطربا
نعم واستولى على بلاد خراسان وارتفاعاتها. فجبيت
له عن اخرها. وكتب الرضی اليه يستنزله عن بعضها لاطماع
حشمه وعوارض نوبه. فاعتل عليه باستغراق اعطيات
جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته. الى زيادة يتحملها
لتتمة اطماعهم فی السنه وهو فی ذلك يخلط طاعة بجفاء
ويستر حسوا فی ارتغاء. ونصب ابا علی البستی لصحابة الديوان
وبسط يده فی المصادرة والاستخراج حتی كنس خراسان فلم يبق
بها ذو در الا ادمی حلقه والصق بظهره بطنه. ثم طالبه
باداء ما ارتفع عليه. وامر بدق يديه على رجليه. الى ان
اعفی بعض المال. وبات باخره على شر حال. وصار يكاتب
الملقب بشهاب الدولة وظهير الدعوة هارون بن ايلك
بغراخان وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان
وما وراء النهر ويملك على الرضی بخارا وكان مثله كما قيل
سلوا سيوف محمد بمحمد ۝ رضخوا بها هامات آل محمد
وهو فی ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استعمالا
بزعمه للتقية او تحمدا الى الرعية. وقد كان طايفة من دهاقين
ما وراء النهر قوم املتهم ايام تلك الدولة فترقت نفوسهم
الى الاستبداد. والاجماح به عن خطة الالفة والاعتياد فواصلوا

بغراخان

بغراخان كتبهم فی تورد ذلك الحريم. وشاحذين عزمه فی المضاء
والتصميم فصار يتطرف تلك الحدود ويشافهها كالبازی يحل بصاح
اجنحته علی التدريج تانيسا له من الوحشه وتسكينا من الروعه
ونصرته على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا
انج الحاجب فی طلبه وردعه علی عقبه فالتقيا على حرب شابت
الذوايب واثارت الكواكب ثم انجلت عن اسر انج الحاجب فی الكبار
من القواد والكثير من الافراد. واستحكم لذلك طمعه فی تورد
ساير البلاد.

ذكر فايق وما انتهى اليه امره بعد الوقعة المذكورة

اقام فايق بناحية مرو الروذ علی رم الرث وجبر
الكسر واسو ما فشا فی عسكره من كلوم الحرب فلما التحم امره وانضم
نشره سار يريد بخارا عن غير استيمار واطلاع راى فارتاب الرضی
به. فلما قاربها برز الى فضاء السهلة ببابه. ورماه بانج وبكتوزون
الحاجبين وساير مواليه وموالی ابيه فلما رهقه الكفاح وعضه
السلاح اجفل اجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه. بين
القتل والتنكيل والاسر والتذليل واوى الشط منهزما. فوجد
السفن معبئه فركب الخطر واحتال حتى عبر وسار الى بلخ على
ان ينتاش منها ويرتاش واقام بها اياما ثم عبر الى الترمذ وواصل
بغراخان بكتبه يبعثه على الانحدار. ويحثه على البدار. وخوطب
من بخارا والی جوزجان ابو الحارث احمد بن محمد الفريغونی ۝
بقصده وحصده فجمع جيوشا عظيما وساق من ارض جوزجان بربما
طاريا ومقيما. فانتدب لهم احد غلمانه وكان يعرف بارسلان

اخر سالار في زها خمسمايه من الترك والعرب فانقضوا عليهم
انقضاض الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا. وجعلوهم
طرايق قددا. وفرشوا الفضا بجثث القتلى. وغنموا اموالا لا يعد
ولا يحصى. وعادوا الى بلخ ظافرين. وقد كان طاهر بن الفضل
ملك الصغانيان على ابي محمد المظفر محمد بن احمد وهو واحد
خراسان جلالة قدر. ونباهة ذكر. ومتانة راي. ومجد وصناعة
نظم ونثر. فانقطع ابو المظفر الى جانب فايق صارخا غافا
حسن اصراخه وامده بمن برده وراه. فاغتنم طاهر بن الفضل
خفة اصحاب فايق ببلخ فلفت لفته اليها طامعا في الاستيلا
عليها فزحف المقيمون بها لمدافعته. ونهدوا لمناجزته.
وتناوشوا القتال. وصدقوا المصاع والصيال. وثقف بعض
العرب مكان طاهر بن الفضل فقصده فصدعه بطعنة ازرته
عن مركبه. وبادر اليه فاحتز راسه عن موكبه. وثار الصياح
بقتله فولى اصحابه على الادبار هاربين بين سمع الارض وبصرها
وهايمين بين اثنا حجرها ومدرها. ولما جرى في امر الحاجب
ما جرى ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسرى. انتقضت
مرابر الاعمال بما وراء النهر ووهت قواها وتداعت قواعدها
واشفق الامير الرضي واركان دولته من ان يتفاقم الامر
ويتراكم الشر ويعضل حادث الدا. وينضب باقي الما. فخوطب
فايق في الاستمالة. وقوبل عثرته بالاقالة. واستنهض الى
بخارا للاستظهار به على سد الخلل وتعديل الميل. وسرب عنها

بعد

بعد حسن القبول والاقبال. وازاحة العلة بالاموال الى
سمرقند فلم يرعه الا خبر بغراخان وهو المتلقب بشهاب
الدولة وظهير الدعوة. وقد استعار اليه قوادم الطير كيفا
لم يبل فيه حاتما ولا غمضا فولى فايق من بين يديه هزيما ولم
يلو على تعرف الحال مقيما. وجعل من كان معه من اصحاب
السلطان عرضة للسيوف. وفريسة لانياب الحتوف.
وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطاه
منه لبغراخان على آل سامان فعل من لا وفا له. ولا ورع
ولا جابر دعه ولا نعمة تحفظه ولا حرمة تكفه. وسار كما هو حتى
اتى بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهيا والخطة
النكرا. والقضا المبرم من السما. حتى اضطر الى مفارقة الدار
واللياذ بذمة الاستتار.

ذكر ورود بغراخان بخارا وتحرم الرضي عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد قفول بغراخان عنها

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله
فايق بخاصته ومنخرطا في سلكه ومكثرا لسواده وملقيا اليه
بيد قياده كانهما على ميعاد. وتلاقيا على سابق صحبة واتحاد
ولما استقرت الدار به قرارها. استاذنه فايق في النهوض
الى بلخ لاستضافتها الى ولايته واثارة اموالها لخزانته فاذن
له فيه. وسار الى الترمذ وبعث بعثا الى بلخ فاحاط عليها ونصب
بها من يجبي الاموال ويدبر الاعمال. واقبل الرضي وخصة
البرود من مستترة في برح البكرة حتى عبر النهر الى امل وقد

كان هاجر إليها أمامه عدة من خواصه وحجابه وغلمانه في ابرع
عابرين جائرين فاعتدوا بمقدمه عيدا • وظنوا أنهم أنشئوا
خلقا جديدا • وتلاحق بهم أبناء الهجرة فنموا بهم عدة وعديدا
واعتمل الأمير الرضي أبا علي البلعمي للوزارة • وضبط أطراف
ذلك القدر من الإمارة • فعجز عن التدبير لضيق الحال ○
والمجال وانسداد وجوه الأموال وتزايد عدد المهاجرين
من الرجال • وقد كان نفي عبد الله بن عزير إلى خوارزم بعد
صرفه عن الوزارة فأمر الرضي بالكتاب إليه في استحضاره
لاستئناف الاعتماد عليه فيما كان يليه • واستكفائه المهم منه
وفيه بادر إليه • مغتنما خدمته في تلك الحال • ومتوصلا إلى
ترضيه بوجوه الاحتيال • وقد كان الرضي من لدن هجوم
الشراة واستطارة شرره بأعالي ما وراء النهر من جهة الترك
يكاتب أبا علي محمد بن محمد بن سيمجور وهو الملقب بعماد الدولة
والمعتمد بحياطة الحوزة وحراسة البيضة في الاستنفار ○
والاستمداد • ويتلطف له في التجشم للجهاد • وتطهير تلك
البلاد • من ذوي البغي والعناد • بعد أن ساجله بأموال
خراسان وأغضى له • عن ارتفاعاتها ترضيا له واحما للانفة
واستبقاء للصنيعة عنده • وطمعا في الانتفاع بشائبة الاستظهار
بمكانه فعجز والاستعداد للنهوض والاحتشاد للبروز حتى
استغرقت مواعيده • شهورا عدة ثم نهض من نيسابور إلى سرخس
ومنها إلى مرو في ثقلها من المدة وتربص في أثناء ذلك زحفه

القوم وتغلبهم فيشاطرهم الملك على حاجز النهر فيكون له
ما دونه ولهم ما وراءه وكان اتصل به وبخدمته طائفة يزينون
له هذا الرأي ويحلونه في عينه ويجلونه في معرض الصواب
عليه تقربا إليه ويوحون إليه أنها دولة قد تمت أيامها
وحان أن تنوح عليها أضدادها وهامها • لاستمرار العثرات
عن الأطراف بها • وانثيال الفتوق من كل الوجوه عليها • وأن
المعني بنصرتها يخذلك بخذلانها • ويحكم عليه بالإدبار
لإدبار زمانها • ووهي قواعدها وأركانها • فلما استقر
ذلك السلطان بأمل الشطط كتب إليه بأن الخطب قد برح ○
والبلاء قد برح وأنه آن له أن يستأثر بعز الأحدوثة في
مظاهرته • والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته ودولة
آبائه في طاعته ونصرة دعوته • وكف الأذى عن وجهه
ورده إلى دار قراره • ومعشش أوليائه وأنصاره • فقد
قطع طمعه الآمنة • واستشعر البأس الأمن لديه • وقبل
هجوم بغراخان بخارا ما وصله بكتبه في الاستصراخ والاستغاثة •
ويجاوزه التلطف إلى التضرع في الاستنفار والاستجاشة
ومن تلك الكتب فصل حفظته عن إنشاء أبي علي الدامغاني
وهو وإنما تحتاج الدولة إلى عمادها إذا قصدها من يزعزع
أسبابها وأوتادها • فالله في هذه الدولة فقد جاءتك منتجعة
إياك لا تبتغي بك وكان نائبه فيه تأثير الرجاء في الصخرة
الصماء • لا خدش ولا حك ولا شق ولا شك وفي خلال ذلك

بساط الدولة والافتراح يستزيد تربيته في المخاطبة على ما
كان يخاطب أبوه وغيره من أصحاب الجيوش به ثم لم يرض
بذلك حتى اقترح الجمع له بين التلقيب والتكنية على العنوان
منسوب الولاء إلى أمير المؤمنين وإنما ولاؤه لآل سامان
وقابل الرضي جميع ذلك بالإيجاب ووفاه ما اشتهاه من
تشريف الخطاب وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم
للرضي ورد عليه رسولا يعرف بارسطاطاليس أيام مقامه
بآمل زيادة على المبذول له يجري مجرى التشطط والمحال
فقال أيها الأمير إن ذلك لسلطان اليوم بحيث لو اقترحت
عليه مخاطبتك بالتأمير لفعل ولكن وراء اليوم غد فاختر
لنفسك ما هو أجمل بك • وأزكى في الأحدوثة عندك • فكادت
عند ذلك العيون أن تصوب • والقلوب أن تذوب •
واستمرت القسوة به فلم يزد على وعد مطال وتسويف ومطال
لا جرم أن الله تعالى وتقدس لقى الرضي شغل ما دهاه •
ونصره وآواه • وأعاده إلى خطته ومثواه • وختم بالخير عقباه •
وأسلم الغادر لما اكتسبت يداه • وما الله بظلام للعبيد

ذكر انصراف الرضي إلى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها

واتفق أن مست بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا
فانزعج عنها عائدا وراءه • ومعاودا أهواءه • فتبع أهل بخارا إلى
نفاضات عسكره فطحنوهم طحنا • ودحروهم دون حواليها
دحرا • وبادر الأتراك الغزية على إثره شلا وطردا وعركا

وطمحنا

وطمحنا ولم ينفك يمضي على الإحجام والانهزام • على ما به من
ألم السقام • حتى ذاق كأس الحمام • وحين أحس بإجفاله على حاله •
ابتدر العبور إلى بخارا فيمن تسارّا إليه من حاشيته ورجاله
فتباشر الناس بما أتاح الله له من عوده إلى دار ملكه وقرار
عزه تباشر الصيام بهلال الفطر • وذوي المحول والإعدام
باستهلال القطر • وصفت له بخارا وسمرقند وما صاقبهما
اي قارنهما
من ولايته وسائر مملكته ولما رأى أبو علي ما استقام له من
الأمر وسقط من أيامه الشر وخمد من نائرة الفتنة التي قدرها
صما لا تسمع وذهبا لا ينقطع وانضاف إلى ذلك أن بغراخان
لما ألقى عصا القرار ببخارا كاتبه على الرسم الذي كان
ولاة خراسان يكاتبون أصحاب جيوشهم بها عن وفاء له
بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتواصيا بها من النزول
على رتبة التماثل • واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف
والتعادل • سقط في يده وفت في عضده وذهب عليه
أمره وأظلم عليه رأيه لإسفار الأخبار عن خلاف تقديره •
وانكشاف العواقب عن ضد ما أجاله من قداح تدبيره •
فاستشار نصحاءه فيما دهاه • واستقدح آراءهم فيما عراه •
فأشاروا عليه بمعاودة التقرب • واستئناف التلطف ○
واجتناب ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية • ويسد
خلل التقصير في الطاعة • فأعد من صنوف الأموال والهدايا
يا
ما رام ترضيته به • واستمال له قلبه عليه وسنح لفايق بعد احساسه

بعود الرضي إلى قرارة ملكه أن يهتد إلى بابه • متغلبًا عليه
ومتحكمًا على رسمه فيه • وقد كان دهى الرضي من جهته مثل
ما دهاه من جانب أبي علي تضامنًا عن بدايته وتقاعدًا عن
فنائه وتعاميًا في فرض طاعته وولايته • فضرب الرضي
وجهه بوجوه حجابه ورجال بابه • وناوشهم الحرب بغلمانه
وكفاة أعوانه حتى استلحمت العدد الجم من الفريقين وفرشت
الفضا بالقتلى من الجانبين ثم انفلت عنهم هزيمًا • وحث
مركب النجا حرصًا على النجاة هشيمًا • فعبر النهر على الأطراف
وتلاحق به من أخطأتهم ظبات السيوف وحلق الإسار من
أصحابه • فانحدر بهم إلى أبي علي متفئلًا في حبله ومنخرطًا
في سلكه • ولائذًا بذمته ومستذريًا بظل طاعته • ووافق أبو
علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر باقتراحه • ○
ويعد على الحادثات حد سلاحه • واستقبله بأهل عسكره
على أتم إجلال وإعظام • وأعم إكبار وإكرام • وأحسن ترتيب
وترحيب وبشر رتيق وترحيب وتنسم بمكانه روح الغنى
عن الرضي فصرف إليه ما كان أعده له من الهدايا مفصحًا
بالجلاء والخلاف • ومصرحًا بالتمرد والانحراف • وتحالفا
على الصفا والوفا والتظاهر على الأعداء • ونهضا إلى نيسابور
للاستعداد • وتخيرا الرأي في حسم الفساد • ولما يئس الرضي
من صلاحهما له دبر في الاستعداء عليهما والانتصاف منهما
بمن يشتد بأسه • ويجد في اللقاء مراسه • فوقف به التدبير

على

على الأمير أبي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من أمارة الخير واعتكافه نه
على غزو الهند احتسابًا لثواب الله • وادخارًا لكريم القربة
إلى الله • فأرسل إليه أبا نصر الفارسي النائب عنه ببابه وكتب
على يده بذكر ما أعياه من الداء بمكان مولييه أبي علي وفائق ○
وخطبهما على دولته وقصدهما إياه في نفسه ومملكته واستيثارهما
عليه بجميع ارتفاعات حوزته • غير راجعين إلى خشية ولا راعين
حق نعمة • ولا مستمسكين من الحياء بعصمة • وأن الذي قد دهمه
من أمرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف إلا من
جهته • وما يرجوه من معونته • وألطف القول في استدعائه
وتطميعه في جمل ما يتكلفه من نصرته أو لبانته • بفرط قوته وغنائه بنه
فصادف وصول الكتاب والرسول نفسًا منه من ناحية الإجابة
منشرحة لطاعته • توافقه إلى مقام الجمال بارتهان
رضاه وموافقته • وبادر بالعبور إلى ما وراء النهر للقاء الرضي
ومشاهدته • وإسماع المقصود من رأيه وإشارته • ونهض
الرضي إلى ناحية كش تخيرًا بها على موعده ووصل إلى الأمير
سبكتكين فالتقيا هناك على أحسن ما يسمع به في مثله من تسوية
المواكب وتعبئة الخيول والكتائب • وقد كان الأمير سبكتكين
يستعفي لشيبته عن منزل الخدمة • ويلتزم الأرض على رسم
الطاعة • فأعفي عنه إكفاء بصدق العناية والرعاية
منه حتى إذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف وأصابت
عيناه صفحة وجه الرضي أزعجته روعة الملك وأبهة العز

للنزول والتبرع بما كان يستغني منه قبل الوصول فتلقاه
الرضي بانواع الاكرام والاعظام • ورعاية الحق والذمام •
وجرى مشهد لم يسمع بمثله في الفخامة • وتباشر الخاصة و○
والعامة • وامر الرضي باقامة ما وجب اقامته له من صنوف
الانزال واتباع ذلك بما يصلح لاتباعه من طبقات الرجال •
وساله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه ويصرف الى قصد علي
وفايق وكفاية شرهما عزمه فضمن له حسن الطاعة وبذل
الوسع والاستطاعة • واستاذنه في الانكفاء الى وطنه
ريثما يجمع متفرق الاهبة • وينظم مستنثر العدة • ثم يواجه
الخطب بجد جديد • وحد حديد وباس شديد • ورجال
يموجون في بحار من حديد • فاذن له وصرفه وامر له من
الخلع الفاخرة • والاجنبة الباهرة • بما ضاهى جلالة قدره
واكد الثقة بصادق وعده • ورجع كل منهما الى مكانه فاقبل
على استصلاح شانه • ومحادثة سيفه وسنانه • وورد على ابي
علي من ذلك ما ابهم عليه وجه التدبير • وسد عليه باب ○
التقديم والتاخير • وجعل الراي شورى بين اصحابه • فيما
كشر له الامر عن نابه • وكانت زبدة محضهم مكاتبة فخر الدولة
ومعاقدته ومواداته ومعاهدته • وتاميل جال في جانبه
ترجى ليوم العثار • ونائبات الليل والنهار • فارسل اليه ابا جعفر
بن ذي القرنين بما اعرض من تحف خراسان واوفد الصاحب
بمثل ذلك طمعا في حصول الغرض المقصود من الاتحاد على يده

ويحسن

ويحسن سفارته وساطته • وحدثني ابو جعفر انه دخل على
الصاحب فعرض عليه ما كان صحبه ثم قال له مخاطبا عن صاحبه
مثلنا في حمل هذا التافه اللطيف الى مولانا الصاحب الجليل
مثل من يستبضع التمر الى هجر فقال الصاحب قد يحمل التمر الى
من مدينة الرسول الى هجر لا للحاجة اليه ولكن للتبرك به
وسعى الصاحب في تمهيد الحال وتوكيد اسباب الوصال •
حتى تمت الالفة • واشتبكت العصمة • ودرت المكاتبة واستحكمت
الصدقة • وقد كان مامون بن محمد صاحب الجرجانية وابو
عبد الله خوارزمشاه قد احسنا التقرب الى الرضي ايام
انحيازه الى آمل بما ساعد به الوقت عليه من مال ورجال
فعرف ذلك لهما واحب ان يجزيهما عما خدماه به وقدماه
من قدم الطاعة له فجعل نسا برسم مامون بن محمد وابيورد
برسم خوارزمشاه وعقد لكل واحد منهما على عمله عقدا فانهض
كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير ما اضيف له فافرج
ابو علي لمامون بن محمد عن نسا لحال في المودة بينهما قديمة •
واسباب في الاتحاد وكيدة • ودفع ابا عبد الله خوارزمشاه
عن ابيورد اعتلالا بانها ولاية احد ابني ابراهيم وانه لا يمكنه
النزول عنها الا بعوض له منها وامر بطرد اصحابه عنها وشلهم
دونها فاسر ذلك خوارزمشاه في نفسه الى ان يمكن من
الفرصة في امره • فاستشفى منه على ما سنشرحه عند الانتهاء
الى ذكره • وطلعت خلال ذلك رايات الامير سبكتكين ○

من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد جمع واحتشد واستمد
واستنجد وقام في الاحتياط والاستظهار وقعد وساق امامه
الفيول التي كان ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته
وسار الرضي الى الجوزجان والتقى الامير ابي الحرث الفريغوني
واليها واقام الى ان وصل اليه الامير سبكتكين ويحويه الشار
ومن قد جرى مجراه في زعماء البلاد • في طبقات الاجناد •
فاجتمع سواد شرقت بهم المسالك والمذاهب • واجدبت عليهم
المراتع والمشارب • فنهض ابو علي وفائق من نيسابور الى هراة
وفيها يلتكو غلامه وصاحب جيشه مخيم بها مذ اقفعا عنها •
ومن انضاد دونها • وضوى اليه من كان مقيما من جهته بمرو والرود
وباذغيس وحدها • اخذا بالحيطة واحتراسا من الغرة وسار
الرضي في مرافقة الامير سبكتكين حتى اناخ بناحية بغ وارسل
عند ذلك ابو علي الى الامير سبكتكين يذكره الحال التي كانت
بينه وبين ابيه من المواتاة الممهدة • والحرمات الوكيدة • وما
استمر عليه بعده من سيرتهما في الاتحاد والوداد • والاشتراك
والاشتباك • وسأله ان يتوسط بينه وبين الامير الرضي
على ما يجلو حزازة قلبه • ويطفي حرارة غيظه • ويستبرد شارد
اناته • ويمسح جانب مرضاته محتكما عليه بما يستصوبه في حسم
الداء • وتسكين الدهماء • وحقن الدماء وتأليف الاهواء • فاحسن
الامير سبكتكين الاصغاء الى ما سأل وشد النطاق لما التمس
ومال جهده الى الاستصلاح ووضع السلاح على عادته في

كراهة

كراهة الفتن • واماتة الاحقاد والاحن • وسأل الرضي في
مجالس عدة شفاها ورسالة ان يأخذ بأدب الله تعالى في
العفو والغفران • واقالة العثرة بفضل البر والاحسان •
ايثارا للذي هو اقرب للتقوى • واحمد في البدء والعقبى •
ولم يزل به على اتصال نغرته • واشتعال جمرته • حتى سمح بالاجابة
واسجح بالعفو والاقالة • على ان يفتدي من ارش عصيانه
بخمسة عشر الف الف درهم يؤديها في ثلاثة انجم على
رسم المواقفات وكتب للامير سبكتكين بذكر ما استمر من امر
الصلح على يده • وانتظم من عقد الصلاح بسعيه وكده •
وتشاور اصحاب ابي علي ووجوه قواده في اقتسام هذا المال
بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامة • واغتناما لما يرجون
عليه من السلامة • فصادف ذلك حدة من شبانهم ونزقا
من احداثهم وذهابا منهم بانفسهم عن الاذعان للمكافة •
والرضى بالصلح الجامع لمصلحة الكافة • وسار من خوبان
الاكراد وسرعان الصعاليك طائفة الى معسكر الامير سبكتكين
فاختلفوا اليه غلاما له كان يلي امر فيلته وقتلوه في عدة
ممن اصابوا غرتهم وانضاف الى ذلك ان رسول الامير سبكتكين
لما كرر وراءه بجواب ما تحمله وافق ابا الفضل الزيادي
احد اثبات ابي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم فقال له
هيهات ان شيخك لفي ضلال • وان صاحبك ما يطيق اولا
في مجال ما نحن بانطلاس الصلح واشنابه • ما دامت هذه العبو

حافظة سوادها والعواتق حاملة نجادها • يعني به قول القائل

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم •

فلما نمت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط غضبا وقضى من اغترار القوم عجبا • وعزم على المناجزة • واستخار الله في صدق المجاهدة • وارسل الى ابي علي ان خذ في ارهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما لا يفيتك منه غير جدة الحسام • وثبات المقام • وزحفا الى الفضاء الرحيب (تتفرق فيه / موضع) يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة اربع وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول مقانب ومناسر • وعبى الجيوش ميامن ومياسر وشحن الصفوف بفيلة مجفجفة كانها شواهق اعلام • او طوارق غمام • ووقف الرضي به وبالامير محمود ولده بالقلب مشحونا بكماة الرجال • ومحفوفا بكفاة الابطال •

من كل اروع يرتاع المنون له اذا تجرد لا نكس ولا جحد

يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حوبائه يرد

وسار فخيلت الارض سائرة • والجبال مائرة والنجوم منكدرة • والسما منفطرة واثار من وقع السنابك نقعا اوهم كسوف النهار الشامس او عود ظلام الليل الدامس • وقد كان ابو علي رتب جيوشه اسوة الامير سبكتكين فجعل فايقا في الميمنة واخاه ابا القاسم بن سيمجور وبلمنكو في الميسرة • وثبت في القلب مع حماته وذوي الوفاء والحفيظة من ثقاته • وكانوا على الحقيقة جنس الطواويس من وميض الحديد ولمعان الحمر والبيض واشرف

عليهم

عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق • وتلألأت الآفاق • حتى اذا اندانت الخطى بين الفريقين بدأت الفائقية بالحملة على ميسرة الرضي فبددوا انظامهم • وزعزعوا عن المقام اقداما وثنى ابو القاسم بن سيمجور بمثلها على من قابله فصنع صنع الآخرين وحمل دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير من قلب ابن علي فظنوه يسعى لشرف المقام • او رعاية حق الانعام • حتى اذا بلغ بين الصفين وثنى ظهر ترسه • واقبل على موقف الامير الرضي بوجهه • فاستأمن اليه ووقف للقتال بين يديه • فانخزل اصحاب ابي علي لما اخترم من الذمة وقطعه من العصمة اشفاقا من مواطأة اضرابه اياه على مثل صنيعه وعندها حمل الامير محمود على قلب ابي علي في سواد فدح ثقله كاهل الارض وسد بقسطله مناكب الافق فلم يلبث احد من اصحاب ابي علي لكفاح • او مدافعة بسلاح • بل انفضوا عن مواقفهم انفضاض العقد خانه النظام • وانسل منه الفرد والتوام • وجعلوها هزيمة انتسلت بها الاعلام • وغصت بجموعهم الاباطح والاعلام • وركب الامير محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا • وتسقي النفوس سما ذعافا • فلم يفته الاسر عامة تلك الجموع • ومن خفف عن ظهره ثقل الجواشن والدروع • وغنم اهل العسكر اموالا لو افتدي بعضها على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها • ووضعت الحرب تلك الاوزار عن ابنائها • وسار ابو علي بالفل من اشياعه الى نيسابور

فاقبل بها على جبر الكسير ورتق الحسير استعداداً للانحياز
اليها قبل رهق اللحاق وفوت التلافي وختم الامير الرضي
والاميران سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت
ركابهم وتوفرت على الاولياء رغائبهم ولقب الامير الرضي
الامير سبكتكين بناصر الدولة وولده محمود السلطان
بسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش مكان ابي علي
وسار الى نيسابور في هيبة اشعرت النفوس مهابة وملأت
قلوب الاعادي كآبة ورجال كالقروم المصاعب وافيال
كالاسود العوالب مخطومة بالاساود وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي

بسيف الدولة اتسقت امور رأيناها مبددة النظام
سما وحمى بني سام وحام فليس كمثله سام وحام

وستجري في ذكره انفا بسيف الدولة الى ان افاء الله منه
الى مظنة الاستحقاق وشهره الملك بلقب اليمين في كور
الآفاق وفي هذه الوقعة يقول ابو جابر البحتري

قل للحوادث غضي الطرف خاسئة فقد اضاء بسيف الدولة الملك

ثم ارتحلوا على وجه نيسابور ولما تسامع ابو علي بنبا نهضهم فارقها
متحدراً الى جرجان على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة
في بذل المشاركة وصدق المساهمة حتى الم بهما وكتب اليه
بالحاجة التي الجأته الى قصده ولائه والانقطاع الى جانب مملكته
وارسل ابا نصر الحاجب اليه في تقرير حاله واستنجاد معونته
بذاته وماله واستتاب الصاحب في تنجز ما كان يعده لنفسه

على

على الايام من بركة وصاله وبعده لهما من ثمرة وداده وامر
بمال يقام بمقاومة لوكيله وبالفي الف درهم من ارتفاع
جرجان لاهل عسكره واقام هو وفائق حتى انحسر عن غرة
الربيع قناع الشتاء وقد كان الرضي تحرف عند انحدار
الامير بن سبكتكين وسيف الدولة الى نيسابور بعبد الله بن
عزيز الى طوس التحاقا عليه بما صودر له من ارصاد عمال اياه
بالمكروه الى ما دعته النفسه اليه من منافستهما في بعض الاعمال
والاموال فنهض الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهاراً
للبراءة واستشعاراً للطاعة واستتماما للخدمة وازاحة
لعارض الظنة وطار عبد الله بقوادم العقاب تحت خوافي
الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من غادية
التضريب وحلل المتهم المريب وتلقى الرضي مورد سيف الدولة
بانم اقبال واشبال وصرفه وراءه على احسن حال وانعم
بال وارتحل بعقبه اشفاقا الى مرو ولاحقا ابو زبرج وشتما منها الى
بخارا حتى استقر بها على سرير وقد كان الامير سبكتكين وسيف
الدولة لما وصلا الى نيسابور فرشا بها مهاد العدل ورفعا
عماد الامن وتدارسوا ما كانت خائفة من قبل فشحناها
ببث الرأفة وحسم المخافة وارتياد مصلحة الكافة فا
نشرحت الصدور واستقامت الامور وامنت الطرق
واتصلت القوافل والرفق ثم سنح للامير ناصر الدولة سبكتكين
ان ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام

سيف الدولة بنيسابور على مبادرة الجيوش وزعامة الجمهور
وقد كان أبو علي طمح إلى زيادة من المال يحمل إليه معونة له
على إقامات أهل عسكره من الترك فكتب إليه أبو نصر الحاجب
بأني عرضت الكتاب وقررت المراد فكان من جواب فخر الدولة
أن مثل الملوك مثل الأنهار العظام تصطفق مياهها وتزخر
شعابها فيرى الناس ملتقى عبابها ومصطفق أمواجها ويغفلون
عن عدد الجداول التي تغترف منها والسواقي التي تتشعب عنها
ولو أنا قدرنا على مؤن أهل خراسان لاستصفيناها إلى ما يليه
من شرق الأرض وواسطة الأقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر
والعذر ظاهر فيما تعذر فاستوحش أبو علي من جوابه
واستشار فائقا ووجوه قواده في تدبير الأمر بصوابه وإتيانه
من بابه فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم في المشورة
وتدبيرهم في استشفاف العواقب المستورة فأشار بعضهم
بلزوم جرجان واستخلاصها وإقامة الخطبة للرضي بها
والكتاب إليه بالطاعة وضمان الإتاوة إذ كانت تلك الولاية
تداعت صيد الملوك وصناديد القروم على خطبتهم لها
بمهور العساكر وطلابهم إياها بسمر الرماح وبيض البواتر
وإزائهم عليها مصونات الرغائب ونفائس ذخائرهم فيها بكريمات
النفوس والحرائب وقد حصلت له عفوا صفوا وانفتحت عليه
سهوا رهوا وبيع العين بالضمار محال وإفاتة النقد بالشيء
النسي ضلال وأشار فائق بمناهضة الأمير سيف الدولة

ومناهضة

ومناهضته لاعتراض الفرصة عليه بتفرق الجموع عنه وإخلال
أيديه ولمخالفة هواء جرجان طباع عسكرهم ونكايته فيهم
قدر ما يتنكر لهم الفضل ويتجدد عليهم الحر فوافق هذا الرأي
جمهور العسكر لحرصهم على الوطن ونزاعهم إلى الأهل والسكن
فاتفقوا على هذا الرأي وتطابقوا على الانكفاء واضطر أبا
علي إلى مساعدتهم واتباع إرادتهم وعند ذلك ورد الخبر
بمضي الصاحب إسمعيل بن عباد لسبيله وكان معنيا بمصالح
أبي علي وتحسين آثاره والإشارة على فخر الدولة باغتنام
جواره ومعاونته على ثاره فكره إلى أبي علي نعيه فضل
المقام وأغراه بتعجيل الانفكاك ولما استأثر الله تعالى
بالصاحب أكثر شعراء العصر من مرثيته فمنها قول أبي محمد الخازن

يا كافي الملك ما وفيت حقك من / مدح وإن طال تحميدي وتأبيني
نعت الصفات فما يبكيك من أحد / إلا وتربته إياك يبكين
هذي نواعي العلى قد قمن نادبة / من بعد ما ندبتك الحور والعين
تبكي عليك العطايا والصلات كما / تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم / واستيقظوا بعد ما نام الملاعين
لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا / امضى سليمان فانحل الشياطين

ومنها قول أبي سعيد الرستمي الأصبهاني

أبعد ابن عباد يهش إلى العلى / أخو أمل أو يستماح جواد
أبى الله إلا أن يموتا بموته / فما لهما حتى المعاد (يوم القيامة) معاد

ومنها قول أبي علي المنجم

بى
زن
الناس بالمدح بعد الموت وعد مكارمه

والله والله ما افلحتم ابدًا ابعد الوزير بن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا وزرى او كان منكم رئيس فاقطعوا راسى

ومنها قول ابى العباس الضبى وقد اجتاز ببابه بعد موته

ايها الباب لم علاك اكتئاب اين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رقبة وغير احتشام مات مولاى فاعترانى اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه الآن فى التراب تراب

ومنها قول ابى الفتح العتبى الكاتب

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروى الارض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلى كذاك كسوف البدر عند تمامه

ومنها قول ابى منصور الثعالبى م

الا يا صاحب الدنيا وعين السودد اليمنى
اما استحيى ابو يحيى لقبض العالم الكربى
لئن حببت بك الدنيا فقد فتحت بك الاخرى

ورحل ابو على من جرجان على سمت جوين غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فايق على طريق اسفراين حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به وسارا مشيرين المستعدين للحرب ● المجدين فى الطعن والضرب ● وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد فى خف من العدد ● وختم به على انتظار المدد ● فاعجلاه عن المراد وناوشاه الحرب قبل وصول الامداد فاضرم عليهما نارها ● وباشرها بنفسه وخاصته اوارها من حيث نرجل

زاد

زاد الضحى الى ان القت ذكاء يمينها فى كافر فتصعفرت ارض الوغا بدما القتلى واصبحت مناسم الفيول رجالا كانوا اركانا للصفوف عند اشتجار الزحوف ● واختلاط الاسنة والسيوف ● وهم اصحاب ابى على بالانجزال جنا عن النزال ثم تداعوا بالمناص طلبا للخلاص وكانت حملة وافقها القدر وانحاز سيف الدولة بمعظم جيوشه الى مناخ ابيه الامير سبكتكين فى امان من لباس الظلام ارصادا للخصوم بيوم الكرور على الثار ● واسلامهم لقدر الاقدار وتخلف عندما اعياه استصحابه من ثقال وقبلة ثقال وعجز عن خدمة صحبته طائفة من رجال الهنود ● وساير افناء الجنود ● تدركت عند ذلك شغلة لابى على اطمعت فى استقلاله وعوده الى المعهود من حاله ● لكن الله تعالى قضاها سببا لاجتناكه واستيصاله ● واشير اليه عند المامه بنيسابور ان يتبع اثر الاميرين متجلالهما عن عدة الارتباش والانتعاش وقوة الاستجداد والاستعداد فازرت بها فعل من كانت بصيرته ● واغلقت مريدته ● وعمى عليه قصده ● ونغى اليه حده ● واخذ يتعلل بصفو زمن وخلو ضرائبه واشفاقه من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح ● وسامهم خطة الكفاح ● واخذ يكتب الى بخارا معتذرا عن جنايته ● ومتنصلا من بادرته ● ومستقيلا عارض عثرته ● ومستمحا فوق عذرته ● وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الوامى جلده ● المتنامى كمده ● المتخاذل لسانه ويده ● يحل الكتيبة التى استرت بالامير سيف الدولة على فايق وساير اهل عسكره ⁂

لاكراههم اباه على مفارقة جرجان ومعاودة خراسان وانه
لو وجد الى مراده سبيلا او في ذرى اختياره وهواه مقيلا •
لما التفت الى خراسان ما عاش تقاديا عن وحشته • وتحرزا
عن كراهته • ويسأله ان يهب له ثاره • ويستوهب له الرضى
خطاه وعثاره • فلم ترده رسالته على التطميع في اعتباله •
والتنبيه على اختزاله • والتضرية على اقتناصه • والايمان من
فوته وخلاصه • وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه
في ديار مملكته • واطراف ولايته من قواده واجناده • في
استنهاضهم الى نجدته • واستعجالهم الى نصرته • وانهض ابا
نصر بن ابي زيد الى الامير خلف بن احمد والى سجستان يحثه
اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحارث الفريغوني
بمثله فطالع حضرة الرضى باستعداده • وانتظار ما يرد عليه
من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه • وتتابعت
الامداد من كل جانب عليه • فصار الامير سبكتكين في جيوش
لو راموا الجو لاستنزلوا طيارته • لو وردوا البحر لابدوا
قرارته • وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه • والسيل
ضاقت به مذاهبه • وقد كان فايق عدل الى طوس يكاتب
الامير سبكتكين مداهنا • ويطمعه في الانحياز اليه مهادنا •
فيلقي في وجهه مثاله • ويكيل عليه مثل مكياله • وتكفا امبرك
الطوسي احد الامرا النازودية لابي علي بين الطاعة ○
والمناعة • والموافقة والمنافقة • يقدم رجلا للورود •

ويوخر

ويوخر اخرى للقعود • فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما
للاستمالة وتمهيد رسمها • تقدم الصلات له فنهض اليهما واخذ الميثاق
عليهما • وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فايق
وامبرك بناحية الطابران فاتفقت كلمتهم على التظاهر والتظا فو
وخلصت نياتهم في التساعد والترافد واختاروا معسكرا
بقرب اندرج فخيموا به وقد كان ابو القاسم اخو ابي علي قد
عتب عليه لعدوله بولاية هراة وثمرات اعمالها عنه الى
ايلمنكو غلامه وتقصيره به فيما كان يخطبه ويقترحه عليه من
امثالها على وفائه له وولائه اياه • والتزامه حكم مشاركته
له في كل نائبة وعراه فتقاعس عنه عند نهضته من نيسابور
اعتلالا عليه ببقية من اشغاله • حتى اذا انفسحت مدة ارتحاله •
آيسه من وصوله ووصاله • أحوج الى ما كان ابلى عونه ونضاله
فزاد ذلك في اختزاله وكسوف ماله • وحث الامير سبكتكين
تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ بطوس مقابلا لعسكره
فسار فرسان الخيول وشبان الجنود الى التطارد والتكايد
فبقوا على ذلك سحابة يومهم فلما قبض الليل مسافة ابصارهم
عادوا الى مقارهم وشاور ابو علي وجوه قواده في معاودة
الحرب فاشار عليه امبرك الطوسي وذوو الحصافة منهم
بالتلجي الى شعب الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة
ارجائه • وغزارة مائه وسعة العلوفة من ورائه •
وممادة الحرب على اعراء الرجالة الطوسية باطراف عسكره

مستبين وحاربين ومعتبرين وعابثين الى ان يدركه الملك
ويلحقه الفشل وتفرق عنه الحشو فعندها يناجزونه على بصيرة
وقوة من يقين • واستماحة خبرة • فتشعب من سمع هذا الرأي من احداث
العسكر وقالوا اما لنا نطاول القوم وندافع الوقت لا يعرف
الناس انا نميل عن المصاولة الى المطاولة • وعن المساورة الى
المصابرة فضلا عن نسابقهم المنية • ونصبحهم منها كاسا دبته
فانتقض عليهم التدبير • وصار المأمور هو الامير • ووثب كلا
العسكرين عند انفلاق الصبح الى الاستعداد للقاء • والاحتشا
بحذه الهيجاء • واقبلوا على تسوية الصفوف • مشحونة بالوف
كآجام الليوث من ذبل القنا والسيوف • وحصن الامير سبكتكين
مواقف عسكره بنجب فيلته محكت تحت التجافيف اطوادا
فارعة • وامنوا بها مدافعة • ودنى الفريقان بعضهم من بعض
فلم يرع ميسرة ابي علي الا رهج ثار عليهم من وراء قرية وضيقهم
ذات اليمين فاذا هم بالامير سيف الدولة في الطم والترم
والليل المدلهم فتزلزلت اقدامهم • وضلت احلامهم • ورأوه
ان قلب ابي علي قد حمل على قلب الامير سبكتكين فساعدوهم
على حملتهم تفاديا عن ايقاع الامير سيف الدولة بهم فمزقوا
مصفه • ونقضوا عن الزحام موقفه • فوقف لهم الامير
سبكتكين فيمن احدق (احاط) به والتف عليه من خواص غلمانه
ورد حملتهم في وجوههم • فارتدوا على ادبارهم • وقد اطلق
سيف الدولة عليهم من ورائهم • فبقوا محصورين بين العسكرين

واخذتهم

واخذتهم السيوف من كلا الجانبين • وثار قتام (عبار) خلط البعض با لبعض
فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق • وحطم الدبابيس
ما بين الطلى والعواتق • وظلت خراطيم الفيول • تستلب
الفرسان عن صهوات الخيول • وتلحق القاتل بالمقتول • وبلغ
سيف الدولة من الايقاع بهم والايجاع فيهم • والانتقام
منهم وصب السيوف عليهم • ما لو سمع به رستم في زمانه
لزهدته خدمة عنانه • وهذبته آداب سيفه وسنانه •
وفات المحصورون ببقايا المهج • تحت غواشي الرهج • وبرذايا
الارواح • ممن بين شجر الرماح • فانجلت المعركة عن قتلى
مضرجين في الدماء • وجرحى مطرحين على العراء • واسرى هم
آيسين من الفداء • وركب الامير سيف الدولة اكتاف الفل
فاسر منهم من قصر عن اقتحام شعاب الجبل • وعمي عليه وجوه
تلك المغارات والمداخل • وكان من جملة المأسورين ابو
علي بن نغرا الحاجب وبكتكين الفرغاني وارسلانك وابو
علي بن نوشتكين واتاسان بن سيحان دوزا الجيلي ولشكر
ستان بن ابي جعفر الديلمي وهولاء اعيان عسكر ابي علي
ورتوت قواده • ووجوه اركانه واعضاده • وسار ابو
علي وفايق بين تهاوي تلك الجبال • ومصاعد تلك القلال • ك
الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تحفي الرياح بين نعافها
وتزلق الابصار بين روابيها وشعافها • فاضافهما بها امير ك
الطوسي الى ان ظهر لهما عدد من سبق ومن لحق • وجملة

من اجتمع ممن تفرق وكان ابو علي قد سرب الفيلة التي قبض عليها
بنيسابور الى كلار في جملة ضيعته وكتب ابو علي بن نوشتكين الحاجب
وسائر الاسرى يذكرون ان الامير سبكتكين استدعاهم ومنّاهم
ووصلهم وحباهم ووعدهم الافراج عنهم متى ردت تلك الفيلة
الى مرابطها اشالها من مناخه وسألوه ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم
وتخليصا لهم فتقدم ابو علي الى ابيرك بردها والافراج عنها ففعل
ونهض هو وفايق على سمت ابيورد مصحرين على تلك المضايق فبعث
ابيرك تلك الفيول الى الامير سبكتكين وكتب اليه يريه انه المتفرد
بردها المنفرد بالخدمة فيها فاستغرب ذلك رتبته ● واحبط على
ابي علي قربته ● وفي ذكر هذه الوقعة يقول ابو الفتح البستي

الم تر ما أتاه ابو علي ... وكنت أراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه ... رجال يقلعون ابا قبيس
وصير طوس معقله فاضحى ... عليه طوس اشأم من طويس

وسار ابو علي وفايق الى سواد ابيورد على ان يقصدا كورة نسا
فسنح لفايق ان يعدل الى سرخس لراي رآه فخذل ابا علي على
المكان وسار بمن معه من الغلمان فلما احس ابو علي بغيابه
ارسل اليه باي عذر تفارقني على اي حال تصرفت بنا من احداث
واحصاب واحزان واسهال وان ركوب هذا الطريق كان
على ما سنح لنا بادي الراي من الصواب واذ قد بدا لك في التدبير
فاني تابع رايك وها انا من وراءك توقف له الى ان لحق به وسار
الى سرخس ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر

قبيس

عدولهما

عدولهما عن سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف الامير سيف
الدولة على ما فوض اليه من اعمال نيسابور صيانة عنه وكفاية
امرهما فقصدنا بمرو واوطارهما ثم اخترقا مفازة آمل الى الشط
متحرزين بجدوبة المفازة وصعوبة المسافة وانسداد المسالك
وانسداد المناهل والقيا بها عصا القرار فارسل ابو علي ابا الحسن
محمد بن كثير وفايق عبد الرحمن بن احمد وزيريهما الى بخارا في
استجلاب الرضى واسترضائه ● واستقالته الى رعاية حقوق
مواليه واوليائه ● فاما ابو الحسن بن كثير فانه صرف وراءه
على وجه جميل ● وكتب الى ابي علي في تمنيه وتاميل ● ورسم له ان
ينحرف الى الجرجانية فيقيم بها الى ان يستانف تدبير امره ○
بواجبه واما عبد الرحمن بن احمد فانه امر باعتقاله ● ووضع
في الحبس على رسم امثاله ● ونُدب من بخارا الى بعض المسودة
بكتاب الى المامون بن محمد والى الجرجانية ليتقدم بتقرير
حاله ● وذكر ما انتشى من الراي في بابه ● فاستعظم فايق
بما قوبل به رسوله وعمد الى ان يعبر النهر الى ما وراءه ملتجئا الى
ايلك ومستصرخا اياه ومستعينا به على ما دهاه ● واشار على ابي
علي بان يساعده ويجنح اليه بيده وساعده ● فان الغرض المقصود
في طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما في المساعدة والمرافدة
والاجتماع على الحادثات باليد الواحدة ● وان الذي عساه
ابديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطر اركانها واختبار راح
لا يوجب الاغضاء عن تبعاته ● والذهول عن نفثات انيابه وحمة

فاختار ابو علي مساعدته على مساعدته • ومجانبته على مقاربته
ستر الله تعالى فيما حكم به من صدع شمله • وقطع حبله ووضع رحله
• وليس لرجل حطه الله رافع ولا لامور شاءها الله دافع •
وافترقا عن مناجيهما فاما فايق فعبر النهر الى ما وراءه عائدا
الى ايلك مستجيرا اياه • وواصلا عروته بعراه • فانفض من بخارا
على اثره بكتوزون الحاجب فتصادما بحدود نسف وولى كل
واحد منهما صاحبه ظهره • بعد ان ابلى في اللقاء عذره • فقبله
ايلك احسن قبول وقراه احسن مقول ومفعول • وضمن له
الوفا بامله • ورده الى ما استنزل عنه من عمله • واما ابو
علي فاخطا الطريق وحرم التوفيق • وسار مثقلا بما احتزه
من العصيان محملا لما فاته من فرصة البر والاحسان • وقد
كحلته يد القدر بمرود الحيرة والتدبر وعمت عليه مذاهب
القضا فهو يخبط عشوا مستبسلا للمقدور • ومستسلما لطوارق
المحذور • وانشدني ابو حاتم الحنفي المذكر في مثل حاله لبعضهم

اذا اراد الله امرا بامرئ وكان ذا راي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما ياتي به مكروه اسباب القدر
اغراه بالجهل واعمى عينه وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

نعم ومر ابو علي قدما على سمت الجرجانية الى ان بلغ به المسير
هزاراسف وهي قرية تقابل خوارزم من الجانب الغربي فارسل
اليه خوارزمشاه من اقام له نزلا وقدم اليه عذرا ووعد

العبور

العبور اليه غدا للمشاهدة • وتصافق وفادته • وقد كمن له
زهاء الفي رجل من افنيا عسكره في خمر الاجام • والغياض لاغتياله
جنح الظلام • وحكى لي ابو علي الحسنابادي احد ثقات ابي علي
وكان قد نهض رسولا من جهته الى ابي عبد الله خوارزمشاه
انه انشد ابياتا لابن المعتز ورسم له تبليغها الى ابي علي يعني

اذا امكنت فرصة في العدى فلا تبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا اتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها وتاميل اخرى واني بها

قال فرويتها له وذلك قبل استيحاش ابي عبد الله منه فقبلها
منه بمنة ثم ذهل عنها كان لم يقرع سمعه قط ولم يستودعها
يوما من الدهر ذرعه ولم يعلم انها كانت رمزا له من الايام
بارتقاب النوائب • وابتغا العواقب • ولم يدر ان للافعال
والاعمال جزاء يحيق باربابها وحيا او بطيا وحسنا او سيئا
وغفل ليلته تلك من الاحتراس • واقتدى بغفلته ساير الناس
حتى اذا اثقل العيون كراها • ونقد النجوم سراها • ضجت
الافاق بخفق الطبول • وغطغطة الخيول • واحيط بالقصر
الذي نزله ابو علي قبالة • او نيل المراد من استنزاله
فسار من خف حوله من غلمانه للدفاع • وثاربه جواب المصاع
وخف بنفسه الى زعيم القوم يسأله ما خطبك ولماذا حربك
فقال ان خوارزمشاه امرك فتقرب اليه برفق الاذعان
دون عنف الضراب والطعان • فهو اطفى للفتنة • وانفى للاحنة

النصح له دبي

من

ولباع الانتقام اقصر ثم انت بالرأي ابصر فبادر ابو علي الى
النزول فاستردفه الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك
قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين
وثلثمائة فامر به الى بعض القصور معتقلا فيه وشد الطلب على
اصحابه وقواده فاسر منهم الاعيان والاركان وافلت ايلمنكو
صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية ونودي في الافراد
وخدم القواد من اقام يومه بهزارسف ابيح دمه فنفروا فوا
ايدي سبا في الاقطار كشوارد الامثال واعتقل الباقون على
صغار وخسار الى ان اذن الله في خلاصهم بوالي الجرجانية
مامون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبا ابي علي وما ارتكب منه
خوارزمشاه فاضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى
النجوم ارقا الى ان استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر
جرار يستخفون متاقل الاحمال ويخوضون مشارع الاهوال
ويهدون رواسي الجبال ويستنزلون العصم من شعف ○
القلال وسار فيهم ايلمنكو في خواص ابي علي رجال قد اوغرتهم
الحفائظ والاحن واحرجتهم النوائب والمحن فهم يسعون الى
الثار (الاحقاد) لنفي العار ودرك الثار (الاوتار) فعبروا الى كاث (موضع) مدينة
خوارزمشاه واحاطوا به احاطة الاطواق بالاعناق ونار شوب
الحرب من كل اوب ودرب فطلت تلفح وجوه رجاله بجمرها
حتى اجلتهم عنها مدحورين وحصلتهم في ربقة الاسار مقهورين
ودمروا على خوارزمشاه في قرارة بيته فاعطاهم بيده

ووصل الى ابي علي فحمل بثقل قيده على كعبه وشادلت حالاتهما
في رقعة من اديم النهار فصار الامير منهما اسيرا والاسير اميرا
وكان ذلك على الله يسيرا وحمل ابو علي نحو الجرجانية في احسن
شعار وحمل ابو عبد الله على قتب عار بين خزي وعار فاستقبله
مامون بن محمد يقابل ابا علي بالاعظام والاجلال وعومل ابو
عبد الله بضروب الاذلال بما يجل عن المقال واستلح مامون
بن محمد عن مجهوده في اكبار ابي علي والاجلال له ومشاطرته
صنوف امواله واقام العطايا لعامة رجاله حتى انتظمت احوالهم
وانسدت بها اخلالهم وقراه ذات يوم وكان قد اتخذ مجلسا
كانما عمل عليه صناع صنعاء تزيينا وتحسينا وتنضيدا وتنجيدا
فاخفى عليه في الشراب احفاء لطف ومسألة اذ كان قد هجر
الشراب وودعه منذ زمان فلما اخذت الكؤوس ماخذها
منهما افتتح اخصار خوارزمشاه فاحضر يحجل في قيده ولم يزد
في جواب ما سئل عنه وعير به على الاطراق وسم الارض ○
بالاحداق وجملة امره انه امر به فاذريت هامته عن منكبيه
فتدحرجت الى الارض شيبته البيضاء كذلك يفعل الله ما يشا
وصفت خوارزم لمامون بن محمد فرتب بها من اقام الخطبة
برسمه وجبى اموالها على حكمه وتابع كتبه الى الرضي مستشفعا
في امر ابي علي وسائلا تدبير امره بما يونس وحشته ويجبر خلته
فخوطب هو وابو علي في الملتمس في صحيفة الملتمس وصحّ بما
ينطوي على حقد دفين وداء في الصدر دوي وامر ابو علي

بالمسير الى حضرة السرير فلاحت له اماني قعد بها حين
واصلد عليها زنده فشخص نحو بخارا سائرا الى دمه بقدمه وقد
اغفلت الايام قلبه عن ذكر فعلاته وزلاته ليلقى بدرا ما قدموا
وليقضي الله امرا كان مفعولا ولما شارف بخارا استقبله الوزير
عبد الله بن عزيز والقواد على طبقاتهم مهنئين ومتبركين ومضى
بهم الى السهلة ونزل بها واخذ بلثم الارض الى ان بلغ السدة
ورفع له الحجاب وسار امامه الحجاب الى ان وصل الى الرضي
فاستوفى ادب الخدمة ولبس ذلك كفران النعمة واستنزل
بعقبه الى الملكوفي بكار اخوته وقواده حتى اذا نودي بدابته للخروج
من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك معهم والآخرون في القيود
والاصفاد واطلق على الوقوف بالباب بدي الاولياء والحشم
فطبقوهم بالسلب والنهب وسلخوهم بين كل مضيق ودرب
وختمت حال ابي علي بيومه ذلك بوم نظام فيه صورته
واستقام صعره ونضج له ثمره واعيا علي ورده صدره ○
وكذلك كفران النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه واسناد الزمان
عليه بانيابه ونوائبه ورحم الله من قال فلقد احسن المقال

اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من امره ازينه
واعجبه العجب فاعتاده وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه

وقد كان الامير سبكتكين متحاملا فلما بلغه ايقاع خوارزمشاه
بابي علي عدل الى بلخ فغنى بها على جملته في الطاعة وارتياد

عبر اقام

مصلحة

مصلحة الكافة الى ان ورد ابو علي بخارا واودع في بابه بما تقدم
ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب الرضي عليه بما يهم به ايلك من
الاصعاد عن الاعالي ومجاوزة ما في يدي عماله من اعمال تلك
النواحي يسأله تجشم الخفوف في وجهه والعبور للكفاية
شغله متمما للصنيعة عنده في استجاد دولته واستبقاء ملكه
وحوزته فاستشار بذلك وجوه اصحابه ووزرائه فتوجهت
الاجوبة بين تبعيد وتقريب وتخطئة وتصويب فاخذته العزة
بالوفاء وهزته الحفيظة للنداء فعدل عن مشورة النصحاء
الى صريمة العزيمة والرأي واقبل على الاستعداد والاحتشاد
وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد بتعجيل الورود
وتقديم الوفود وعجل هو الى العبور قبل تلاحق الجمهور ○
ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم بقرية تدعى فارزي الى
ان وصل اليه ولاة الجوزجان والختل والصغانيان وسائر
اطراف خراسان وورد عليه الامير سيف الدولة من نيسابور
في هيبة راقت العيون وهيبة راعت القلوب ورجال قد
دربتهم الحروب في حدودها وارضعتهم التجارب من شطورها
فلم يسمع بمعسكر بما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم
وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك عبورهم
للقائه فارسل الى الامير سبكتكين عدة من شيوخ بابه يذكر
انهما اخوان في الله تعالى لاتفاقهما على نصرة الاسلام ○
واقتسامهما ديار الترك والهند بالعز والانتقام وانهما تحكم

اي تردد

مساعيهما في اظهار دين الله وافلاج حجة الله اخذ بارتفاعات
خراسان وما وراء النهر مستخلصًا من يمينه على مآرب نفسه وشهوات
بدنه لا يشهد مقامًا محمودًا ولا يشهر حسامًا مغمودًا وان اجماعهما
على خطبها اعود عليهما من ركوب لخطر واجتلاب لضرر ويخط
تخلص الى عرضهما وانه لا يستحل في دينه ان يعدل بالسيف
عن اعداء الله الى وجهه الا اذا اضطر اليه ابتداء وسامه
الدفاع عن نفسه اعتداء فليختر الامير من رآه من وفاق
وافتراق وائتلاف واختلاف فهو بسمع سامع وتجدوا على
غرار فرجع اليه ان اعتماد الرضي اياه بتأميله حين خذله
ابناء دولته وكفر انشاء نعمته يدعو اليه الاغماض دون
حيف يجري عليه وملك يراد انتزاعه من يديه وان تبرع
بجميع ما يحويه على استغراقه ايام العمر فيه احب اليه من سمة
الخذلان واختيار الاساءة على الاحسان فليقطع طمعه عن
الرتاع حول تلك الرباع او فليأذن بحرب تتخطم فيهما
متون الصفاح (السيوف) وتتقصد فيهما عوالي الرماح وترخص فيهما
عندها عوالي المهج والارواح فلما علم ايلك جده وذاق
بلسان الاختبار ما عنده فرغ للامر ظنبوبه وشد للحروب
حيزومه وورى احياء الترك بقداح بين فيما بينهم علامات
الاستنفار فسار اليه الطم والرم

جيوش تضل البلق في حجراتها ترى الاكم فيها سجدا للحوافر

وكتب الامير سبكتكين الى الامير الرضي يستعجله اللحاق بهم

ليقدمهم

ليقدمهم هيبته في مناهضة خصمه وفل جده وزحزحته عن
صدر الملك الى ما وراء حده واشفق ابن عزير على نفسه من
حركته للهنات التي كانت بحاجته الى الهرب واللياذ به من حر
الطلب ونصح للرضي بان الامير سبكتكين وعامة ولاة الاطراف
عبروا النهر في احسن عدة وعتاد وابلغ استظهار واحتشاد
وان المحن التي استمرت بك قد نقضتك عن تحمل مثلك ودحلت
بزينة الملك عن رحلك فيقبح بك ان تجاوز من حالة اعلى من
حالك ورجالة اتم استظهارا من فرسان رجالك والراي
لك ان تستعفيه عن شهادتك بنفسك على ان تحشر اليه
وجوه القواد في جماهير الاجناد من اطراف البلاد وتحكمه
فيما يراه من مسالمة او محاكمة ومكافحة او مصالحة ليكون
فيصل الامر بيديه على الوجه الذي هو اخف عليه فكتب
الرضي بذلك اليه فعلم ان ذلك من تسويل ابن عزير وافتعاله
وتمويهه واحتياله وقصد ان يحبط عليه سعيه الذي
سعاه في العبور واستجاشة الجمهور وتحمل الاثقال واستنفاق
الاموال فسرب الامير سيف الدولة واخاه بغراخان في قرابة
عشرين الف رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما
ابا نصر احمد بن محمد بن ابي زيد لتدارك امر الديوان وكان
برسمه فلما احس ابن عزير باقبالهم رأى ليث الموت كاشرا عن
نابه وعقاب العقاب ناشرا جناحه للانقضاض عليه
فابتغى نفقا في الارض او سلما في السماء حتى اذا اعياه ما توخاه

فزع الى الاعجاز ولاذ بالاستتار فولى الرضى ابا نصر بن ابى
زيد ما كان اليه وهو الشهاب الثاقب والنقاب الذى هذبته
المناقب فاقام بكفايته عماده وقوم مناده وحذف عنه
ماكان قد اداه ووصفه ابو الفتح البستى باببات وفى الصدق

فدتك ابا نصر المرتجى لتفريج كل ظلام مستطل
له قلم حده لا يكل اذا كان في الحرب سيف يكل
فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل
فكيف يمل ويوفيق من افاد العقول عليه يمل
تجود قريحته بالبديع عفوا كجود القراح المغل
يدق يحل واولى الكفاة بأعلى الصفات يدق يجل

وكتب اليه عند استقرار الوزارة عليه بهذه الابيات

ابلغ مقالى كل عاف مجتد ومؤمل فى قصده ان يهتدى
عوج على الشيخ الجليل المرتجى وزر الوزارة احمد بن محمد
نور اوفى على العيون وجنة يلى القلوب وسيفه ملء اليد
يقوى امور الملك رأيا فيصلا وعزيمة تزرى بكل مهند
ويفيض نائله بسيل راغب فيقول سائله عرفت فزدى قد
فاثن الرجاء الى علاه فانه غوث الردى غيث الصدى بدر الندى
لا زال فى يوم اغر مبشر بسعادة غرا انطلع فى غد
ليقيم كل ماود ويقيم كل مشهد ويضم كل مبدد

وقد كان الامير سبكتكين احس بابقاء ابن عزيز على ابى على
وجده فى انفصاله عنه لما تقدم فى الايام من التسلح به

عليه

بياض فى

ط

عليه فاوح للرضى بميله الى ما يقع من نقله الى جنابه • فاوجب
قبل وصول سيف الدولة اليه اسعافه به • وحمل هو والمنكو
فى عمارته كانت خاتمة لعمره • وقاصمة لظهره • وامر الامير
سبكتكين به فنقل الى جرديز فى محمل لو رأى من قبل مثله فى
منامه • لعاف برد الماء على زرقة جمامه • واستعفى عن
طيب الحياة باقى ايامه • نعم واجتهد فيما بين نهوض سيف الدولة
الى بخارا ابا الملك فى قبائل الترك واستأنف مسئلة الصلح فا
وجد الامير سبكتكين اجابته الى ملتمسه لقعود الرضى عن مشا
هدته • وفتورهم فى امر نهضته • واشترط عليه ان يترحزح
عما دون قطوان فلا يطلق عليه عنانه • ولا يسرح اليه
عماله واعوانه • على ان يقرر سمرقند على فائق ابجابا
لشفاعته • ورعاية لما سلف فى بيت الرضى من حق طاعته •
وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بمشهد الفقهاء والاعيان
من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الامير
سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور وهدا على
الرضى ما كان متموجا من امور الاعمالى واقبل ابو نصر على تمهيد
الوزارة • واكبرها شغل الاثارة • لتقلص الولايات • ○
وقصور الارتفاعات عن الوفاء بما كان مثبتا فى القديم من وجوه
الاطماع والاقامات • وجعل يزجى فيها يوما بيوم ويتعلل
دنانيرهم الى ان ساربه بعض غلمانه فقتلوه وذلك على راس
خمسة اشهر من وزارته فضاق الرضى ذرعا بما دهاه لاستيفاء

من طن الامير سبكتكين له ان هناك قصداً في امره او رضى به
للحادثة واظهر الاكتئاب واستعظم المصاب وبرز من الدار
فصلى على جنازته وامر باقامة التنكيل على الفتكة به
وانشدني المضراب البوشنجي له فيه يرثيه
قلوب الناس للمه سقاما ونفس المجد والهة سقيمة
وما تحجبت بك الدنيا ولكن تركت بفقدك الدنيا يتيمة
وفيه لبعض اهل العصر
لما توى صدر الوزارة احمد وهوت نجوم المجد في ملحوده
اذريت من فرط المصاب مدامعا كالغيث بعد بروقه ورعوده
قال العذول وقد راى فرط الجوى والطرف يمزج دمعه بقديده
خفض عليك فقلت قولا زاجرا دعني ابكيه بنسخة جوده

ذكر ابي القاسم بن سيمجور اخي ابي علي وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه

ولما انحاز ابو القسم
عن اخيه اقام بجرجان الى ان ورد الامير سبكتكين خاستروان من
نيسابور فنهض اليه متعرضا للقائه وتمهيد حاله في مالاته
وولايته فرعى حقه ورفع قدره وقوى اسره وضمن له ما
سره وخطب له الى الرضى ولاية قهستان ساكن الجاش
طاهر الرياش اثيث الجناح يريح المسرح والمراح الى ان
سنح للامير سبكتكين عبور النهر لتدبير امر الترك وكتب اليه
يستنهضه الى جمع اركان الدولة واعيانها ليضرب معهم بسهم
الغنا في كفاية الامر الحازب وممانعة الخصم المغالب فحمله

عو

تقوى

تقوى العواقب واساءة الظن بالنوائب وطراة عهده بخبر
اخيه فيما ادرع من لباس الهوان وجرع من كاس الذل والاهانة
على متراك المسير والادلال ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجا
بته عند فراغه له داء عضالا ويكسبه خطبا لا يطيق به
استقلالا فبادر الى نيسابور متغنما خلو خراسان عن حماتها وطمع
ابو نصر بن محمود الحاجب على فعله ورايه فتظاهرا على الاستظهار
بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين
بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الانحدار الى نيسابور
وامده باخيه بغراجق والى هراة لنقض ما اثر من امرهما
وحصد ما نجم من شرهما فسار (مع سيف الدولة) اليهما ولم يرض بما جنى لحظة على
اثرهما من بلخ كالشهاب في اثر العفاريت فلم يرع ابا القاسم
وابن محمود غير اطلال الجيوش عليهما فارتحلا مطايا الهرب وسارا
الى اسفرا مستقبلين حمر الغضب وركب الاميران اكتافهما يتشلانهما
شل النعم حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم جرجان ۝
وامتد الامير سبكتكين الى طوس فاناخ بها الى ان تطاير خبر
اقباله فزاد في حفزهما للانهزام واعجالهما دون المقام وعطف
اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما من تفريغ خراسان
عنهما بتجديد العهد به وكان الامير فخر الدولة علي بن بويه
فقد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملا طفة
بجملة من المبار ومال من العين واللجين على سبيل النثار ۝
اقتناصا لمحبته واستخلاصا لرضاه وموافقته فقابله الامير

سبكتكين باضعافه من الالطاف وزاده عليها ثلثة من الفيلة
الخفاف ارسل بها المعروف بعبد الله الكاتب احد ثقاته فيمن
الى فخر الدولة بحسبه عليه عدد اجناده • وغوامض الطرق
المفضية الى بلاده • فكتب الامير سبكتكين يشير الى ان رسول
المرء لسانه • وعنوان ضميره وترجمانه • وان فلانا ورد
مخالف باطن افعاله ظاهر مقاله وكان من بعض فصوله انه
لو اراد ليعلم ان شبرا الملك لم يستقر في شبر الارض الا
بتغليب غلب واسود سود فجر هذا الكلام في صدره وخدش
وجه الحال التي كان خطبها فخر الدولة الى موده ثم اردف كتابه
ذلك بابي القاسم الرسول احد وجوه بابه واصحبه مشافهة
مشتملة على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته وان الرضى
تبرع له بالرعاية الوافرة • وبلت الحال ابتلال المصاهرة ولكنه
يرى نظام ذلك وقوامه • بما يوجبه من مواصلته وعمارة
حاله من ذات صدره وسالته • ان يشوله بالاخلاص له من قلبه
والاسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه • وان ينطوي له على مثل
ما يبذله من نفسه • لتستحصد المرائر • وتتاكد الاواصر • ويستمر
التحالف والتالف • ويرتفع التجانف والتخالف • واحسن
الامير سبكتكين اجابته الى ما طلبه • وانكحه من ستر ما خطبه وصفت
الحال بينهما عن الشوائب • وانتفت عن وجوه المقادح والمعائب
واستامن ابو القاسم بن سيمجور الى فخر الدولة عند الياس من خراسان
فاسنداه الى الدامغان وقومس وجرجان وفرض له ولمن اشتملت

جريدته

جريدته عليهم من حاشيته ورجاله ما لا يدر عليهم وسياتي على
بقية ذكره في موضعه ان شاء الله وورد على الامير سبكتكين
مونس الخادم رسولا عن الرضى يستشيره فيمن يرشح للوزارة
لخلو مكانها بعد ابي نصر بن ابي زيد عمن يراعيها • ويستقل
باعباء الكفاية فيها • فوكل الاختيار الى رايه • واظهر مغطا هوع
من كان من وزرائه • فاختير ابو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي
لها وحبي بالخلعة والكرامة فيها فكفل بالامر كفالة الندب
الحدب • وقام بالتدبير قيام المنجح المشذب • الى ان اختطف
سلب
الرضى اجله • وعثر بحبائله امله • وعطف الامير سبكتكين بعد
ذلك الى بلخ وعاد سيف الدولة الى نيسابور وقد كان ابو الحسن
بن ابي علي بن سيمجور مقيما بقاين عند الوقعة بناحية طوس
فلما سمع بانكشاف عسكر ابيه ركب المسافة نحو الري فاواه
فخر الدولة واكرمه • وخلع عليه فضله وكرمه • وامر له بخمسين
الف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه
من المبار والصلات • ووجوه الاجتبة والكرامات • ما تميز
به عن اشكاله رعاية لحق ابيه • وتبجحا بحصول مثله في جملة
اوليائه وحملة اياديه • فاغراه سوء القضاء • ودرك الشقاء
بالهرب من مفترش الراحة ومتوسد الدعة • ومضطجع الرفا هبة
ومرتفق السلامة والعافية حتى زج بنفسه في لجة الشوق الى
كورة نيسابور مطاوعة لهوى له كان زعمها وطن ان
استتاره • بطوي خبره ويخفي عينه واثره • الى ان يقضي من

هواه وطوه فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حواليه مستنزع
فاحترشوه كما يحترش الضب من جحره • وعجلوا به الى الحبس من فوره
وحمل بعد ذلك الى معتقل ابيه الى ان نفذ محتوم القضاء فيه
فيا له من اسير هد اسره • وختم بطابع الشقا عمره • ورحم الله
ام المومنين ام سلمة حيث تقول

• لو كان معتصما من زلة احد كانت لعايشة الرتبى على الناس
• قد ينزع الله من قوم عقولهم حتى يتم الذي يقضي على الراس

وكان اميرك الطوسي قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة فلما
عن له عبور النهر لتدبير امر الترك راى الاحتياط في الاستيثاق
منه فالحق بابي علي وذويه الى ان حاق بهم القضاء • وحق عليهم
الانقضاء كذلك يفعل الله ما يشاء • ولما استقر الامير سبكتكين
ببلخ منصرفه من طوس ورد الخبر بنفوذ قضاء الله في ابي علي
ومن كان معه في حلق الوثاق • واستشيع خبر موت الملوك ○
والعظما باطراف خراسان والعراق • في مدة اتصلت لعوب
ايامها • وتساقطت فرايد نظامها • فكانهم كانوا على ميعاد
وذلك انه تلاحق خبر مامون بن محمد والي الجرجانية في فتك
طايفة من اصحابه في مادبة صاحب جيشه واستحالت المادبة
مندبة • والدعوة مناحة • والغنا عويلا • والسرور حزنا
طويلا • وردفه خبر الرضي في مرضة لم يمتد بها ايامه حتى
الم به حمامه • وانتقل الى ثوابه بما شابه وكانت وفاته
يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثمانين

وثلثماية

وثلثماية ولقبه كتاب بابه بالرضي فرحمة الله عليه رحمة تبرد
ضريحه • وتروح روحه • فقد كان طود الملك زال بزواله
وزلت عن مراسيه لزلزاله • وتتابعت المصايب على الامير سبكتكين
بعده في تلك المدة بشقيقة له كانت اعز اهله عليه واولاد
صغار • وغلمان دار • وهلم جرا الى ان سقط على الفراش وايس
من الانتعاش • فتاق الى غزنة استروحا الى طيب هوايها
واستشفاء بنسيم ارضها ومايها • فاخذ المقدور عليه بالمرصد
واخترمته يد المنون دون المقصد • فنقل في تابوته الى غزنة
ومن عجب العجايب في امره اني حضرته ذات يوم وقد جرى حديث
العلل في اقبالها وزوالها فقال وهو مشير الى كاتبه ابي الفتح
مثلنا ايها الشيخ في اختطاف المنايا ارواحنا مثل القطيع يعمد
الجزار الى الضاينة منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوايمها
للجز فلا تزال تقلق بخلاف العادة • وتضطرب خوف الابادة
الى ان يقضي الجزار منها وطره فيحل وثاقها ويحسن اطلاقها
فترتاح لما يتاح لها من النجاة • ويعاد اليها من روح الحياة حتى
اذا كان من قابل عاد الجزار لعادته فيها فطفقت لها
بين امل وياس ونفرة واستيناس تظن ان الامر كما عهدت
تارة وتخشى خلاف العادة اخرى الى ان يقع الافراج عنها
فتطفر فرحا بالنجاة وتعود مرحا في النبات فما هي الا الثالثة
حتى يسلمها الجزار الى الجزار فيمر الشفرة على ودجها اوثق
ما كانت بالعادة • وابعدها من المخافة • وآمنها من الآفة •

اي الامهات

كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب
بينا نحن نحسن الظن بما يطرق منها اذ قامت الداعية
وسارت بها الناعية فكان بين هذا التمثيل وبين ان قضى
نحبه قدر عقار النحل فقضينا العجب بعد لما املاه المقدور
في شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار
المعروفة بسهلاباذ وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها
حتى خذله الرجاء وحق عليه القضاء واعتاقها ولده من بعده
فاهملوا امرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل
ينشد وقد اجتاز عليها بعده في مدة يسيرة

عليك سلام الله منزل قفر ... فقد هجت لي شوقا قديما وما تدري
عهدتك مذ شهر جديدا ولم اخل ... صروف النوى تبلي مغانيك في شهر

فلحا الله دنيانا من ضيعة تاكل اولادها عقوقا وجافية لا ترعى
لاحبابها ذمة وحقوقا والى الله المشتكى من صرف الزمان
وريب الحدثان ورثاه ابو الفتح البستي كاتبه بقوله

قلت اذ مات ناصر الدين والدو ... لة حياه ربه بالكرامة
وتداعت جموعه بافتراق ... هكذا هكذا تقوم القيامة

وقوله

توكل على الله في كل ما تحاوله (غيره) واتخذه وكيلا
ولا تجد عندك شرب صفا فاني قليلا واروي غليلا (حقيرا)
فان الزمان يذل العزيز ويجعل كل جليل ضئيلا
الم تر ناصر دين الاله وكان المهيب العظيم الجليلا
اعد القبول وقاد الخيول وصير كل عزيز ذليلا

وحف

وحفت الملوك به خاضعين وزفوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من امره وصار له الشرق الا قليلا
واوهمه العز ان الزمان اذا رامه ارتد عنه كليلا
اتته المنية مغتاظة وسلت عليه حساما صقيلا
فلم يغن عنه حماة الرجال ولم يجد قبل عليه قبيلا (اي اغناه)
كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا (شيا حقيرا)

ولبعض كتاب اهل العصر

مضى الامير نصير الدين منتشئا في قبره بمساع اشبهت علما
قد كان مدة ما قد عاش منتصبا لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى والنجم والرجم شكلا ان سما (ورمى)
يا من اسال رضاب الكاشحين دما من فقدك الان ابكيت العيون دما
لئن اباح صروف الدهر ساحته فانظر الى الملك والاسلام لا جرما (منصرما)
فالدين منثلم والملك منهدم وظل جل العلى والمجد منجزما

ووردت الحادثة بعد النعي بفخر الدولة علي بن بويه وكانت
وفاتهما في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب
انقراضه انه فرغ القلعة التي استجد بها على جبل طبرك مرتاحا
للانس فاشتهى طباهجا من لحم البقر فنحرت بين يديه واحدة
وطفق اصحابه يطهون له من اطايبها وهو ينال منها واتبعها
بعناقيد كرم ودارت عليه الكؤوس بينها ملاء وولاء فلم
ينشب ان لوى عليه جوفه واتصل عليه الالم وصوته الى
ان ختم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي فقولي مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاني اخذت الملك منه بسيف هلك
وقد كان استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عتوا اف منك
ولو زهر النجوم اتت رضاه تأبى ان يقول رضيت عنك
فامسى بعد ما فرع البرايا اسير القبر في ضيق وضنك
أقدر انه لو عاد يوما الى الدنيا تسربل ثوب نسك
وعي يا نفس فكرك في ملوك مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
فلا يغني هلاك الليث شيئا عن الظبي قميص السليب مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد يسم وجيفة طليت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا يقهقه اذ بكى من بعد ضحك
الا يا قومنا انتبهوا فانا نحاسب في القيامة غير شك

فاما مامون بن محمد فان ابنه عليا ولي الامر بعده وتسارع الناس الى بيعته • وعاد الملك به الى نصابه ودعته • واما الرضي فقد كان عهد بملكه الى ابنه الامير ابي الحارث منصور بن نوح فلما استغرقه الموت ومضى لسبيله تناصر على بيعته الاولياء والحشم وفرق بقايا الاموال وخبايا الذخاير والاعلاق في اعطياتهم • وتحقق اطماعهم • حتى استوسقت امور الجماعة • واتسقت الكلمة في الطاعة • وبقي ابو المظفر محمد بن ابراهيم على الوزارة • واما الامير سبكتكين فقد كان عهد

الى ولده

الى ولده اسماعيل واستخلفه على اعماله • واوصى اليه بامور اولاده وعياله • وجمع وجوه قواده وحجابه على طاعته ومتا بعته • والرضى بايالته وولايته • فلما طرق الناعي به تبادروا الى عقد ثم البيعة له وامضاء الوصية فيه فاستقر اسماعيل بعد قضاء المأتم على سرير الامارة وامر بفض الختوم عن بيت الخزانة وصب ○ الاموال حتى ارضى الرجال • واما فخر الدولة فان عسكر الديلم اجتمعوا على ولده الامير مجد الدولة ابي طالب رستم بن ابي علي فخر الدولة ففوضوا الامر اليه • وحفظوا نظام الملك عليه • ولقبه السلطان بمجد الدولة وكهف الملة وسيأتي بيان حال كل واحد منهم في موضعه على الاثر ان شاء الله ○ وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في عجايب هذه السنة وتبدل احوالها وتفاني امرائها قصيدة منها هذه الابيات

ابيات

ألم تر مذ عامان املاك عصرنا يصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى على حسرات ضمنتها الجوانح
ويا بؤس منصور وفي يوم سرخس تمزق عنه ملكه وهو طامح
وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى اسير ضرير انتحته الجوارح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله ووالي الجبال غدا غلبته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة ترشحه طرف من الحين طامح
تساقوا كؤوس الراح ثم تشاربوا كؤوس المنايا والدماء سوافح
وخوارزمشاه وجه نعيمه وعن له يوم من النحس طالح

وكان علا في الارض غبطها ابو علي الى ان طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر اعصل وعن له طير من الشوم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي براثنه للمشرقين مفاتح
اناخ به من صدمة الدهر كلكل فلم يغن عنه والمقدر سانح
جيوش كامثال السيول سوائح جيوش كامثال الجبال سوارح
جيوش اذا اربت على عدد الحصا تغص بها قيعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه دوائر سوء مثلهن فوادح
وقد جاز والي الجوزجان قناطر النجاة فوافته المنايا الطوائح
وفائق المحبوب قد حبت عمره فعاظ ولم يبذ به في الارض نائح
مضوا في مدى عامين فاختطفهم عقاب لدا طارت تخر الجوارح
وكان بنو سامان اطواد عزه فاضحت بصرف الدهر وهي اباطح
امالك فيهم عبرة مستفاده بلى ان نهج الاعتبار لواضح
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفي مرجوها بمخوفها ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال الواصفون فيها فاكثروا وعندي لها وصف لعمرك صالح
سلاف قصاراها ذعاف ومركب شهي اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه ولكن له اسرار سوء قبائح
تمت
ولما افضى امر الامارة الى ابي الحارث منصور بن نوح وهو
في حدقة البلوغ ونبع الشباب وعند مشتعل الحركة ومستفتح النجا
ومستوضح الاصالة والاصابة اقام ابا المظفر محمد بن ابراهيم
وزيرا وفوض الملك الى فائق كفالة وتدبيرا • وكان عبد الله

ابن عزيز

٥٩

ابن عزيز اتقى شوكة الامير سيف الدولة عند قصده الى بخارا
بالاصعاد الى الاعالي فلما انقرضت حياة الرضي اطمع ابا منصور محمد
بن الحسين الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمله الى
الانجاد به الى بخارا استعينا بايلك الخان على نيل الارب المنشود
واصابة الغرض المقصود • فنهض ايلك لمصاحبتهما وسار الى سمرقند
بهما حتى اذا اناخ بمرج على ظاهرها اتاه ابو منصور في حفت من
غلمانه زائرا فاحتبسه بعلة الطعام • واصحابه بين التجشم
والاستجمام • فامر به وبابن عزيز فشدا في حلق الوثاق • وقرنا في
قرن الاعتقال • وارسل الى فائق فلما اتاه اجله ورفع محله ۝
وخف عن مكانه اكبارا له وضم اليه ثلاثة الاف رجل وامره
بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على مارسمه فلما بلغ ابا الحارث
۱ب خبره فقد امده ارتج عليه وجه الصواب وصق عليه رجل الغرا
واعجلته قطاعة الحيرة عن التدبير فبادر الى العبور بمن معه من
صغير وكبير ودخل فائق بخارا فبادر الى التراب ولثم جدد الارض
وجلس مجلس الحجاب • واظهر القلق والالتياع لاختلال ابي الحارث
بدار عزه وشرفه • ومقر الماضين من سلفه • وجشم مشايخ
بخارا اليه في مسئلته تقديم الاياب • وتعجيل الانقلاب • فوثق
اذ ذاك به • وامر بالكتاب اليه في احماده على طاعته وتقريبه
فكان مفتتح ما خوطب به من جعل المخالصة ولبك الله زماما
بمودة • والمناصحة اماما يهديه ويرشده • فسعود وقوفه
حيث وقفته هذه ومحمود تصرفه حيث صرفته تلك ۝

وأزاح ابو الحارث للانصراف حين أمن جانب الخلاف • وسير
قبل صريمة الراى بكتوزون وهو الموسوم بالحجبة الكبيرة
على بابه الى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة
ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه فايق مقيما رسم العبودية •
ومؤديا فرض الطاعة المحمودية • وانكفا به الى بخارا واستقام
له الامر • وخمد ذلك الجمر • وقد كان بين بكتوزون وفايق
سخيمة • واحنة في الصدر قديمة • فاستحلفه ابو الحارث
على الاغماض له فيها والاغضاء عنها والعفو عما حن في صدره
منها • استبقاء لاقدامهما في الطاعة • واستجماعا لاهوائهما
في المتابعة • فاظهر الانقياد • وحلف بما اراد • واستقرت امور
السالارية على بكتوزون فجبى الاموال من خراسان لابي الحرث
من غير منازع ولا مدافع الى ان طارت النعرة في راسه فارتقى
من قصد سلطانه وولي نعمته الى ما عرض به الملك للهلاك
والدولة للعولة وارخ الدهر بعارا لا يرحض عنه وضرع • ولا
يدفع عن وجهه قترة •

ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسماعيل اخيه بعد انتصابه في الامارة منصب ابيه

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر
الامر على اسماعيل طمح اهل العسكر الى مال البيعة فاطلق لهم استحقا
المعتبر استصلاحا لذات البين • ثم احس القوم خورا في عوده
ورخاوة في عنان تدبيره لحداثة سنه • وطراة شبابه ولاشفاقه
على نفسه من جانب اخيه وقصده • وانتزاع الامر من يده • ○

فاستوطؤا

لبة

فاستوطؤا مراكب الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطا
بزيادات على الرواتب لهم حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين
وطلب الخزانة عما يسع الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان
يفرغ فيما ينوبه انفاقا من مؤن اطماعهم الى العدة التي كانت ○
مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في التسحب عليه لاسرع
تمزق شمل تلك الاموال • وتفرق جمع الاولياء والرجال • ولما ورد
على الامير سيف الدولة نعي ابيه وقضى ايام المصيبة فيه •
بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في تعزيته عن حادث الرزية
واشعره بانى الحسين الحمولي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له
بحكم الزعامة على اهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين
الباصرة او اعز واليد الباطشة او امر وانه سيبلغ في امره
كل ما يهواه ويرضاه • ويتعلق به مناه • وان الامير سبكتكين
انما افرده بالوصية لاعجال المنية اياه عن وضعها منه موضع
الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف
الشقة وان الراى فيما يهتز له من توثبه حكم الرياسة •
ومشاطرته الارث من ذخائر الامارة وافراده بغزنة التي هي
وكر عشيرته وحامته • ومعشش خاصته وعامته • على ان
يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها او ينقله الى نيسابور على ما
كان يدبر من اعمالها ونواحيها • فاستشعر اسماعيل بما كتب الله
عليه من النكبة في ايامه حتى كانه يراه راي العيان ويدرس
كتاب البرهان • فلم يرده على الاباء والالتواء • وتعرض تلك

الاموال للالتواء • وتوسط والي الجوزجان ابو الحارث بينهما
على ان يسكن نائرة الخلاف • ويقفهما على نقطة العدل
والانصاف • واراد كلا منهما على التلاقي قبله ليشافه كل منهما
اخاه بما يقترحه من مراده • ويعتقده من زياده • اذ كانت
لوجوه المشافهة حرمة يعز مثلها على ظهر البعاد • وفي خلال
التحيز والانفراد • فاما الامير سيف الدولة فانه راى ذلك
صوابا • واوجب من نفسه اسعافا واطلابا • واما اسمعيل
فانه ند عن الاجابة • ولحظ الامر بعين الاسترابة • وراى
التسمح بما يقترح عليه من مال الارث وان كان فادحا كله
اهون عليه من ذلك مراما • وليس تجملا والتزاما • ذعرا
تمكن من نفسه • وسرى الى صميم قلبه • وخيفة سالت به في
اودية الظنون • ونفرته عن ضم الفؤاد للسكون • وانشد
ذات يوم ابياتا لسيف الدولة الحمداني في اخيه ناصر الدولة
معرضا بالالفة التي هي اوطانها دا • واخشى من تعاود مرادا •
• رضيت لك العليا وقد كنت اهلها • وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
• ولم يك بي عنها نكول وانما • تجافيت عن حقي فتم لك الحق
• فلم لست ترضى ان اكون مصليا • اذا كنت ارضى ان يكون لك السبق
فرجعت عن مقاصدها من ذرعة وطاشت بهامها دون الغرض
المقصود لها من سعيه • وبعث الامير سيف الدولة يتدبر ما
عراه لاستجابة الرفق على الخرق • واشار بالرفق على الخرق
وسبله الى المداراة على الملاحاة • والمواتاة على المناواة •

واختيار

واختيار البر على الجفاء • وادخار الكي لآخر الداء • حتى اذا
غار نجم الهوادة المصالحة ورق جلباب الحشمة • استعد لاستيلان الامر
من بابه • ورد المنتزع منه الى نصابه • وخاطب الامير ابا
الحرث بما عن له من المهم الذي لا يسعه غير تلافيه • وشكا
كنانة الوسع والطاقة فيه • وسار في خواص غلمانه ورجاله
وقواده المندوبين لاتباع شماله • الى هراة واستانف بها مكاتبة
اسمعيل بين وعد ووعيد • وتمنية وتهديد • وترجيح بين الباس
والامل • وتنبيه على موقف الندامة والخجل • فلم يغن ذلك منه
فتيلا • ولم ينقض من قوى عقده سحيلا • وتراجعت المكاتبات
بينهما حتى جد مزح الكلام • واشتد لفح الخصام • واعيا فيصل
الامر الا بحد الحسام • ودعا الامير سيف الدولة عمه بغرا
الى مساعدته وموافقته • واتباع مصلحة البيت بمتابعته •
فتسارع الى طاعته • واقر بالحق عليه في مشايعته واتباع رايته
وخف معه الى بست ونهض الامير ابو المظفر نصر بن ناصر
الدين سبكتكين فصادف الامير سيف الدولة منه وليا
مطيعا • وصفيا الى الانقياد سريعا • وهوى منه لم يرض
بزمام وخطام • ومحبة لم تذلل باسراج والجام • فتبرع با
لانقياد وتسرع الى المراد • وجرى في حلبة الطاعة طلق
الجواد • ولما سمع اسمعيل برحيل الامير سيف الدولة في عزمه
واتجه الى غزنة سبقه اليها من جانب بلخ متجردا للممانعة •
متحشدا للمقارعة والمدافعة • وسار الامير سيف الدولة

في عدد واجنه • وسائر اوليائه ومواليه • حتى اناخ بظاهر
غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان من قواد اسمعيل
في مما لاته عليه لما عرفوه من وهي امره في الرياسة وضعف
يده عن حق السياسة وترددا السفراء بينهما في الاستصلاح وكف
عادية الكفاح • فابى الله الا ما كان مقدورا • وجعل الحق
مشهورا والمحق منصورا • وانتدب الامير سيف الدولة للحرب
فعبى المواكب • ورتب الجيوش كواكب • وزلف الى القتال في
رجال كالرماح • او كالنهال القماح • يهشون للقراع هشاشة
الاطفال للرضاع • ويرتاحون للكفاح • ارتياح الهيم للماء
القراح •

شفع الدؤب وجوههم فكانهم وابوهم سام ابوهم حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا سكانها الارواح والاجسام
مسترسلين الى الحتوف كانما بين الحتوف وبينهم ارحام
آساد موت مخدرات مالها الا الصوارم والقنا آجام

وبرز اسمعيل بمن شايعه من مواليه • وتابعه من رجال ابيه • جل
وقد حصن الصفوف بفيلة العظام كانها اركان يذبل
او هضاب شمام ودنا الفريقان بعضهم من بعض ضربا بالسيوف
البواتك • وطعنا بالرماح الفواتك • ورضخا للهام من تحت
الترائك • فظلت رحى الحرب تعركهم بثفالها • وتدور عليهم
باثقالها • الى ان رمت الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالامان
من سبق وعده • وطلع بالاقبال سعده • وعندها حمل الامير

سيف الدولة

سيف الدولة بنفسه فداعا الزحوف وخالف الصفوف
وخطبت على منابر الرقاب السيوف • وثارت عجاجة اخذت
العيون عن الاشباح • واذهلت النفوس عن الارواح • وبترت
الاعناق بايدي الصفاح • واقعصت الحماة من وضع السلاح • وظلت
سنابك الخيول تردي على جثث النفوس • وتلعب باكر الرؤوس •

تجري الجياد من القتلى على حجل ومن دمائهم يخضن في وحل
من جماجمهم يصعدن في نشز ومن دمائهم يغمضن في شكل

فلم ينشب ان اسفرتا عن مساقط ابدان واجسام فوق
هام وهام الآخرون على وجوههم يسيحون طول الارض
خوفا من حر العقاب وشر الحساب • وانحاز اسماعيل الى قلعة
غزنة متحصنا بها في العاجل من مس الطلب الى ان تلطف
له الامير سيف الدولة فاستنزله على امان وحسن ضمان •
وجاوره بمعروف واحسان

ذكر ما جرى بين ابي القسم السيمجوري وبكتوزون بعد ذلك

وقد كان ابو القاسم بن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض
فخر الدولة على طاعة ولده • فضوى اليه من شذ عنه من عسكر
اخيه وموالي ابيه • واتصل به طوائف من ابطال الاكراد
والعرب فاشتدت به مناكبه • واحدت انيابه ومخالبه
وكانت الحسكة التي ينطوي عليها فايق لبكتوزون ترصده

بالحبائل وترميه بأغوال الغوائل فأرسل إلى أبي القاسم يحرّشه
عليه ويغريه به ويبعث ما يليه من قيادة الجيوش بين أجلائه
عن مكانه وجلائه في معرض العجز عن سلطانه حتى أجهضه
عن جرجان تاركاً للعين بالضمار وعارضاً للملك على خطر
القمار فكان مثله كما قال أبو هدبة

• ولي وتركي ذرى الأكرمين وقدحي بكفي زنداً شحاحا •
كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا •

فصل عنها قاصداً قصد نيسابور في جماهير أصحابه ممن
ضرّستهم وقائع الحروب • وحنّكتهم قوارع الخطوب • وكوتهم
صروف الأيام بمياسمها • وراضتهم أحداث الليالي بمناسمها •
وأوفد أبا علي بن أبي القاسم المعروف بالفقيه على مقدمته إلى
اسفراين وفيها بعض قواد بكتوزون فالتقيا هناك على حومة
الحرب • وتساقيا كؤوس الطعن والضرب • وتداركت الأمداد
على أبي علي لقرب الخطى بينه وبين صاحبه فجفل عنه أصحاب
بكتوزون منهزمين إلى نيسابور وقد اقتسموا بين جريح وكسير
وقتيل وأسير • وسار أبو القسم سير السحاب تحثه ريح الجنوب •
حتى أناخ بظاهر نيسابور مستطيلاً بشوكة رجاله وشكة ۝
أبطاله فأرسل إليه بكتوزون يعلمه أن الحرب سجال •
وحسن الظن بعواقبها محال • وأن في قرع باب البغي تعرضاً
للبلاء • واستبداداً على سوء القضاء • وإنما يصبر على الكفاح •
من لم يجد وجهاً للصلح والصلاح • فأما من كان في فسحة من

الرأي

الرأي ومندوحة من الاختيار فإنه يضن بنفسه عن التغرير
بها في مباشرة القتال • ومساورة الأبطال • ومغامسة ۝
الأهوال • وأن الرأي له أن يعدل إلى قهستان ليتحول له
من الأمير أبي الحارث ولاية مرو ليتهيأ رعاية لحق خدمته
وقدمته • وسابق موالاته وذمته • فضربه أبو القاسم بأذن
مستكة عن الانتصاح • منسدة عن الصلاح • وحمله الإدلال
بحاله ورجاله على التحكم والتسحب والتمنع والتعصب ۝
وأهاب بعسكره إلى الحرب فأصبحوا على مساقاة الطعان
والضراب • ومعاناة الحرب ببيض الصفاح • وزرق الحراب •
ذاهلين عن مصرع الغرور • واثقين بمطلع النجح والظفر وبقي
بكتوزون برجاله الفتاك • وأشباله الأتراك • في سائر
من أظلتهم رايته من قواد الأمير أبي الحارث وأنصاره • والمعتصمين
بذمة شعاره • فالتقوا بقرية تدعى بسنجة بظاهر نيسابور
واحتمل أبو القسم نجوماً ورجوماً • ولاقت بكارته الحاق قروما
واشتبكت الحرب بينهم نفحاً بالمناصل • وضرباً بالمعاول ووخزاً
بأطراف العوامل • واشتعل أصحاب أبي القسم فيهم كالنار في
دقاق العوسج • أو يبيس العرفج • ضرباً هبراً وطعناً نثراً ورمياً
سعراً • وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طرداً ودحراً وقهراً وقسراً
حتى إذا ظنوا أن قوادم الهزيمة • قد أفرخت لهم عن خوافي الغنيمة
حمل بكتوزون على أبي القسم حملة أزلقتهم عن المقام • وأعجلتهم
للانهزام • فانصاعوا لا يحذون ولا يلوين يقودهم الخجل • ويسوقهم

ابو القسم

الخوف والوجل • وقبض في منهزمهم على أبي القسم الفقيه على
اركان أبي علي في أيامه بمشهور رايه ودهايه • ومذكور
غنايه ومضايه • وعلى عدة من وجوه قواده سواده وفر أبو
القاسم في شدة إذ عسكره صايما على وجهه حتى امتد به الوجيف
إلى قهستان وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلثماية
وكتب بكتوزون إلى بخارا بذكر الفتح وما يسره الله عليه من عسير
النجح فسر الجمهور وانثلج الصدور وما خلا فايقا فانه اغتم واهتم •
وكاد أن يعقد المأتم لما تم • وسار أبو القسم بعد ارتياشه
وانتعاشه إلى بوشنج متحكما في أموالها وأعمالها وناهضه بكتوزون
لانتزاعها من يده وتوسط السفرا بينهم على وصلة انعقدت بينهما
ورهنه أبو القاسم ابنه المعروف بأبي سهل وارتفع بينهما
الخلاف وحصل الاتفاق والايتلاف وعاد أبو القسم إلى قهستان
وكر بكتوزون إلى نيسابور في رجب من هذه السنة وجرت بين
فايق وأبي المظفر محمد بن إبراهيم البرغشي ملاحاة في تدبير
الأعمال والأموال فارصد لها بالسوء وقصده بالمكروه من
أكثر الوجوه فلاذ بأبي الحرث من قصده وأستأمنه على نفسه •
فآواه داره • وأدر عليه مباره • وأتاه فايق يسئله تمكينه منه
فجبهه بالرد وأغلظ له في القول فخرج من مجلسه على حد منكب
تتحدث بالانقطاع إلى الترك والإخلال بكفالة الملك • حتى
سفر بينهما مشايخ بخارا فنقشا فايقا عن رايه • واستماحوا الأمير
أبا الحارث حسن عفوه واغضايه • وسير أبو المظفر إلى ناحية

الجوزجان

الجوزجان وسد مكانه بأبي القاسم البرمكي صدقت فيه فراسة
المعروف بالمضراب الشاعر البوشنجي حيث يقول

وكنا زمانا ندم الزمان • ونرثي الوزارة بالبلعمي •
فأخرنا العمر حتى انتهت • من البلعمي إلى البرغشي •
وسوف يؤول على ما أراه • قريبا إلى البرمكي •

وكان أبو القسم هذا موسوما بالفضل إلا أن أغلب الصفات عليه
صفة البخل وحين ولي الوزارة نافس أولياء ذلك الباب في
أعطياتهم الواجبة • وجراياتهم الراتبة • وعارض اطماعهم في
خاصته بزند شحاح • ووجه على الرد وقاح • فلم يرعه الا دبيب
الأتراك تهشم قدا له • وترض عظامه وأوصاله • ولقد أحسن من قال

يقول لي دعبل في ثوبه خلل • ولو يمس بثاني دعبل خللا •
لا والذي سبك الصهباء من ذهب • في الكاس ياقوتة ما سادني بخلا •

ذكر انزال اسمعيل من قلعة غزنة

واستنزل الأمير سيف الدولة أخاه اسمعيل من قلعة غزنة
على أيمان بذلها • وضمان احتمله • وتسلم منه مفاتيح الخزاين وأحاط
بزوايا الأعلاق والدفاين • وجبر له كسر حاله • وأعاد إليه
رونق بهائه وجماله • وشحن غزنة بثقاته والكفاة من حماته
وانحدر إلى بلخ في عامة أوليائه وأنصاره • وقد انتظم له
ما انتثر بعد أبيه • واستقر عليه ما سعى في تلافيه • فغصت
شعاب بلخ وضواحيها بطبقات رجاله • وعلامات الإعلام
من أقياله • فكتب إلى الأمير أبي الحرث بذكر اقباله • وحذفه

فضل الشغل الذي كان يأخذه عن باله • وانه قائم مقام ابيه
في المحاماة عن الدولة • والمراماة عن الجملة • والاقبال على حقوق
ما تعرفه من بركة اصطناع الرضي واصطفائه • وتقديمه
على زعماء حشمه واوليائه • فارسل اليه ابا الحسين العلوي
الرضي الهمداني في تهنئته بمقدمه • واظهار التيمن بموطئ
قدمه • وعقد له على بلخ والترمذ وما والاها • وديار هراة
وما تاخمها وداناها • وتلطف في الاعتذار اليه من امر نيسابور
حرصا على ترضيه • وكراهة لصرف بكتوزون الا بعلة تقتضيه •
فعلم الامير سيف الدولة ان تلك المناقشة صادرة عن تمويه
الحساد • وتلبيس المنادين والاضداد • وان داء الحقد ليس له
علاج • وان صلاة النجح بغير فاتحة البر خداج • فارسل الى
الامير ابي الحرث ثقته ابا الحسن الحمولي بهدايا يغص بمثلها
سمع النفوس ويضيق عن قدرها رحب الصدور ورسم له ان
يحجب سمعه عن تضريب المضربين • وتثريب المثربين • ويتلطف
لاستخلاص سره له • واستصفاء محله قبله • لترتفع الحشمة
وتتاكد العصمة • ويستحكم الثقة • بان نجحه بعرصات خراسان
على موالاته • وتدبير امور ولاته • ويزيد الدولة قوة وايدا
ويكفيه ما يخشيه على الاعداء مكرا وكيدا • فلما ورد بخارا اعرض
عما وجه فيه • وعرضت الوزارة عليه لموافقة مورده • وخلو
صدرها عمن يستقل بامرها فكان مثله كما قيل
خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقا تفردي بالسودد •

واشتغل

واشتغل بالوزارة عن حق السفارة واقبل على الامر بوجه المجد
المستبد يريد كبس ما انبثق عليه النهر وكتمان ما نم عليه الجهر
ولن يصلح العطار ما افسد الدهر وانشد في المضراب لنفسه فيه
وكانت ثمر الدهر من عز حنكة بيوسفيه والبلعمي وعتبي •
الى ان رمانا بالغفاري بعدهم وعاد بنا في عبده وعزيزه •
وما قد رهانا بابن عيسى وجوره وفي ابن ابي يزيد النجيب وسبه •
فلم يرض بالمقدور فيهم فامتنا بكل كسير في الورى وعويره •
ولما احس الامير سيف الدولة بصورة الحال في تناقض الاراء
وتخاذل التدبير والاهواء • واشراف الملك على الضياع بمدا
النصحاء • واعتنائهم بصلاح انفسهم في وجوه المقاصد والانحاء
دون سائر الدهماء • عن الى نيسابور على ما كان عليه • في جماهير
اوليائه ومواليه • وحين سمع بكتوزون باقباله نحوه خرج
عن نيسابور قصدا ابقاء على عدته وعتاده • واشفاقا على
عدد رجاله واجناده • وكتب الى الامير ابي الحرث بفصوله
عن مكانه اخذا بالوثيقة • ومحاماة على الحقيقة • واحتراسا
من غرة اللقاء قبل اختمار العزيمة • والراي تحاماته الحداثة
ونزقة الصبي والغراه • وقلة النظر في العواقب • وعدم الحظ
من التجارب • على الاعتداد من خراسان فيمن انهضه الامكان
للمساعدته • من وجوه خاصته وسائر حاشيته • وسار الى سرخس
كالسهم صادرا • عن وتره والسيل سائرا • الى منحدره فعلم الامير
سيف الدولة ان قصده اياه من نتائج التغرير • وفايل الراي

هنة

والتدبير وبهانة الناصح والمشير اذ لم يكن في منة العوام
مقاواته على شدة باسه • وملاقاته على قوة مراسه • اذ لو قدمهم
بعض رجومه لغادرهم رمادا اذرته العواصف • وتقتسمه
الشمائل والجنائب • لكنه راى ان يغضي جفن الاحترام •
ويحمي ستر الاحتشام ويرعى سالف الحقوق والذمام • فحاد عن طريقه
الى مرو الروذ مفرجا له عن نيسابور الى ان تمكن من ارتجاعها
بقية تشترك في معرفتها القاصي والداني • وحجة على مناويه
ومخالفيه يتصورها الحاضر والبادي • وعطف الى قنطرة
زاغول مخيما بها مراعيا لما يسفر عنه التدبير وينكشف عن
حقيقته وبادر بكتوزون الى مناخ الامير ابي الحرث وهناك
فائق في قضه وقضيضه ولفه ولفيفه فلما وصل اليه انكر
محله لديه لتقصيره في حق مقدمه فجاه اليه وشكا الى فائق
ما انكره • فشكا اليه فوق ما ذكره • وتداولا بينهما ذكر معايبه
وتقاولا خشونة جانبه • وحزونة اخلاقه وضرائبه • واغريا
اهل العسكر بخلعه • والتماس الراحة في الاستبدال به • فابحروا
معهما في حرير المساعدة حرصا على لذة الاستطراف • واغتناما
لنهزة الاستضعاف • فاستحضره بكتوزون بعلة اجتماع العسكر
لمهم احتيج الى نظره فيه • واشارته بوجه الصواب في تلافيه •
حتى اذا احضره حصره • ووكل به من سمل بصره • تبرا ولفجيعة بطليعة
حبوته احسن ما كان من احماله وعمود اعتداله وطلعة هلاله
وروعة عزه وجلاله • ولقد احس اليه عند الاستسلام

في حاج

في حاج له ثلاث خفاف المؤنة عليه منها صيانة من قامت عنه
عن ذلك المناظرة على مال المصادرة وكايدته بخلاف حاجة وتقبض
مسيلته الهابا لنار الحسرة في صدره • ومضاعفة لثقل المحنة
على ظهره • فعل الموتور بما لا شوى له ولا بقيا معه وعمد هو وفائق
الى اخيه عبد الملك بن نوح وهو اصغر منه سنا واضعف ركنا
فاقاماه مقامه وسدا به مكانه • وماج الناس بعضهم في
بعض للفتنة الشاعرة والاحوال المتنافرة • ونذر الناس بالامير
سيف الدولة وقد خيم بقنطرة زاغول فكروا على ادراجهم كالنعا
الراعية راعها الفوارس • واحاطت بها الكلاب النواهس •
حتى اخذوا قرارهم بمرو • وارسل الامير سيف الدولة الى ه
الكافلين بالتدبير يهجن اليهما ما ارتكباه في ولي النعمة من ازالة
الحشمة واضاعة الحق والحرمة • غير ناظرين للدين ولا متحرجين
للاسلام والمسلمين • ولا متهيبين للاحدوثة الشنعاء على السنة
الذاكرين مدى دهر الداهرين • وامتدت المراجعة بينهم في
الحادثة الكارثة ومما يخلا به عن انتهاز الفرصة • واهتبال
الغرة • مهما تطيعا له عن صاحبهما في تجديد الرعاية ومزيد
الولاية • وكلما هم بالاحجام على وجه الاحترام • طالبته سعادة
الجد في الاقدام وحرضته على الانتقام للدين والاسلام •
ثم راى ان يزحف عن مناخه الى ظاهر مرو ليكون لطائفة
الصلح وجاها • او سفاهة السيف شفاها • ولما تسامع القوم
باقباله دب الفشل في تضاعيف احشائهم • وسرى الوهل في

امير

تقاربوا أعضابهم. فاستطار الخوف في مزاج دمائهم ولما
سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين فأبى الله إلا أن ينتقم منهم بسيف
الدولة جزاء عن عملهم الفظيع وخطبهم الشنيع. وسعيهم المذموم
عند الجميع. فصبّ عليهم صبّ عزالي الغيث سوء المرزمين غير
أنه غيث وغيم حشوه ضيم وسحاب حمله عذاب وكذلك أخذ
ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد بذوبرز
فائق وبكتوزون صاحبا عبد الملك بن نوح وسائر أهل
العسكر إلى ظاهر مرو مقابلين لعسكر الأمير سيف الدولة بطلا
جلادة. وبيتران بلادة. وبعد ما تظاهروا العيون وتجمّان
حقيقة الحرب الزبون. قد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وحجبت
الأقطار عنهم مزرورة. وذيول الخذلان عليهم مجرورة.
وبوارح الإدبار وجوانح الدمار من كل أوب وصوب إليهم
محشورة. وظل القوم على علم بأنهم يدمرون على الدمار
ويتهافتون تهافت الفراش في النار. ويقتلون الأنصار بسيوف
الأنصار. كما قال تعالى يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
فاعتبروا يا أولي الأبصار. وتردد السفراء بينهم وبين الأمير
سيف الدولة في مواضعة على سلم يسلمون معها في الحال من
شدة بأسه. ويفتدون من مرارة كأسه. فأحسن الأمير
سيف الدولة إجابتهم على مواضعتهم على علمه بانبساطهما للتجمل
والجبلة. واستشعارهما للغدر والخديعة إلزاما للحجة. وطمعا

على

على الشبهة وإنذارا إلى الكافة. وبراءة في خطة البغي في دفع
المكافأة. فما كان إلا أن قوّضت للرحيل خيامه. ونشرت للقفول
أعلامه. حتى ثار أوباش الخراسانية على إثره لانتهاب عسكره
يظنون بأنفسهم الظنون. وإنما يتحملون المنون ويدوسون
أذناب الأراقم لو كانوا يشعرون. ولما رأى الأمير سيف الدولة
ركوبهم مقطعة الضلال واقتحامهم مسبعة الآجال. معلقين
خيوط الرقاب بالحرص الغالب والطمع الكاذب. لا يثنيهم حلما
وسيم عن التسفه والتخبط. ولا يحميهم كبراؤهم عن التهور والتورط
علم أن ذلك أمر يراد. وداء خلطه البغي والعناد. وأيقن أن
سوء مهم بالفساد مغمور. وأن السفيه إذا لم ينه مأمور. وأمر
بالسائرين فجاش إليهم من حواشي الجيوش من طبقوهم بالحص
والرض. وأضجعوهم إلى من شاء الله على صعيد من الأرض واستنجحا
الله في الكر على بغاة السوء نحا كما أباهم إلى البيض القواطع
ومد لنا ببنان الرماح الشوارع. ومستملا على الانتصاف منهم
بشهادات النسور والخوامع. وأقبل فرتب الجيوش قلبا كهلا
وميمنة كرضوى وميسرة كأبان. وحشر المصاف برجالها بين
من قبله كرعن الجبال أو ركن السحاب الثقال. مغشاة بتجافيف
لم يعوزها عن صدق النواظر وحدائد الأنياب الفواغر وتهول
ساستها عليها بزفقات كالبروق الخواطف وصفارات كالرعود
القواصف. وقد نشرت عليها التماثيل السود. كأنها الأساود
والأسود. تخيل اضطراب الرياح فيها أنها تزحف للالتهام

أو تعض لاختطاف الهام • وتعالت عنها أطراف العوامل فكأنما
آجام السواحل نباتا وشياطين الإنس فرسانا • وعفاريت الهند
والترك مردا وشبانا • تنض عليهم سابغات داود كصفائح الما
تجلوها الشمس سافرة وتزهاها السنابل سابرة • قد جعلوا
الدروع وقاية للأجسام • وظاهروا عليها بالقلوب حرصا
على الانتقام • فهم يانسون بمباشرة القتال • ومساورة الأقتا
واستثارة المنايا عن مرابض الآجال • أنس العيون بأناسيها
الباصرة • والقلوب بأغانيها الحاضرة • ووقف الأمير سيف
الدولة في القلب بنفسه وأخويه نصر وإسماعيل ابني ناصر
الدولة والدين سبكتكين وعمه بغراجق فكأنما عناه أبو فراس

علونا جوشنا بأشد منه وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش في الفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرياح
وأروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود للصباح
صفوح عند قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

وزحف بهم نحو الخصوم على هيبة وافرة وهيبة حاضرة فكادت
الأرض تمور والجبال تسير والنهار الباهر يحول • والفلك
الدائر يزل أو يزول • وتنذر القوم بأقدامه • وإقبال ألويته
وأعلامه • فقامت عليهم القيامة • واستفاضت فيهم الخشية
والندامة • وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون علما بما ارتكبوه

بالإقبال

من

من الأمر الأمير واجتلبوه من الصيلم الآد • وحفر حافر الضرورة عن
المشورة وفزعوا إلى الاحتشاد • وبعثوا بالركوب إلى القواد •
والأفراد وبرزوا من جدران المدينة في أفواف وأصباغ يوم
الزينة وهم أكثر ما كانوا قط في معركة تحشرهم من أطراف خراسان
وما وراء النهر كل فارس وراجل وحامل عضب وعاسل سوى من
استقتهم ملك الدولة من كل فحل بازل وبطل باسل وشجاع مقاتل
وأقاموا الصفوف على الموازاة قلبا كمجتمع الليل وميمنة كمدفع
السيل • وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل • وماج الفريقان بعضهم
في بعض كالجراد المنتشر ضربا يزيل الهام عن العواتق ويبين الزنود
عن المرافق وطعنا يهتك ودائع الصدور • ويبرد مشارع الهموم
والسرور • رشقا يصيب شواكل الأبصار • ويطلب وراء القفا
مضجع الفرار • واشتدت الحرب حتى تقلصت الشفاه وتغضنت
الجباه وتقطعت الأنفاس وتحزبت الفرسان والأفراس واغبرت
الآفاق • واحمرت الحمالق والأحداق • وخاض الأمير سيف الدولة
غمرة الحرب يجذب بالأوهاق مطالع الأعناق ويختطف بالأرماح
ودائع الأرواح ويبض بالأسياف مجامع الأكتاف حتى رويت
الأرض من نزال الحلوق • وغرقت الحوامي في نواهر العروق
ودامت على حالها في الاحتدام والاضطرام • والافتراس بأنياب
الحمام • حتى استقلت الشمس الكليلة على الجبل إلى أن نقضت ذرشا
على الأصل فاضطرب القوم ضجة من حز المناصل • وصقا بوخز
العوالي في العوامل • وتداعوا بحملة تكشف عنهم غمة القتال

ر

بفصل الادبار والاقبال فطرحوا الميمنة على الميسرة وهم يظنون
وراء ذلك ظنونا ويخطبون من بنات الاماني ابكارا وعونا
وابى الله الا ان يعكس عليهم ما ظنوه ويحيق بهم وبال ما شنوه
حين ركبوا من ولي النعمة ما ركبوه اخفارا للذمة وانكارا
لتربيته وازالة لحشمته واضاعة لحق نعمته واطلع الامير سيف
الدولة ان زحف اليهم بسواد من قبله فلم تكن الا صدمة واحدة
حتى زلت الاقدام عن مقارها وتهافتت الرقاب عن مرازها
وجعلت تتساقط اشخاص الالوية والمطارد وتبرد النفوس
عن ضرب السيوف البوارد واستمرت الهزيمة بالظلمة عند
اعتكار الظلام وطار ابن الاقطار كل مطار وسفت بهم
سافية الدمار والادبار فلم يلتق منهم بعدها اثنان عند
تناول الاقران وتناوب الضراب والطعان وذلك ذكرى للذاكر
وكذلك يفعل الله بالظالمين وحمل عبد الملك بن نوح الى بخارا
ومعه فايق في اتباعه وانتبذ بكتوزون الى نيسابور في اشياعه
وابو القاسم بن سيمجور الى قهستان وقد صاروا اخزن مزق وغادوا
شذر مذر واصبح سيف الدولة وقد انجز الله له وعده ونصر
جنده وجده واسعد الله على رغم الراغمين جده واعلى يده
واورى زنده وساق اليه هدى الملك على غير مهر سوى الشكر
ولا صداق سوى الاستحقاق وورث دولة آل سامان وملك ديار
خراسان سنة تسع وثمانين وثلثمائة ورأى ان يجلي بكتوزون
وابا القاسم السيمجوري عن التجمع ثانيا والتحدث بالالتقا اتفا

فانحدر

فانحدر الى طوس في البحر الاخضر من رجاله واقبل له وطار بكتوزون
بجناح الهرب الى حدود جرجان وبعث السلطان على اثره ارسلان
الجاذب ليجعل يطرده طرد الشهب اشخاص العفاريت حتى نفاه
عن تخوم خراسان وولاه السلطان ناحية طوس ورتبه بها
فيمن ضم اليه من قواده وسار الى هراة مطالعا للاعمال
وتجديدا للعهد باحوالها فلم ينشب بكتوزون حين سمع بانثناء
عنانه عنها ان كر الى نيسابور فملكها ثانيا يرى انه يناضل عن
دولة قد خمد جمامها وانقضت ايامها وناحت عليها اضدادها
وهامها فلم يرد على ان حشم السلطان كلفة الكر عليه قبل ان
اطمأنت به قعدته اوجفت على طريقه لبدته فجفل عن نيسابور
على سمت ابيورد وشد السلطان عليه الطلب فركب المفازة
الى مرو الروذ فمن اعانهم فراهة المراكب وقوة الصبر على
وعثاء تلك المهارب فرام ان يتملكها ويحتجز بها فمانعه اهلها
موالاة للسلطان وشكرا لما وسعهم من العدل والاحسان
فشن عليهم غارة شعواء وخبطهم بالسيوف خبط عشواء وركب
مفازة آمل حتى عبر النهر الى بخارا ولما خلت خراسان من بكتوزون
واصحابه سرب السلطان ارسلان الجاذب والي طوس الى
قهستان لينفضها عن ابي القاسم السيمجوري اذ كان يظن الظنون
في تدبيره ويطمع في الارتياش عن تخسيره فواقعه بها وطرده
الى نواحي طبس عنها وولى السلطان اخاه نصر بن ناصر الدين
سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان ورتبه بنيسابور على ما كان يليه

ان يسموا على تدبير الزمان واستدت الى بلخ مستقر ابيه ناصر
الدين سبكتكين فاتخذها حضرة الملك ودار السلام ولما انتهى
السلطان الى حدود مرو الروذ منصرفا اليها وركب على سمت
القصد في خف من العدد ومعه اخوه اسماعيل بن ناصر الدين
وقائد من قواد ابيه يعرف بنوشتكين كاج قد ورث اخشاسه
مآل امره على يده لاعتزاز كان لاحد رفقائه في الاثبات والاطلاق
والاحسان والارفاق • فبينا السلطان في متن الاقتناص اذ
حانت منه التفاتة فاذا هو قابض على قبيعة سيفه يروم انتضا
ويذري وجه اسماعيل بطرفه يطلب ايماه • ولاح السلطان
انكار اسمعيل عليه بدلائل رمزه وايماضه • وشواهد ارتياعه
وارتعاضه • غير ان استشارته اياه فيما جفاه قد فرشت له
بساط التهمة • وجرحت منه جارحة الثقة • وبادر السلطان
الى مضربه وقد امر بالاحتياط عليه في وقته وحكم فيه خواص
غلمانه فاخذته السيوف حتى تطايرت اعضاؤه • وتناثرت
عليه اوصاله واجزاؤه • ثم دعا اسماعيل فاذن بعذره وجحد
العلم بما ابداه الخاين من خبيئة سره • وجرت مفاوضات
ومراسلات اقتضاه اخرها ان يستوثق منه لنفسه وملكه
اذ كان لا يلتقي سيفان في غمد ولا يجتمع فحلان في شول وبلغني
ان السلطان بعد استنزاله اياه عن القلعة بغزنة بسط منه
في بعض مجالس انسه وباحثه بلسان الاختبار والاستدراج عند
حث السقاة عما كان ينويه في معاملته ان لو ملك زمام منه

ما ملكه

ما ملكه هو منه فحملته سلامة صدره ونشوة خمره على ان قال
كان راي فيك ان اوعز بك الى بعض القلاع موسعا عليك فيما
تقترحه من دار وغلمة وجوار ورزق على قدر الكفاية دار •
فلما اراب السلطان عند الحادثة به عامله بعين ما نواه •
وقابله بجنس ما ابداه • واستودعه والي الجوزجان ممكنا مما
يشتهيه متعا بمثل ما كان ينويه • فلله هذا الفعال الذي طرز
ديباجة الكرم • وغبر في مساعي ملوك الامم • وقد يستغرب
هذا الاسجاح من وجه وان كان لا يستبدع من احوال لان هناك
عاطفة القربى والرحم ولكن الشان في الاجانب الذين
تعلق برقابهم الاجرام الفادحة • والجنايات الفاحشة • كيف
يتسلط فيهم رايه على هواه • ويستبقي الجاني بما جناه • فلم يسمع با
عرق منه في الجنايات سيفا ولا احسن على عثرة الزلات
صبرا واجمح بهذه الخصلة الفاضلة ان الحازم يسلب الجاني
في حال سخطه ما يمكنه الوفاء بعينه او بمثله عند رضاه وجرح المال
يوسي بالتعويض والاخلاف فاما النفوس فليس لانتلافها تلافي

ذكر الخلع التي افاضها القادر بالله امير المؤمنين على السلطان يمين الدولة وامين الملة

اوجب القادر بالله امير المؤمنين له خلعا لم يسمع بمثلها محمولة
من دار الخلافة • ولقبه في كتابه بيمين الدولة وامين الملة •
وولي امير المؤمنين لقبا كان مصونا في صدف الشرف لم ينله
قط احد من الخاصة على كثرة الطلاب وتنافس الملوك في

الألقاب فتبوأ سرير الملك واجتاب خلعة المجد وادّرع
شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين
وقام بين يديه أمراء خراسان سماطين مقيمين رسم الخدمة
وملتزمين حكم الهيبة وحبسهم بعد الإذن العام على مجلس الأنس
وأمر لكل منهم ولسائر غلمانه وخاصته ووجوه أوليائه
وحاشيته بحسب رتبته من روائع الخلع والصلات ونفائس
الأحبية والكرامات بما لم يتسع مثله ملك لملك ولم يبق
بعضه ضمير أمير واستجابت خراسان للأمير وقرعت منابرها
بذكره واتسقت الأمور على أحرها في كنف إيالته واستوسقت
الأعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزوة
في الهند نصرة للدين وقمع أعداء الله الملحدين فكتب الله له
أجزم وأحسن نصره كذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

ذكر انصراف عبد الملك بن نوح إلى بخارا

ولما وصل عبد الملك بن نوح إلى بخارا في الفل ومعه فايق
وتلاحق به بكتوزون في أصحابه وأولياء عبد الملك في مصافهم
طمعوا ثانيا في الاستقلال وتكفلوا لأنفسهم بمطالع الإقبال
وتحدثوا بالاحتشاد لاستئناف القتال واخترم من بينهم فايق في
شعبان سنة تسع وثمانين وثلثمائة وهو وجه الرزمة وطراز
الحلة وعمدة الجملة والملقب بعميد الدولة فتمكن الانخزال
من صدورهم وسرى الانحلال في أمورهم وانحدر إيلك

الخان

الخان إلى باب بخارا يظهر لعبد الملك وسائر أنجاده وأجناده
موالاة خداع واحتيال وممالاة استدراج واغتيال وهم
يظنون استظهارا على ما عراهم واحتياطا لما شد عراهم
مغرورين عن واجب الاستبصار والاحتراس عن حبائل الأوتار
حتى آنسهم بلطائف برّه وإقباله وأطمعهم بزخارف أقواله
وأفعاله وركب إليه بكتوزون وينال تكين الفايقي وسائر
قواد عبد الملك صباح يوم فلما اطمأنت بهم المجالس أمر
باعتقالهم والقبض على أصحابهم ودوابهم واستلاب أسلحتهم
وأسبابهم فلم ينج منهم إلا الفاذّ الشارد والنادر المبادر
فبلغ الخبر عبد الملك فوجد عدته قليلة وقوته مستحيلة
فلم يجد عن الاستخفاء حيلة ودخل إيلك بخارا يوم الثلاثاء
العاشر من ذي القعدة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ونزل دار
الإمارة وبث عليه عيون الطلب وطلائع الرعب والرهب
حتى ظفر به فحمله إلى أوزكند فمات بها وطفئت بقية الشعلة
من دولة آل سامان بما وراء النهر وأطراف خراسان فصارت
كأن لم تغن بالأمس كدأب الدول الماضية في القرون الخالية
إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

ذكر خروج أبي إبراهيم إسمعيل بن نوح المنتصر وما جرى بينه وبين إيلك الخان بما وراء النهر وبين صاحب الجيش الأمير أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين بخراسان

كان سبب خروجه أنه لما تمكن إيلك الخان من بخارا قبض على

ابي الحارث المكحول وعبد الملك وابي ابراهيم وابي يعقوب بني
نوح بن منصور الرضي وعلى اعمامهم ابي زكريا وابي سليمان
وابي صالح الغازي وغيرهم من الارومة السامانية وامر
باعتقالهم ورسم افراد الاخوة منهم في حجرة على حدة احتياطا
لنفسه بتفريق ذات بينهم عن تمكينهم من اقتضاب الحيل واختلاق
الاراجيف وارتقاب الفرص واحتال ابو ابراهيم المنتصر ○
للتخلص من معتقله في زي جارية كانت تنتابهم لتطالعه
احوالهم ومراعاة اوقات اقواتهم • فكانت حاله في الخلاص
كحال الكميت حين استشعر ثياب طلته وانسل عن عمد الاعتقال
ببهجته ثم انشأ يقول

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها صريمة رأي اشبهت سلة النصل

واستخفى المنتصر بعد خلاصه عند عجوز من اهل بخارا الى ان
ايس منه الطلب ثم سار الى خوارزم كالحسام القاضب بل
الشهاب الثاقب متجردا للانتصار • مستعينا بالله على درك
الثار • وتلاحق به من ند وعار • وانجد وغار • من بقايا القواد
والاجناد السامانية في اطراف خراسان حتى اجتمع شمله
وكثف خيله ورجله • وركض ارسلان بالو الحاجب الى بخارا
ليبيت الخانية بها تحت الملاحف ويشغلهم بعقائق السيوف
البوارق • عن نجاز الاحلام الطوارق • وقبض على جعفر تكين

وعلى سبعة عشر نفرا من اعيان القواد الخانية وحملهم في وثاق
الاسر الى الجرجانية وافلت الباقون بجريعة الاذقان نحو ايلك
الخان فركب ارسلان اكتافهم يحثهم حث الشمال قزع الخريف
وطوحهم الى حدود سمرقند وما يليها مقتفيا آثارهم وكاسعا
ادبارهم ووافق بقنطرة كوهك تكين خان في عسكر جرار نائبا
عن ايلك في حراسة سمرقند وما يليها فانتدب لمناجزته واستعان
بالفل وسائر اصحابه على مبارزته • فنصب ارسلان له وجها
وقاحا واضرم عليه الارض كفاحا • فولاه ظهر الادبار •
واتقاه بعودة الفرار • وغنم ارسلان ومن معه اموالهم •
ورموا بتلك الانفال احوالهم • وعاد ابو ابراهيم المنتصر عند
ذلك الى بخارا فاستبشر اهلها بمعاودته على مراده وبلغ ايلك
خبره فجمع اوباش الترك وصمد صمده في العدد الدثر وكر
ارسلان بالو راجعا الى المنتصر واقتضاه الاحتياط عند ذلك
العبور الى آمل الشط فوافاها وحماها وضاقت به وبعسكره
فركب المفازة على سمت ابيورد فملكها وسار عنها قاصدا قبل
نيسابور وبها صاحب الجيش ابو المظفر بن ناصر الدين سبكتكين
فالتقيا على ظاهر نيسابور على فضاء بين نغاجي ونشيجة فرسخين
على اربع فراسخ من نيسابور وذلك يوم الاربعاء للثلثين
بقين من شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين وثلثمائة ودارت
عليهما رحى الحرب يفصلون بابيض البوارق • ما بين الطلى ○
والعواتق • ويضربون بمفارق الهام ضرب القدار نقيعة

القدام ولما اشتدت وطأة الحرب على صيحها ومرت كاسها
على شربها وتكاثفت جموع ابي ابراهيم المنتصر على اصحاب صاحب
الجيش ابي المظفر اقتضاهم الاحتياط ان يتحيزوا الى جانب هراة
انتظارا للمدد واستشرافا لمأمول صنع الله في الغد فحثوا ظهور
الخيل بين ذيول الليل حتى شابت عليهم لمته بين حدود البوزجان
وتمكن المنتصر من نيسابور وانضم اليه من شذاذ العسكر
الجمع الكثير والجم الغفير وبلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره فاستركب خيله من غزنة ان تربص بها نهارا و
ليلة وسار سير الجنب يطوي الارض طي السجل للكتب حتى انقض
على نيسابور انقضاض بنت الهوا على بنات الما ولما تسامع المنتصر
باقباله انحدر الى اسفرايين في عامة رجاله وبث اصحابه
في الرساتيق لجباية اموالها وازاحة اطماع حشمه بها فازعجه
الطلب اللحاق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير مستصرخا اباه
ومؤملا غوثه وجدواه فتلقاه بكل ما تمناه ومهد له ذراه
واعطاه حتى ارضاه وكان مما امر بحمله اليه صفقة واحدة
عشر دواب بمراكب الذهب وثلثون بمراكب الفضة وثلثون
من العتاق الجياد بالبراقع والجلال وعشرون بغلة بمراكب
الذهب والفضة وثلثون اخرى مقرونة بخمسين جملا موقرة
احمالا واثقالا من البسط النادرة والفروش الفاخرة من
حصر طبرستان وساير الطرايف المجموعة في الخزاين بجرجان
واضيف الى ذلك الف الف درهم وثلاثون الف دينار

ومائة

ت
ومائة وخمسون تختا من الديابيج التسترية والسقلاطونيات
العضدية والحلل المحرية والخز والطاقية وساير الثياب
دها
المصرية وامر لاهل عسكره بعشريناتهم معونة لهم على عوارض
حاجاتهم واشار على المنتصر بقصد الري اذ كانت معرضة لقضا
تخاذل اهوايها وتواكل اوليايها واستحكام الفتن والاحن
الرايدين عن فنايها على ان يمده بولديه دارا ومنوجهر في
جيوش الجيل والديلم ووجوه الاكراد والعرب ليستظهر
باستخلاص تلك الولاية ليكون ما ينوبه من معاودة خراسان
عن ظهر الكفاية فقبل الاشارة وقدم الاستخارة وسار
حتى خيم بظاهر الري فاحس اهلها منه بام الربيق على اريق
وفات الري افلاذ اكبادها فاناخوا قبالة المنتصر ودس الكفلا
بتلك الدولة الى ارسلان بالو وابي القاسم بن سيمجور وغيرهما
من اوليا المنتصر من اطمعهم في مال يحمل سرا على ان يثنوا اعنتهم
عنان المنتصر بوجه من وجوه اللطايف والحيل فانخدعوا
لتسويلهم وطمعوا في تاميلهم ونصحوا للمنتصر بان قدرسلك
ممن تخلله ملوك الشرق من ال سامان على جلالة اقدارهم
ونفاسة اخطارهم يجل عن مساواة قوم يدعون منك قرابة
ويفترضون لك طاعة ومهابة موالاة لمن يجر النار الى
قرصه بالتعويل عليك ومغزاه ان يحترش الافعى بيديك فله
الغنم ان قدرت وعليك الغرم ان عجزت فلفتوا المنتصر
عن رايه وردوا له الملك بخراسان من ورايه فارتحل

من باب الري بريداً لذا امعاز وانفرد وكذا شمس المعالي عنه
عايدين الى جرجان فحسن بحمد ذلك التدبير • واتخل عقد ذلك
التقدير • واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه
من وال • وامتد المنتصر طلقا الى نيسابور وبها صاحب الجيش
ابو المظفر فاشفق من زلة القدم كالتي حدثت قبل فاحتاط بالانحياز
الى البوزجان ودخل المنتصر نيسابور في شوال سنة احدى
وتسعين وثلثمائة وبث عماله في جباية الاموال • ومطالبة
من ظفر بهم من العمال • واستمد صاحب الجيش السلطان يمين
الدولة وامين الملة فرسم للحاجب الكبير التونتاش والى هراة
البدار اليه في معظم الجنود • من شجعان الترك وسرعان الهنود •
حتى اذا استظهر بذي الغناء في حرة الهيجاء كر عايداً الى نيسابور
وذلك في ذي القعدة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وتلقاه
المنتصر بارسلان بالو وابي نصر بن محمود وابي القسم بن سيمجور
فالتقوا على حرب تحطمت فيها الصفاح المشهورة • وتقصدت
الرماح المطرورة • وعريت عندها الكواكب المستورة ⊙ •
واشرقت شموس السيوف بعدما افلت في مغارب اغمادها
ثم شاعت الهزيمة في السامانية فولوا على ادبارهم نفوراً •
وكان امر الله قدراً مقدوراً • ودخل صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين نيسابور وقد زينت له كالهدي
على زوجها الكفي وابتسمت له البشارات كما تتهادى النجوم ⊙
السايرة • وتتهادى الثلوج المتطايرة • وركب المنتصر سمت

هو

ابيورد

ابيورد والطلب على اثره حتى وصل الى جرجان ولما تسامع
شمس المعالي قابوس بن وشمكير بنبايه رماه بزهاء الفين من انجاد
الاكراد فالجاوه الى الارتحال • وآيسوه من طلب المحال • فكر
على ادراجه تايها في الغي • واما ترك الراي بظاهر الري وقد
كان المنتصر يحقد على ارسلان بالو قسيمة عليه واشتطاطه
في المطالب بين يديه ومنازعته الراي فيما يحوم • ومراجعته
في كل ما تفوه به فوه • وانضاف الى ذلك تهامه اياه بالتخاذل
في الحرب التي انهزم فيها عن وجه صاحب الجيش ابي المظفر نصير
بنفاسته على ابي القاسم السيمجوري مكانته من اختصاصه
واثباره • وغيرته على الشركة الواقعة في محلة وبقدار •
محلة ما احتساه من ماء الكرم على التشفي باراقة دمه والاستنزاف
الى انتهاك زوجه فقتك به فتلة انست فتكات الاسلام •
وشفت نفسه من الداء العقام • وجمع اهل عسكره لانكار ما
فعل واتى لهم وقد سبق السيف العذل وكان كما قيل
محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا
وقام ابو القاسم بن سيمجور مصانعاً لهم عن المنتصر بلسان المعتذر
حتى خمد التهابهم • وسكن هيجهم واضطرابهم • وتوامروا بينهم
على قصد سرخس للاستظهار بزعيم اهلها المعروف كان
ابوه بالفقيه اذ كان قد رغب المنتصر في افادة وانجاده •
واثباره بعدته وعتاده • فركبوا المسافة اليها على طريق
ابيورد حتى وردوها وجبوا اموالها • واراشوا بما سنح لهم

واح

الزعيم بها وحين علم صاحب الجيش ابو المظفر باجتماعهم على تضجيع
الاباطيل بينهم دلف اليهم من نيسابور في سراة الكماة لطردهم
عن شريعة الطمع وازعاجهم عن حصانة الامل ووصل السير
بالسرى حتى اشرف على سرخس في الهيبة المنشورة والهيبة
الموفورة وبرز المنتصر الى ظاهرها فخيم بازائه واستعد للقائه
وتجاسرا للقتال فاستك سمع الهواء من قرع الحديد بالحديد
ورويت صدور المواضي من موارد الوريد وبلغ كل من الفريقين
غاية الامكان في منازلة الاقران ومناوشة الضراب ٥
والطعان بمحاشة عن خطوط الرقاب وتفاديا عن سوء الذكر
على سائح الاحقاب غير ان قضاء الله اغلب وامره انفذ وله
الحكم في تبديل الابدال وتصريف الاحوال ونقل الاموال
من وال الى وال وهبت لصاحب الجيش ابي المظفر قبول
الاقبال فتمزق مصاف المنتصر عن هزيمة عوابس الوجوه ٥
وخرجى بانياب المكروه ولم يتشبث صاحب الجيش ان اتاه
بعض العرب بابي القاسم علي بن محمد في قلادة من الوهق على
بعقبه من الرستق واردف بتوزتاش الحاجب وكان يراه
المنتصر جلدة ما بين العين والحاجب وانصبت حبالة الاسر
على معظم ذلك العسكر فحملوا الى غزنة في الاصفاد مقرنين
وسار المنتصر سير المضطر لا يدري وزرا غير اعتساف ٥
المسالك وارتكاب المهالك على جملة لا يتميز فيها المملوك
عن المالك وقفل صاحب الجيش ابو المظفر وقد اعلى الله كعبه

ودفع

ودفع قدره واطعمه نصره واطار بين الخافقين ذكره وانشد ني
ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي لنفسه فيه يذكر ما اتيح
له من هذا الفتح الرائع منظومه الشائع في الافاق خبره
تبلجت الايام عن غرة الدهر وحلت باهل البغي قاصمة الظهر
وقد ولوا الادبار ادبارهم وقد تحكم فيهم صاحب الدهر بالقهر
وقد جاء نصر الله والفتح مقبلا الى الملك المنصور سيدنا نصر
غياث الورى شمس المعالي ومن هو بالعليا اولى اولي الامر
فيا لك من فتح غدا زينة العلى وواسطة الدنيا وفاتحة العصر
ابى الله الا نصر نصر ورفعه على قمة العيوق وهامة البدر
وملكه صدر السرير كانه لنا فلك بالبحر او صدع يجري
وخوله دون الملوك محاسنا تبر على الشمس المنيرة والقطر
اذا ذكرت فاح الندى بذكرها كما فاح ازكى الند في وهج الجمر
فتى السن كهل الحلم والراي والحجى نعم يبني الامال بالنائل الغمر
له همة لما حسبت علوها حسبت الثريا في الثرى ابدا تسري
غدا راعيا للمسلمين وناصرا له الله راع قد تكفل بالنصر
الا ايها الملك الذي ترك العدى عباديد بين القتل والكسر والاسر
قدمت قدوم الغيث يمن مقدم فجليت وجه الدهر بالحسن والبشر
الست ترى كتب الربيع ورسله يقولون هذا كالربيع على الاثر
نسيم نسيب للحياة بلطفه يجر فويق الارض اردية العطر
وترب بانفاس الربيع معنبر فيا لك من طيب ويا لك من نشر
وغيم يحاكي راحتيك كانه على المسك والكافور يهطل بالخمر

فروّح بشرب الراح روحك انها لفي تعب من وقفة البيض والشمس
ودم لاقتناء الملك في اكمل المنى وفي ارفع العلياء وفي اطوع العمر

وانشدني ابو سعد بن دوست لنفسه فيه

للامير المظفر العالم العادل فينا ابي المظفر نصر
كرم في شجاعة وسخاء في وفاء ودولة مع نصر
ومعال لو رامها بخت نصر يوم فخر اعيت على بخت نصر
فيه نقطع الخطوب ونفري وبه ندفع الكروب ونضري

فابتدا الركض بالمنتصر الى محال الاتراك الغزية ولهم صغو الى الدولة السامانية فاخذتهم المذمة من خذلانه وحركتهم الحمية لعونه على شانه وتذاكر شرف آل سامان وما تعرفوه قديما من بركات ذلك البيت القديم والكرم العميم وصار صعدا حتى لحق بالملك بخار وذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وعندها دلف ايلك للانتصار من المنتصر في جيوش الترك يستعر في طلب الثار استعار النار حتى اناخ بحدود سمرقند وثنا الغزية باقدامه وتوامروا بينهم على بياته فتجمعوا للركض عليه فخبوا الخيل تحت الليل حتى كادت لا تنفس الارض بوطء اقدامها ولا تشعر النجوم باشخاص الويتها واعلامها حتى اوقعوا به وانتهبوا اجلة سواده وقبضوا على جلة قواده وانقلبوا بما غنموه الى اوطانهم عند حصول البغية فاستاثروا على المنتصر بالاسرى طمعا في الفدية ثم بلغ المنتصر تنازعهم الامر بينهم في

موالاتهم

موالاتهم ايلك عليه وافراجهم عن الاسرى تقربا اليه فرابه ذلك من امورهم ريبة لم تاخذ الارض معها بقرار ولم تكتحل عينه عندها بغرار فاختار من جريدته قرابة سبعمائة رجل ركبانا ورجالا خفافا وثقالا واوطاف على المعابر فاذا النهر جامد وآمل الشط في البعد امد فعبروا النهر باثبات الارز حتى امكنهم من العبور وتبعه الطلب فنجاهم خطر المعبر من قصد المنتصر وارسل هو عند قراره بآمل رسولا الى السلطان يمين الدولة وامين الملة يذكره بحقوق سلفه عليه واستبداد الامر في اقتبال العداة عليه وانه له بحيث يوثر فيه طاعته واخلاصا في هواه واظهر الانقطاع الى كنف قبوله واشباله والافتقار الى معونته بماله ورجاله وامتد من آمل الشط الى سواد مرو احترازا من معرة الترك في العبور على الاطراف والملك وارسل الى ابي جعفر المعروف بخواهر زاده وكان رجلا من جلة الرعاع رفعه الزمان في دولة آل سامان يستميحه المعونة بما يفضل عن شيء يده من مال وسلاح فرد الرسول على عرض وجه الحرمة والارتياح بحكم الانسانية ولم يرض بالرد حتى خرج اليه مقاتلا فحمل اصحاب المنتصر عليه حملة فرقت جمعه جملة وتشذى مسافة ابيورد حتى وافاها في شهور سنة اربع وتسعين وثلثمائة واوجب السلطان اكرام رسوله وتحقيق مأموله وصلته بصدر من المال يجبر خلته وخاطب ابن خواهر زاده بخدمته وتحري مرضاته وترك الانحراف عن مراده فاضطره

الامر الى طاعته وتقديم الاعتذار من مخالفته • حين شاعت
سنة البخل عليه واستطارت شادخة اللوم بجديته وقد كان
ابو نصر بن احمد الحاجب لما تسامع بقدوم راية المنتصر
مالاه على صاحبه • واظهر الانقطاع الى جانبه واقام له الخطبة
بنسا مظهرا طاعته • ومستنفدا في نصرته جهده واستطاعته
ولما احس اهل نسا برأي ابي نصر في اتباع راية الخلاف اشفقوا
على انفسهم من عاقبة الاتهام بموالاته • والاشتراك في جنا
يته • وكاتبوا خوارزمشاه مستمدين عليه فانهض ابو الفضل
الحاجب احد اعيان ذلك الباب الرفيع لازالة شره ولقاء
امره ومال ابن محمود الى المنتصر فتضافرت العدة • وتوافرت
العدة • وصدر الى الجوشان من رستاق استوا وناهضهم
ابو الفتح   رجال خوارزمشاه فاتفق التقاؤهم على الحرب
بليل بهيم ارى من النجوم السوابك حيث لا يدري الضارب
مضروبه • ولا يبصر الراكب مركوبه • فاختلط الراجل والنارس — الفارس صح
بالنابل • وتضاربوا ما بين الشوى والمقاتل • وتطاعنوا السلكى
والمخلوجة كرك لامين على نابل • وتصدع شمل الاعضا الفريقين
قبل ان صاح الليل صباحه • ونفض النجم على الغرب وشاحه
فلم يشعر احد بما جنته يد الظلام على كماة ذلك الجيش اللهام
حتى استفاض ضوء النهار فاذا ابن محمود قتيل وابن حسام الدولة
ابي العباس تاش الى جنبه صريع وتفرق الباقون عباديد بين
المهامه والبيد وزحف المنتصر الى اسفرايين فمانعه اهلها حذر

المحنة

ابي علي بن الياس

المحنة • وخيفة الهرج والفتنة • فانثنى على ادراجه في شرذمة
من اصحابه يقطع الارض طولا وعرضا حتى انتهى الى بعض حدود
سرخس فاقام هناك ريثما تلاحق به الفل وسار حتى عبر النهر من سا — حل
قطان وبرز شحنة بخارا في طلبه وصدموا عليه وجوه ممره فركب
عزيمة الرجال في ثبات القوم وثبت بعضهم للبعض جلادا بالدبا
بيس والحراب واغمادا للسيوف في قراب الرقاب • فجد المنتصر
في الامر واشتد وتجابر اسه ولم يكد وصار القوم الى بوسته
من الصغد مستنجدين بها من العمال ونفار بنو الرجال ووقع
المنتصر الى ثغر النور من بخارا وركض منها عليهم ركضة اقتسمتهم
بين اجتياح واحتناك واصطلاب واجتثاث ومالاه المعروف
بابن علمدار رئيس الفتيان بسمرقند فاتاه في ثلاثة الاف
رجل ونفر اليه مشايخ اهلها بتلبابه غلمته على سبيل بر وخدمة
وواصلوا بها كرامات تضاهيها • وبشارات تدل على اخلاصهم
فيها • وتوافي اليه الغزية فاشتعلت جذوته وتراجعت قوته
ولما سمع ايلك الخان باعداد شوكته • واشتداد وطأته زحف
اليه في اخلاس المذكورين وبارات الترك واستحكمت الحرب
بينهم بقوتيه بورنيد من حدود سمرقند حتى نفدت النبال
وتكسرت النصال • وتحطمت السمر الطوال • وخان الخاني مقاما
وانفض عنه اقوامه فاستغناه الغزية في طلب الاسلاب
حتى بردت ايديهم بالسبايا والنهاب • والغنايم والرغايب
وذلك في شعبان سنة اربع وتسعين وثلثمائة وعاد الخان ارض

الترك فضمّ النشر ونادى بحشر ثم كرّ على نادم • وبث على المنتصر
شرّ نادم • ووافق ايابه له تراجع الغزية الى اوطانهم بما نهبوه على
عادتهم في كل ما غنموه • واستانف الحرب على فضاء بين فرزى ○
وزك وخادش بن سروشنه فاستامن المعروف بكان بابي الحسن
بن طاق الى الخان في زهاء خمسة الاف رجل من رفقائه عند
انقياد جمرة المصاع • واشتداد زفرات القراع • واضطر المنتصر
الى الانهزام • وحكّم الخان في اهل عسكره سيوف الانتقام حتى
رويت الارض من دمائهم • وشبعت النسور من اشلائهم • وصار
المنتصر الى شط جيحون فعبر على الجمد لعدم السفائن وخلو المعا
ومضى الى اندخود من ارض الجوزجان مجبرا من ركضة الخان
وامر باستيفاء الدواب الراعية بها واقتسامها بين اهل جملته
وركب المفازة الى قنطرة زاغول • ولما بلغ السلطان يمين الدولة
وامين الملة خبره اسرع الانحدار الى بلخ لاعجاله عن تفاقم امره
واستعجاله واتبعه بغرتغون بن محمد في اربعين قايدا من هر
قواده لطرد سواده وحسم فساده • فاعجزهم المنتصر وسار
الى الجفايد من ارض قهستان ضرورة • اذ كانت جيوب الافاق
عليه مزرورة • فحيثما توجه شهرت عليه السيوف واني اسم
احدقت به الحتوف • ولقاه صاحب الجيش ابو المظفر
نصر بن ناصر الدين في طغانجق والي سرخس وارسلان الجاذب
والي طوس يحثون الظهور في الطلب • ويترقون غلالتها بين
الركض والخبب • ففاتهم الى جومند ومنها الى بسطام فرماه شمس

المعالي قابوس بن وشمكير بزهاء الفين من الاكراد الشاهجانية
فازعجوه عنها الى بيار راجعا باللوم على من لقيه الانحدار ولما ضاقت
عليه المذاهب • واحاطت به المعاطب • بادر بالسير الى كوده
نسابدار من لا يمكث بدار • ولا يوطي الارض جنب قرار • وتلقاه
ابن سورخك الساماني بكتاب يزين له الانتقال اليه لمصاحبته
على ايلك الخان بموازرته وموازاته ومطابقة الخان عليه ومواطاته
فنازعته نفسه بتقدير اجابته طغاني وفاته • وتابيد العونة
على ذمايه • فركب الخطار وسار حتى اذا بلغ بير حماد من مفازة
ابل سبقه خيله الى الشط فوافق ذلك جمود جيحون فاغتنموا
مفازته خلاصا بما منوا به من مكابدة الاسفار وعدم الاستقرار
ووصلوا سهر الليل بداب النهار • وتشاوروا في النهار العبور
الى سليمان الحاجب وصافي حاجبي ايلك الخان فعبروا اليهما ○
وعرفوهما ان الساماني بالقرب وان المحن قد طحطحته والحوا دث
قد طحنته فهو خلسة الطامع ونهزة الطالب • وطعمة الانياب
والمخالب • فلم يشعر ابو ابراهيم المنتصر الا بالخيل مطلة عليه
فطاردهم ساعة ثم ولاهم ظهر الفرار وقبض على اخويه وخواصهم
برباط نشوى وحملوا الى اوزكند اسرى فاحل المنتصر هربه
حلة بن بهيج الاعرابي من جملة السيارة في تلك المفازة ليقضي الله
امرا كان مفعولا وكان المعروف بماه روي بندارا من جهة السلطان
يمين الدولة وامين الملة فيهم وقد واصاهم بالقعود له بكل مرصد
والازكاء عليه عند كل مورد • فلما لبس الليل جلدة العبس وعرض

على النجوم جيش الحبش • وبث اهل تلك النحلة على المنتصر جهلا وغباوة
وقساوة وشقاوة فاخفر واحق مقدمه • واحلوا للارض حرام
دمه • فكانما عناه ابو تمام بقوله حيث يقول

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
فاثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا واكفانه الاجر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة ... غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني ... رايت الكريم الحر ليس له عمر

ثم نقل قالبه الى قرية ماي مرغ في رود بادرم
ودفن بها في شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبلغ
السلطان يمين الدولة وامين الملة خبره فامر بالقبض على
البندار واذاقه حر الانكال • وشن الغارة على طلحة بن نصيح
الاعرابي خاصة وعلى ساير العرب السيارة عامة وصارت جموع
آل سامان هباء تذروه الرياح وكان الله على كل شيء
مقتدرا

ذكر الامراء السامانية ومقادير ايامهم من حيث نجمت دولتهم الى ان ورثها السلطان يمين الدولة وامين الملة

كان ملك آل سامان
بما وراء النهر وساير بلاد خراسان بما انضاف اليها في الوقت بعد
الوقت من كور سجستان وكرمان وجرجان وطبرستان والري
والى حدود اصبهان مائة سنة وسنتين وستة اشهر وعشرة ايام

فاولهم

فاولهم ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد وهو الذي قبض على عمرو بن الليث
بناحية بلخ يوم الثلثاء النصف من شهر ربيع الاخر سنة سبع وثمانين
ومائتين وولي خراسان ثماني سنين ومضى لسبيله ببخارا ليلة
الثلاث لاربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وتسعين ومائتين معروفا
بالعدل والديانة • موسوما بطاعة الخلافة • وقام بعده ابو
نصر احمد بن اسماعيل فملك ست سنين وثلاثة اشهر وفتك به
نفر من غلمانه بفربر ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاخرة
وكان مقتديا بابيه في ايثار النصفة • واختيار الاحدوثة الحسنة
اقتداء الابناء بالاباء في اختيار افضل السنن • واتباع احمد السنن
الى ان طويت الدنيا صحايف ايامهم لعادتها في الذين خلوا من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلا • ولن تجد لسنة الله تحويلا • وسد مسده
الشهيد ابو الحسن نصر بن احمد فملك ثلاثين سنة رفيع النجاد
قوي العماد • وري الزناد زكي المراد • وتلاه وارث الملك نوح
بن نصر وهو الحميد فملك اثنتي عشرة سنة وثلثة اشهر وسبعة
ايام وتوفي ببخارا يوم الثلث لاحدى عشرة بقيت من شهر ربيع
الاخر سنة ثلاث واربعين وثلثمائة وانتصب منصبه عبد الملك
بن نوح فملك سبع سنين وستة اشهر واحد عشر يوما وعثرت
به دابته فسقط على الارض سقطة حمل منها ميتا وذلك عشية
يوم الخميس لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة
وخلفه في الولاية اخوه منصور بن نوح خمس عشرة سنة وتسعة
اشهر وتوفي ببخارا يوم الثلثاء لاحدى عشرة خلت من رجب

سنة سبع وثمانين وثلثمائة وملك بعده ابو الحرث منصور بن نوح
سنة وتسعة اشهر فاعتقله بكتوزون بسرخس يوم الاربعاء
لاثنتي عشرة بقيت من صفر سنة تسع وثمانين وثلثمائة وبويع اخوه
عبد الملك بن نوح واستقرت قدمه في الولاية حتى خرجت على
يد السلطان يمين الدولة وامين الملة وغاشيته وشالت نعامته
قطارا الى بخارا وقبض ايلك الخان عليه وانتزع ولايتها من يديه
فكانت مدة امره ثمانية اشهر وسبعة عشر يوما ثم اخوه المنتصر
ابو ابراهيم اسمعيل بن نوح وذلك حدثان ما ولي السلطان
كور خراسان واقبل بعد ذلك يزداد في اسباب العلى جدا وجدة
ويتضاعف في رقاب الاعداء حدة فما يفتر له شهر الا عن ثغر مفتوح
وصنع ممنوح • وذكر على هامات الاعواد مرفوع • وباب الى فضاء
المنى والامال مشروع •

ذكر الاحوال التي جمعت ناصر الدين سبكتكين وخلف بن احمد والي سجستان من خلاف مرة ووفاق اخرى وما جرى بعد ذلك من
الطوائل والترات التي ثنت عنان السلطان يمين الدولة وامين
الملة اليه وعطفت به الى انتزاع الملك من يديه وما جرى
خلال ذلك من وقايعه في الهند الى ان استتب له ما اراد في
امره بعون الله ونصرته

قد سبق في اول هذا
الكتاب ذكر الامير خلف بن احمد فيما راه السديد منصور بن نوح
من رده الى بيته واظهاره على خصمه الى ان تهادت رجوم
الفتن بخراسان ففرغه اشتغالها بما دهاهم منها للا

ستجام

للاستجمام والابداع • والاستظهار بما تخرجه له ارض سجستان من
صنوف الارتفاع • حتى نسج نطاق همته لطلب الفضول والزيا دات
ومنازعة القروم والسادات • ولما تصدى ناصر الدين سبكتكين
لموافقة ملك الهند حين تورد حدود الاسلام على ما نطق بشرحه
صدر هذا الكتاب اغتنم خلف بن احمد انتقاص بست عن الحفظة
وخلوها عن الحمية فسرى اليها من اقتناص بعضها واقتض عذرتها
وصرف كلمة الدعوة عنها وغمس يده في اموالها فجباها وجمعها
فاوعاها فلما افلح الله ناصر الدين على الكافر اللعين عطف العنان
الى بست مستعصما من غدره • متحفظا من سوء حفاظه • فاتقاه
اصحاب خلف بن احمد بظهور الغار • واعقاب الادبار الصغار •
وهم ناصر الدين سبكتكين بمناهضته • واستخار الله في مناجزته
فارسل اليه خلف من يتاول عليه في ذلك العبث محافظة على
حكم الموالاة في حفظ ولايته • ويتضمن تصحيح ما صار اليه في جبا يته •
ويتبرع بزيادة تقوم مقام الارش عن جنايته تفاديا عن ثقل
وطاته على اعماله • وتصونا عن عورة الافتضاح في قتاله •
فتغابى ناصر الدين عن ستر غدره كفا لليد الاقتدار • واكتفا
منه ببذل الاعتذار • ثم طالبه بتصحيح المال حتى اداه • وارتهن
به بعض رضاه • وكانت الحال بينهما من بعد قايمة على جملة المسا لمة
الى ان حدث من امر ابي علي بن سيمجور في الجولة التي اتفقت له
بباب نيسابور ما سبق شرحه فاظهر تقربا الى ناصر الدين
بمساعدته على خصمه ومرافدته بنفسه وساير اهل جملته امتنانا

عليه بظاهر المظاهرة • واضمارا للتشفي من ابي علي بمعونته
الحاضرة وقوته الباهرة • اذ كان ابو علي قد ورم بقصد حصا
وغروم في عقر داره • واقتساره بسيوف انصاره • وصحبة
الى بوشنج في جمهور اشياعه واتباعه ثم خلفه بها ناصر الدين
سبكتكين صيانة له عن كلفة السفر • وابقا عليه من خطة الخطر
وسار الى طوس لمواقعة ابي علي وطلب الثار المنيم عنده حتى اذا
طرده • ونفض بشغل تلك الحرب يده • رد الى خلف بن احمد اصحابه
متقلبين بالنعم الباهرة • وموشحين بالخلع الفاخرة تقدمهم ○
المراكب والجنايب • وتردفهم النجايب والرغايب •
فعادوا فاشتوا بالذي كان اهله ولو سكتوا اثنت عليه الحقايب
فصفت لذلك شريعة الحال بينهما عن قذى المواراة • وتجلت
عن عرض المداجة والمداجاة • الى ان عبر ناصر الدين سبكتكين
النهر الى ما وراه لمدافعة ايلك الخان عن ولاية الرضى برفق
المناصحة او خرق المكافحة ثم اقتضته صورة الحال مسامحته
ببعض تلك البلاد على ان يسلم له سائر ما غب العيث بواديها
وحاضرها وترامت اليه اثناء ذلك مكاتبة خلف بن احمد ايلك
الخان مرهقا من غربه • ومغريا اياه بحربه • طمعا في بست ونواحيها
وغزنة وما يليها وانضافت اليه بلاغات وقوارض من رفقة
له من جانبه في امر ابي علي واظهار الندامة على ما سبق من عونه
عليه والافصاح على روس الاشهاد معرضا بان اجتياح الملوك
شوم • واستباحة البيوتات لوم • وضعف في الراي معلوم •

فطار

فطار الغضب بناصر الدين كل مطار • وحدثته نخوة الاقتدار
بالبدار الى ارض سجستان لاطفاء الغليل • وشفاء الداء الدخيل •
فثناه كاتبه ابو الفتح علي بن محمد البستي عما نواه بالقول الرفيق
والراي المؤيد بالتوفيق • ورشح بالتلطف على ذلك التحريق • واراه
ان بعض البلاغات زور • وان القايل كالقابل ماخوذ موزور •
وان قلوب الرجال وحوش نافرة • وطيور في مجاز الجو سابحة •
فما يستمكن منها الا باعمال الحيل في نصب الحبايل وتمكين الجوارح
ورمي البنادق وبث الحبوب والمطاعم لا شي ابين من افلاتها
عن حبالة القانص وارسالها من شرك الصايد كذلك لا تصاد
القلوب الا باشراك الصنايع والعواطف • ولا تنقاد الا بازمة
الايادي والعوارف • ولا تستفاد الا بابتذال الرغايب من
التوالد والطوارف • ثم الكلمة الجافية تكاد تهيج وادعها •
وتطير واقعها وتكدر عليها مشارعها • ويتلو عليه قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم فسرها له حتى نزل عن ظهر التعجل
الى ارض التمهيل • وانشدني ابو الفتح رحمه الله في شرح ما دار
بينه وبين ناصر الدين لنفسه ∴
اذا شئت ان تصطاد حبا اخي لب وتملك منه حوزة القلب والخلب
فاشركه في الخير الذي قد رزقته وادخله بالاحسان في شرك الحب
الم تر طير الجو تهوي بسقطة الحب كقطر من ذرى الجو منصب
كذلك لا يصطاد ذو الراي والحجى حبات حبات القلوب بلا حب

وكتب خلف بن احمد بعد ذلك متنصلا عما عزي اليه ومتبرئا
مما نقم عليه فعفا ناصر الدين عما حاك في صدره من امره
واغمض له عما اساخه من قليب قلبه وغدير غدره وثبت باقي
عمره على مداراته وملاطفته الى ان اتاه اليقين من ربه فا
نتقل الى جوار رحمته وعفوه وبلغ السلطان يمين الدولة وامين
الملة خلة حبوة الزمانة باظهار الشماتة واستنشد قول القائل
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تجهز لاخرى مثلها فكان قد
ثم اسرها في نفسه مرتقبا لميقات الفرصة في الايقاع به والاشتفا
منه الى ان ورث ملك خراسان بقي الاطراف عن غبرات خلاف
سليم الآفاق من غبرات الشقاق وقد كان خلف بن احمد عند قيام
السلطان باستصفاء المملكة قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان
فملكها ثم عدل منها الى بوشنج فاستولى عليها وكانت هراة وبوشنج
برسم بغراجق اخي ناصر الدين سبكتكين فلما وضع الله عن السلطان
تلك الملاحم اتاه عمه يستاذنه في طرد المتغلب عن ولايته
وفل ما حد من حد نكايته فاذن له فيه وسار حتى اذا شارف
بوشنج تلقاه طاهر بن خلف بمن والاه من العديد تحت العديد
فتناوشا الحرب قدا للهام من خطوط المفارق وقطا للاجسام
من خصور المناطق واستقاء للارواح بارشية الرماح واختلاسا
للرؤوس بسيوف كسوف الرؤوس ثم حمل بعضهم على بعض فذهبت
الميامن بالمياسر والمياسر بالميامن وانفل طاهر من بين يديه
هزيما واتبعه بغراجق يحث منه طلبا وقد كان قبل ان شمر

للحرب

للحرب اصاب كؤوسا يستيقظ بها اعين الطعن والضرب فعاون
عليه باران من كاس وبابين حتى غفل بهما عن وثيقة التحزم وذهل
معهما عن بصيرة التحفظ والتحرز فغرر بنفسه في اتباع خصمه
اغترارا بحال سكره فلم يشعر الا بابن خلف قد كر عليه بضربة
افعصته قتيلا وترك للوقت عليه وقطف علاوة احد عمه
واقتسم الهزيمة كلا الفريقين فلم يعرف الغالب من المغلوب
ولا السالب من المسلوب خلا ابن خلف فانه قفى آثار فلة من
ردهم الى نحلة وورد الناعي على السلطان فناله من الغم بفقد
العم ما ينال الواجد لعدم واحده والوالد لافتقاد صنوه
والدم وانشد بما اتفق لابن خلف على احداق الشقا به وبابيه
وانطباق البلاء بجسده وعلى من يليه وحدس ان البقرة تبحث عن
المدية بروقيها والنملة يقضي عليها بنات جناحيها ولو
عقل الفراش لما عشا ما عاش الى ضوء نار ولا تهافت في مصرع بوار
اشارت العرب في اخبارها مثلا وللاعاجم في ابياتها مثل
قالوا اذا جمل حانت منيته اطاف بالبئر حتى يهلك الجمل
وزحف السلطان في شهور سنة تسعين وثلثمائة الى خلف بن احمد
وهو يحتمي بحصار اصبهبذ قلعة بينها وبين مجرى النجوم قاب
قوسين بل قيد سهمين تحور عن مراماتها الابصار وتحار دون
مساماتها الافكار فحاصره بها ممنوعا من فسحة الاختيار متنو
بشدة الاضطرار ممنوعا براحة الاهداء والقرار ولذة الهجاع
والغرار حتى اذ انجاب الروع روعته وودع الروح روحه

استشعر الخضوع والطاعة • واظهر الخشوع والضراعة • وسال
سؤال المستكين ان ينفس من خناقه • ويومن من حبل ارهاقه •
على ان يفتدي بماية الف دينار وبما يليق بها من خدمة بشارية
وتحف ومبارة • فاجابه السلطان الى ما استدعاه • ووكل به من
اقتضاه المال حتى استوفاه • وغادره كما هو في اسار الحصار ووثاق
الوثاق وفي نفسه قصد سجستان لكنه احب ان يجعل غزوة في
الهند مقدمة لما نوخاه • وصدقة بين يدي نجواه • تبركا
بما يجري على يده من ارتفاع راية الدين واتساع ساحة اليقين
وانارة كلمة الصدق واعادة قوة الحق • فتوغل بلاد الهند متوكلا
على الله عز وجل الذي هداه بنوره • وقضى له بالعز في مقدوره
وبالنجح في تصاريف اموره • حتى انتهى الى مدينة برشور فخيم بظاهرها
وبلغه اجتراء عدو الله ملك الهند جيبال على لقائه واستنجائه
الفضاء بمجاورة فنائه • فاستعرض الخيول من ابناء جريدته وساير
الغزاة والمطوعة في جملته • واختار للجهاد خمسة عشر الف عنان
من فحول الرجال وقروم الابطال وحظر ان يختلط بهم من ردة
الاختيار وبهرجة الانتقاد • حتى اذا خلص عددهم على الانتخاب
واجتلاهم كجنات الصوارم واسود الغاب دلف بهم الى قتال
الجبين اللعين يعلوك كالهضاب ثابتة • وفروع صبر على دوح
الاخلاص نابتة • واقبل الكافر الفاجر في اثني عشر الف فارس
وثلثين الف راجل وثلثماية فيل تئن الارض من وطي اطرافها
وتنقض من ثقل اخفافها • حتى اناخ قبالة السلطان متصاولا
بعده

٤ متصاولا بعدده • متطاولا بقوة باعه ويده • ويظن كثرة الجموع
تطوي كتاب الله طيا • او تغني من امر الله شيا • ولو درى الجاهل
كتاب الله لقرا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين • واربى الكافر بمكانه جانحا الى المطاولة • ومتحرزا
بالمدافعة والمراوغة • انتظارا لمن وراءه من اوشاب الجيوش
واوباش القبائل والشعوب فاعجله السلطان عما حكم به من
تقدير المطاولة وتاخير المقاتلة وبسط عليه ايدي اولياء الله
فاوسعوهم حربا ونهبا ومشقا ورشقا وحزا ووخزا وحثا وسحتا
حتى اضطر الى الدفاع • وصلى نار القراع • فاصطفت عند ذلك
الخيول • وخفقت الطبول وزحفت الفيول • واقبل بعضهم على
بعض يصول • وترامت النبال على الخصل تراي ولدان الاصائل
بالحشل وتلالات متون القواضب تلالؤ الغيم جنح الغياهب
وفارت ينابيع الدماء كما فاضت مجاري الانواء • وتكاثر اولياء الله
على جماهير المدابير يوزونهم ازا • ويحتونهم رقصا وجمزا •
فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المشركين
وحكموا السيوف في زهاء خمسة الاف رجل فبسطوهم على
العراء • واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء • وجدل على صعيد
المعترك خمسة عشر فيلا معفرة الغوارب باطراف المشا شيب
محزوزات الخراطيم باسياف اللهاميم • واحيط بعدو الله جيبال
وبنيه • وحفدته وبني اخيه • وذوي القبيب من رهطه وذويه
فسيقوا بحزايم القسر والاسر الى موقف السلطان كما يساق

المجرمون الى النيران • وجوه عليها غبرة الكفران • وترهقها
قترة الخذلان • فمن مكتوف الى الظهر قهرا • او مسحوب على الخد
جهرا • او مضروب على الوريد صبرا • وحل مقلد جيبال عن نظيم
موشح بفرائد الدرر والجواهر الزهر • واليواقيت الحمر • ما قوم بما بي
الف دينار واصيب اضعافه في اعناق المقتسمين من قرابته
بين قتيل واسير • والمطيعين شذر في ضبع ونسير • ونفل الله اولياء
ما فات حد الاحصاء • وجاز جهد الحصر والاستقصاء • واغنمهم
خمس مائة الف راس من رقيق العبيد والاماء • وآب السلطان
بمن معه من الاولياء • الى المعسكر غانمين • وافرين ظافرين
شاكرين لله رب العالمين • وفتح الله على السلطان من ديار الهند
ارضا تنضاف الى بلاد خراسان في حجمها طولا وعرضا • ووافقت
هذه الوقعة الباهرة آثارها السائرة في الآفاق اخبارها يوم
الخميس الثامن من المحرم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ولما
وضعت هذه الحرب احمالها • وحطت عن الظهور اثقالها
احب السلطان ان يصرف الجيبال وراءه ليراه بنوه وذووه
في شعار العار واسار الخسار • وتنتشر هيبة الاسلام في ديار
الكفار • فوافقه على خمسين راسا من خيار الافيال • وارتهن ابنا
وحافدا له على الوفاء بها على الكمال • وعاد الكافر وراءه حتى اذا
استقر مكانه كاتب ابنه انندبال وشاهيه وراسلهن يشكوا
اليه ما عراه من الفاقرة الكبرى • والداهية العظمى • وساله
ان يودي عنه الضمان • بما عز وهان • فساق اليه تلك الفيول

وصرف

وصرف الرسول وسيقت جملتها الى السلطان فامر بالافراج
عن اولئك الرهاين • وكسع ادبارهم نحو تلك المداين حدثت نفسه
اندبال ان اباه قد لبس بردة الخرف وعض على جرة الهرم
وقد طلع عليه نسر الاسر • ودبران الادبار • وعوته عوا الالاء سحان
وشالت به شولة الخذلان • فقد حان ان يلقى حينه وتتقاضى
عليه الزمان دينه • ومن سنتهم المطاعة فيهم ان من حصل منهم
في ايدي الشايبة • وهم المسلمون اسيرا لم تنعقد له من بعد
رياسة • ولم تستتم له زعامة وسياسة • ولما راى جيبال
حصوله بين فكي الهرم وقيد المذلة آثر النار على العار والمنية
على الدنية • فبدا بشعر راسه فحلق ثم تحامل على النار حتى
احترق • ولما استتب للسلطان ما اراد وانقاد له ما اقتاح
ارتاح لغزوة اخرى يطرز بها ديباجة مقامه • ويعلم بحماتها
عذبات اعلامه • فمال نحو ويهند فضرب عليها بكلكل
الاقتدار حتى افتتحها صغرا • واعتاض منها بعد العسر يسرا •
وبلغه لياذ طوايف الهنود بشعاب تلك الاعلام واستتارهم
بخمر الغياض والآجام • متحدثين بالتحزب للفساد والتالب
على العناد • فاغزاهم جيشا يدوخ محالهم ويفرق قبل الو صوك
اوصالهم • فولغت فيهم السيوف حتى رويت من رشاش دمائهم
وصديت من مخالطة احشائهم • وتهارب من سلم عن ظباتها
كالاوعال في ربود تلك الجبال يرون الكواكب ظهرا •
والمنايا سودا وحمرا • وذاقوا وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا

وانقلبت رايات السلطان الى غزنة خافقة بالنجح السابغ والفتح
الرابح والحول المنيع والنصر المستبين وقد اشرق وجه الاسلا[م] م
وابتسم ثغر الايمان وانشرح صدر الملة وانقصم ظهر الشرك
والبدعة وقد كان خلف بن احمد عند انصراف راية السلطان
عن وجهه عهد الى ولده طاهر في اعمال سجستان واسند امورها
اليه ايثارا له على نفسه وهد بالكريمة الملك اليه قبل وقته
وتثبيتا لها في ملكه قبل استحقاقه اياها بارثه تعريضا
للسلطان باستعفائه عن الملك واقباله على النسك واغماضه
نواضح العبادة عن زرع السيادة ليقطع بخروج الامر عن
يده طمعه عن قصده وحصده فلما انفست المدة على ما ولاه
ونطقت شواهد الجحود في اختباره وبدت نواجذ العقوق
من ثني اثاره فلم يزل يلاطفه ويداريه حتى اعماه عما
نواه فيه ثم تمارض في الحصار المذكور واستدعى ابنه لقبول
الوصية وتسلم الودايع الخفية فغفل عن سوء التدبير وتدبر
العقاب والنكير واقبل اقبال طرفة بن العبد على خصلتي الضبع
من ضرب الجيد او حز الوريد وقد كان خلف بن احمد قد كمن
له مقانب من جيشه فاحاطوا به احاطة حبل الثريا بجذيمة
الوضاح الى ان حصل في معتقله وحبس في مكمن اجله وبقي
في السجن على حالة الى ان اخرجت جنازته نحالا علته في قتل
نفسه والجناية على وجهه ودمه ولما سمع طاهر بن زينب
صاحب جيش خلف بن احمد وسائر القواد بسجستان ما جرى

في

في امر طاهر دخلت في طاعة ضمائرهم وتغلغلت في موالاته
سرائرهم واستنقضت خوف الاسوة فيه من ابرهم وضبطوا
تلك المدينة على طاعة السلطان ومتابعته وارسلوا اليه
بما اوجبوه من التمسك بحبل الطاعة والتنسك بدين الجماعة
وسالوا انفاذ من يتولى تسلم الناحية منهم ليهتدوا الى بابه
ويتعطروا بلثم ترابه ففعل السلطان ما سالوه وجزاهم الخير
على ما فعلوه واقيمت الدعوة للسلطان بها في سنة ثلاث
وتسعين وثلثماية ولما فتح الله زرنجها وبشر له افتراعها
عزم على قصد خلف وحسم دائه وكفاية الخاصة والعامة
عوادي مكره ودهائه وهو يومئذ في حصار الطاق ومن
صفته انه ذو سبعة اسوار رفيعة الجدران منيعة البنيان
وثيقة الاركان يحيط بها خندق بعيد القعر فسيح العرض منيع
المخاض لا يعبر الا من طريق في مضيق على جسر مطروح عند الحاجة
اليه ويرفع وقت الاستغنا عنه فعسكر السلطان محيطا حواليه
به من جوانبه احاطة المحيط بنقطة المركز وجعل يستقري
بالراي وجه الحيلة في طم ذلك الخندق وكبسه ليستوي
على الفارس والراجل خوضه وعبوره وكانت حوالي معسكره منابت
اثل وطرفاء ذوات اخثقاف والتفاف فعرض على اهل عسكره
خاصهم وعامهم راجلهم وفارسهم عضد ما يمكنهم عضده منها
اضغاثا وحزما تلقم عرض الخندق ليستبين ظهر المسالك والمخترق
وبادر الناس اليه فلم تشرف شمس النهار على التكبيد حتى اعرض

عرض المخاضة من جانب باب الحصار للركود وسار اليه عند
ذلك الخيول وتبعتها الفيول ومانع اصحاب خلف بن احمد
من شرفات الحصار بقذفات الاحجار واشتعلت الحرب بينهم
ترى بينهم بشرر كالقصر وتجني على القصرات بالفرس والقصر
وزحف الفيل العظيم الى باب الحصار فاقتلعه بنابيه وزج به
في الهواء وانحط الى الارض من حالق وقتل من اصحاب خلف الجم
الغفير ولجأ الباقون على اطراف الحاجز الى السور الداخل ودمر
عسكر السلطان الى الحصار فناهك اصحاب خلف فوق شرفات
السور الآخر مناضلين عنها باحجار المجانيق واطراف الحراب
والمزاريق واطلع خلف بن احمد عند اشتداد الخطب على ملتقى
الفريقين فراى هول المطلع من تموج الفضاء بعفاريت الاجناد
على شياطين الجياد وتطاير النبال كرجل الجراد وترامي الحراب
كعز الى السحاب فنضح الدما كسح السما وعاين الفيل قد اهوى الى
بعض اصحابه بخرطومه فرمى به في الهواء فانبرى بجبين ثم تلقاه
بنابيه واقبل على اخر بيديه وسهم بمنسمه ثم انحى على الباب
بمنكبيه فزعزعه بعضاديته واقتلعه بضبات الحديد عليه
فاستطار عند ذلك قلبه وجاشت جاشه وارتاع روعه ○
واضطره هول المقام وفزع الاصطلام الى طلب الامان
واستغاثة السلطان فكفت عنه يد الاجتراح ووضع عنه
سوط الانتقام كرما غذاه الله بدرته واطربه بنشوة خمرته
واقبل خلف بن احمد على بذله الجائزة حتى استوذن له على السلطان

فدخل

فدخل واهوى الى الارض بشيبته البيضاء متعززا بذل الخدمة
وغشي البساط من نثر الجواهر والفرائد بما كسف النهار وخطف
الابصار نثارا ينوب عنه في شكر ما ذاقه من برد العفو والرحمة
وحماه من حريم الروح والمهجة فتكرم السلطان بالرفع من
قدره وضمه عند التقريب الى صدره تناهيا لما سبق
من هناته وتعاتبا عما تقدم من حوله وبراته وحكمه في
اختيار لما احب من رند يساره وذخائر حصاره وخيره
حيث شاء من جوار ممالكه وامصاره فاختار ارض الجوزجان
استنزاحا الى نسيم هوائها واستعذابا لنمير مائها وانتجاعا
في مراتع الصيود حول ارجائها وامر السلطان بتسييره اليها
في هيئة ذوي الهيبة معافا بلسان الصيانة عن عورة المهانة
فاقام بها قرابة اربع سنين في ظل الترفيه وساعدته
القناعة بما هو فيه ثم انهي الى السلطان مواطاة بينه
وبين ايلك الخان بملطفات سترها اليه ورسالات اغراه
بها عليه فاقتضاه الاحتياط نقله الى جرديز لتبقى عليه
من صدق ما اضيف اليه واستبقاء للصنيعة لديه واحتراسا
مما يلجا اليه من ابطال ذلك الافضال وتغيير ذلك التدبير
فبقي هناك على جملته الى ان حقت عليه القضية واخترمته
المنية وذلك في رجب سنة تسع وتسعين وثلثمائة وامر
السلطان بحفظ جميع ما خلف عنه على ولده ابي حفص وتقريره في
يده وتمكينه من خدمته   وانشدني ابو منصور الثعالبي

لنفسه فيه حين ولي أمره وصفرت عن الملك يده •

• من ذا الذي لا يذل الدهر صعبته ولا يلين يد الأيام صعدته •
• أما ترى خلفا شيخ الملوك غدا مملوك من فتح العذرا بلدته •
• وكان بالأمس ملكا لا نظير له فاليوم في الأسر لا تنتاش أسرته •

فكان خلف بن احمد معشي الجناب من اطراف البلاد لسماحة كفه
وغزارة سيبه • وافضاله على اهل العلم وحزبه • وقد مدح
على السنة الشعراء والعلماء بما هو سائر • وذكره في الآفاق
طائر • وكان قد جمع العلماء على تصنيف كتاب في تفسير كتاب الله
تعالى لم يغادر فيه حرفا من أقاويل المفسرين وتأويل المتأولين
ونكت المذكرين واتبع ذلك بوجوه القراآت وعلل النحو والتصريف
وعلامات التذكير والتأنيث ووشحها بما رواه الثقات الأثبات
من الحديث وبلغني انه انفق عليه مدة اشتغالهم بمعونته على
جمعه وتصنيفه عشرين الف دينار ونسختها بنيسابور موجودة
في مدرسة الصابوني لكنها تستغرق عمر الكاتب وتستنفد صبر
الناسخ الا ان يتقاسمها الناس بالخطوط المختلفة واخبرني
ابو الفتح علي بن محمد البستي قال كنت عملت فيه ثلاثة ابيات
من غير قصد لتبليغها اياه لكنها سارت على السنة الرواة اليه
فلم اشعر الا بصرة فيها ثلثمائة دينار اتحفني بها على يد بعض ثقاته
صلة لي على ما قلته وعملته والأبيات هذه •

• خلف بن احمد احمد الأخلاف أربى بسودده على الأسلاف
• خلف بن احمد في الحقيقة واحد لكنه مرب على الآلاف
• أضحى لآل الليث أعلام الورى مثل النبي لآل عبد مناف

فقلت

فقلت له قريب من هذه الصورة حدث ابراهيم بن هلال الصابي
وذلك ان رسولا لسيف الدولة كان قد قدم بلد السلام
فطلب شيئا من شعره على لسان صاحبه فدافعه به الى ان ازف
ارتحاله واتاه عند الوداع ملحا عليه في تنجزه فاعطاه عجالة الوقت
قوله

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول الى الحضرة حمل اليه صرة فيها ثلثمائة دينار
موسومة باسمه وللشيخ ابي الفتح بمدحه ايضا •

من كان يبغي علو الذكر والشرفا او يبتغي عطف دهر قد نبا وجفا
او كان يأمل عند الله منزلة ينيله قرب الأبرار والزلفا
او كان يطلب نيلا يستقيم به ولا يرى عوجا فيه ولا جنفا
او كان يشهد تماما فاته خلفا فليخدم الملك العدل الرضي خلفا
الوارث العدل والعليا من سلف حثوا بعليائهم في وجه من سلفا
المؤثر القصد في انحاء سودده وان اراد عطاء آثر السرفا
اذا النوى عنّ ولى حكومته سيفا اذا ما اقتضى حقا له انتصفا
والسيف ابلغ للأعناق موعظة كم من حليف حماه حده الصلفا
وان بدا الكلف في وجه مكرمة جلا بلا كلف عن وجهه الكلفا
رضاه يصرف عمن يستجير به صرف الزمان اذا ما نابه صرفا
اذا اقشعر زمان من جدوبته اغنى الورى وكفى جود له وكفا
بسخطه يدع الأفلاك خائفة والشمس حائرة والبدر منكسفا

يرى التوقف في يومي وعن غدي وضحا فان عن رأى مشكل وقفا
لله نصل ضئيل في أنامله اعاد خطي سمينا بعد ما نحفا
يهين امواله كي يستفيد بها عزا يؤثل في اعقابه الشرفا
والمرء للؤم في أمواله هدف إن لم يكن ماله من دونه هدفا
لا يلحق الواصف المطري معانيه وان لم يكن سابقا في كل ما وصفا
وانشدني ابو الفضل الهمذاني قصيدته التي يمدح بها خلف بن احمد واولها
سما الدجى ما هذه الحدق النجل أصدر الدجى حال ام جيد الضحى عطل
لك الله من عزم اجوب جيوبه كأني في اجفان عين الردى كحل
ومنها يذكر اباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره والبحث عن وطنه وطرح
يذكرني قرب العراق وديعة لدى الله لا يسليه مال ولا أهل
اذا ورد الحجاج وافى برفقهم بقوة اذني دمعه مما انحل والتحل
يسائلهم كيف ابنه اين داره الى ما انتهى ام لم يعد هل له شغل
أضاقت به حال اطالت له يدا أخوه نقص اقدمه فضل
يقولون وافى حضرة الملك الذي فال له الكهف المأمول والنائل
الجزل
وفاضت عليه مطرة خلفية بها للغوادي عن ولايتها عزل
يذكركم بالله الا صدقتم لدى اجد ما تقولون ام هزل
طوبى للعيال للملوك وانما يمثلك عن امثالهم مثلنا يسلو
ولما بلونا كم تلونا مديحكم فاطيب ما نتلو واصدق ما نتلو
ويا ملكا ادنى مناقبه العلى وايسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخرا سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى وان نحن حدثنا بها دفع العقل

تقول لوسام المكارم باسمه ليهنئك ان لم يبق مكرمة غفل
وجارك افراد الملوك الى الندى وحقا لقد اعجزتهم ولك الخصل
سبابك من عمرو بن يعقوب نجدة كذا الاصل يحوزا به وكذا النسل
وانشدني السيد ابو جعفر محمد بن موسى الموسوي بيتين يذكر انهما
مكتوبان على داره وهما
من سره ان يرى الفردوس عالية فلينظرن الى ايوان كيوان
او سره ان يرى الرضوان عن كثب يملي عقيبه فلينظر الى الباني
نعم وصفت سجستان للسلطان فهدأت عيون الفتن وسقطت
نجوم الاحن وانقطعت اطماع الخليفة بها عن التعصب والتحزب
وانخفضت ابصارهم دون التوثب والتغلب فرجع السلطان
الى غزنة باهر الامر عالي الظفر قد صنع الله له فيما رامه
وسدد نحو المراد سهامه وشهره بافتراع المدينة العذراء
واستصفاء المملكة الغراء واطلاع ذروة الرجاء وادراع
لامة العز والعلاء وانشدني ابو منصور الثعالبي لنفسه في
فتح سجستان من قصيدة وهي
سعدت بغرة وجهك الايام وتزينت ببقائك الاعوام
وتصرفت بك في المعالي همة يعيى بها الافهام والاوهام
ولقد فرشت بها دعدلك فاغتدت تتوارد الآساد والآرام
واقتض سيفك كل مدينة بكر عليها للاوايل ختام
هذي زرنج استغلقت وتمنعت وكانما الا عليك حرام
ففتحتها وانحتها ومنحتها نفرا هم لفنائك الخدام

وتدنت والايام تشتد في الورى بقيا تجدد بشده الاتام
بدحا نصر الله والفتح الذي تزمى بكتبه وصفه الاقلام
باجل احوال وايمن مقدم وانم اقبال بليته دوام
ورحم الله البديع ابا الفضل الهمذاني حيث يقول في السلطان يمين
الدولة وامين الملة

تعالى الله ما شا وزاد الله ايماني

أأفريدون في التاج أم الاسكندر الثاني

أم الرجعة قد عادت إلينا بسليمان

أظلت شمس محمود على انجم سامان

وأمسى آل بهرام عبيدا لابن خاقان

اذا ما ركب الفيل لحرب او لميدان

رأت عيناك سلطانا على منكب شيطان

فيوما رسل الشاه ويوما رسل الخان

فما يعرب بالمغرب عن طاعتك اثنان

لك السرج اذا شئت على كاهل كيوان

ابا والي بغداد ويا صاحب غمدان

تامل ما تاتي فيل على سبعة اركان

يقلبن اساطين ويلعبن بثعبان عليهن تجافيف يشهرن بالوان

ويا جوج وماجوج من الجند بموهان

واستخلف السلطان على سجستان المعروف بقنجي الحاجب احد
المحتشمين من قواد ناصر الدين سبكتكين فحسنت في السياسة

سيرته واشتدت في الرفق والتلطف بالبري والعنف
على المريب بصيرته ثم ان طوائف من نجوم الفتنة ورجوم
الشر والعصبية ابطرتهم رفاهة العيش ورفاغة الامن وفسحة
الحال وسعة المجال فتحدثوا بينهم بتقديم من نصبتهم على العصيان
وبوبتهم في الخروج على السلطان تعرضا للبلاء وتحككا
بالشقاء واجتراء على سوء القضاء فابرزوا صفحة الخلاف
واخترطوا نصل الشر من الغلاف فلما راى السلطان انتقاض
سجستان على خلفائه وامنائه بادر اليها في عشرة الاف رجل
من نخب العسكر ومعه صاحب الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر
الدين والتونتاش الحاجب وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي
زعيم العرب وحصر المردة العتاة في حصار ارك ووكل
خيول عسكره بجوانب الاسوار واقتسم بينهم محال ذلك الحصار
ونشبت الحرب بعد العصر من يوم الجمعة للنصف من ذي الحجة
سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وخاض السجزية غمرها ساعة
متوازرين على المدافعة ومتظافرين على الممانعة والمقا رعة
حتى اذا اوهنهم السلاح واثخنتهم الجراح لاذوا بالانجحار
والاعتصار بسور الحصار وظهر اولياء السلطان على بعض
جوانب السور في ظلمة الديجور فنادوا بشعار الملك المنصور
فانهزم الفجار وملك عليهم الحصار وبسطت ايدي القتل
والضرب على من نفضتهم الدور ولفظتهم المساكن والبيوت
فمن رؤوس منبوذة واعناق مجذوذة ووجوه مكبوبة

دما على الارض مصبوبة • وهام الاخرون على وجوههم يتساقطون
من كسع الادبار في الآبار ويلوذون من ضرب الاخادع بالمخادع
ويفزعون من شن الغارات الى المغارات والطلب يقطع
دابرهم • ويلحق بالاول آخرهم • حتى خلت سجستان عن خبث
شرارهم • وسلمت من بث شرارهم • وفتح الله تلك المملكة على
السلطان فتحا ثابتا وملكا ثابتا فلم يسمع على الايام بمثله فتحا
في غلق الظلام • واستفاضت هيبة السلطان في اهل سجستان
حتى نامت لياليهم عن دبيب العقارب وصبر الجنادب ۝
وانشد بعض اهل العصر على تقفية النصر •
يا ايها الملك الذي بهذه المعالي يقتدح • لازال تغزوك باسماء من اجل ثغر تفتح
وانشدني ابو منصور الثعالبي له في هذا الفتح التسهير والنجح
الكبير بمدح السلطان يمين الدولة وامين الملة •
يا خاتم الملك ويا قاهر الاملاك بين الاخذ والصفح
عليك عين الله من فاتح للارض مشكوك على النجح
راياته تنطق بالنصر بل تكاد تملي كتب الفتح
كم اثر في الدين آثرته يقصر عنه اثر الصبح
وكم بنى في الملك شيدتها تثنى عليها ألسن المدح
فاسعد بايامك واستغرق الاعدا بالكبح وبالذبح
ودم رفيعا عالي القدح ممتع الملك على القدح
ثم جعل السلطان سجستان طعمة لاخيه صاحب الجيش ابي المظفر
نصر بن ناصر الدين سبكتكين مضافة الى نيسابور وناهيك بهما

ولاية

ولاية في بلاد المشرق فنصب لخلافته عليها ابا منصور نصير
بن اسحاق وزيره ووكل بها تدبيره • ورضي لها نقد يمينه
وتاخره • فقام بضبط الولاية واستدرار الجباية • واتقان
السياسة واتمام الحراسة • فقام من عدله الزمان بثقافه
وزينة الكمال باوصافه • وعاد السلطان الى بلخ على استيناف
الجد في غزو الهند على ما سنذكره في موضعه ان شاء الله عز وجل

التعرف

ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وانتقاله الى مملكته بعون الله ونصرته بعد طول التغلب عليه

قد كان شمس المعالي اقام بخراسان ثمان عشرة سنة مصابرا
للدهر على دفعاته • وتصرف حالاته • لم تغمز يد الحادثات
قناته • ولم تقرع صروف النائبات صفاته • ولم تنقض
دوائر الايام مروته • ولم تنقض على اختلاف احوالها
حبوته • ولم يبق من اصحاب الجيوش وزعماء الجمهور من لم
يضرب بسهم في نوافله • ولم يرجع الى الحظ من عطاياه
وفواضله • ولم يجد منه احد من ذوي الحشمة بسلام الا
حظي منه باحسان • وانعام واجنبة الوان وافراس مطهمة
حسان • فعلى الاكتاف خلعه ولباسه • وتحت الافخاذ مراكبه
وافراسه • وحشو البيوت بدره واكياسه • وقد كان آل
سامان يهمون برده الى مملكته • حيازة لقصب السبق في
ازالته على خصمه واقامة مملكته الى يده فيقطعهم توالي الفتوق
من كل وجه عليهم عن اصابة اغراضهم في امره والهمة

بصيرة التجارب بمداراة المحنة حتى ينقضي زمانها • وينقضي
على الإقبال بحرانها • إذ كان الاضطراب في المحن كالاضطراب
في حبل الخناق ما يزداد صاحبه على نفسه حركة إلا ازداد هو
اختناقا وهلكة • ومما يضاف إلى شعره قوله •

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه الضرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ولما وطئ ناصر الدين سبكتكين عراص خراسان وأقدم الظفر
بأبي علي على كره ارتاح للقائه • وما بنيجه على نصرته
وإبلائه • ثم اتفق له من الانقلاب إلى بلخ ما حال بينه
وبين المراد فعير مدة في حملته إلى أن انقرض أمر أبي علي
وحوى نجم المشغل به وانحدر إلى طوس في طلب أبي القسم
السيمجوري فجدد عند ذلك شمس المعالي عهده • ولاطف
كل منهما صاحبه • بما لا يفي به بيان • ولا يتسع له حساب
ولا حسبان • وجرى ذكر فخر الدولة صاحب الري واستظهاره
ببدر بن حسنويه صاحب الأكراد • والفوارس الأنجاد • فأراد
ناصر الدين سبكتكين أن يستظهر عليهم بكماة المشرق ورماة
الحدق من كتائب الأتراك الكاتبة فأرسل حاجبه الكبير ألتونتاش
إلى أيلك لكي يستحكم الحال التي تعارفا عليها بما وراء النهر
من الاتحاد في الوداد والاشتراك في الأملاك بإمداده بعسكر

الا ان رحل من تعب رجاله وشهب بطاله وصرف شمس
المعالي وزراءه على ميعاد معاده • ورجع ناصر الدين سبكتكين إلى
بلخ مستعدا للأمر • ومنتظرا لوصول العدد الدثر • فاستأثر
الله تعالى به قبل أن عاد الرسول وتحقق المسئول فحط
عليه ما صنع وضوح دونه نبت ما زرع وتوسط وجوه الناس
بين السلطان يمين الدولة وأمين الملة وبين شمس المعالي
في إسعاده ورده إلى معاده • على ما يقضي به حق صحابته
ونصابي حسن بلائه في تحقيق رجائه • وتحقق مكايد أعدائه
فأظهر الوفاء به لغاية شهرين من قرار بجرجان إذ كان
يتحمل ثقل ما يلتزمه على ما بذر له من إخلالها وتخفف من إخلالها
وإنه يتحاشى بانتقال الملك إليه خبط رعيته بالحيف والعسف
والإلحاح عليهم بموردي الجور والتعسف • فأعجل السلطان
يمين الدولة وأمين الملة ما أهمه من أمر تراثه وشغل الخاطر
بإحنة عن تقديم إظهاره • وتعجيل رده إلى داره • فاستمهله
ريثما يكفي ما أمامه • وينفض الشغل بما وراءه • وسار إلى
غزنة حتى يسر الله له افتتاحها • وداوى على بعد جراحها
وكان أبو القاسم بن سيمجور مقيما بقومس فلما مضى فخر الدولة
لسبيله انحاز إلى جرجان متغلبا عليها وكاتب شمس المعالي
قابوس بن وشمكير في الامتداد إليها ليقوم بتسليمها إليه
وتقريرها في يديه فسار على سمت الوعد حتى وافى جرجان
وأبو القاسم بن سيمجور بأستراباذ وقد جهز له من الري أبو العباس

فيروزان بن الحسين في جماهير المشاهير من قواد الديلم
والاكراد وكان قد أطمع ابو القاسم بن سيمجور في ولاية قهستان
وهراة وامر بمعاودة خراسان للاعتضاد والاستظهار بعدته
وعديده فجرد عزمه للانصراف • وضرب تلك المواعيد
بالاخلاف غير حافل بما يلحقه من المذمة بخذلان من حشمه
لنصرته • واستقدمه على ما تحت يده وقدرته • وسار
نحو اسفرايين فانقلب شمس المعالي الى نيسابور على حرج النهل
استيناءا بالوقت الى مقتطف الرجاء ومنعرج الامل وتربصا
بما حوته رحم الليالي من جنين المقدور • من دالة المبسور
على المحسور • ولما رأى آل سامان مختلة النظام منحلة
العرى والاوذام • لا تزداد على الوقع الا خرقا • وعلى
الرتق الا انفتاقا • محض الرأي فيما يغنم له ما بدا من ونحوش
عليه آبد ملكه • وكانت زبدة محضه ان سوت الاصبهبد
شهريار بن شروين الى الجبل شهريار لاستصفائه • فسار
نحوه تحت لوائه • وعلى الجبل يومئذ رستم بن المرزبان
خال الامير ابي طالب رستم بن فخر الدولة صاحب الري
فتناهد للقتال على رسمهم في الاحتزاز بالتراس والادراع
لباس اللبابس • وشد عليهم الاصبهبد شدة شردتهم بين
المهامه والدكادك • والجأتهم لهوات المعاطب والمهالك •
واصاب منهم غنيمة جسيمة • بعد ان قتل منهم مقتلة عظيمة
واقام الخطبة بالجبل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير

وكان

وكان باي بن سعيد احد اعيان الجبل وشجعانهم مقيما عند الاستندار
في طوايف من اضرابه مشايعا لهم في ظاهر الامر وناظرا الى موالاة
شمس المعالي قابوس بن وشمكير من نقاب الستر واتفق ان نصر بن
الحسن بن فيروزان لعظمة الاضافة بناحية الديلم الى حدود
الاستندارية قطع في مخالبهم عليها ومزاحمتهم فيها فقذف
من جمرات انيابهما بمن طرده عنها وقبض على خاله ابي الفضل ⊙
اصبهبد كلار فسجن الى ان دفن وما لبث بعد ذلك باي بن سعيد
نصرا فتساعدا على قصد آمل وبها ابو العباس الحاجب في زهاء
الفين من عسكر الري فاجلياه عنها جريا تقفوه الصفاح •
وهشيما تذروه الرياح • وطير باي بن سعيد عند ذلك كتبه الى
شمس المعالي بذكر الفتح الذي اتيح له على شعار موالاته • واستشعار
طاعته وموالاته • واظهار النصح باستطلاع راياته • ففصل
عن نيسابور سائرا نحو جرجان وتحيز باي بن سعيد عن مضامة
نصر الى استراباذ مجاهرا باستشعار صاحبه وتجمع اليه من ابناء
الجيل من كان يسلك شعب هواه • ويستلم ركن طاعته
ورضاه • وكتب شمس المعالي الى الاصبهبد بالانضمام الى باي
وجمع اليد الى يده • فما تقدم وأخروا الشد على عضده • فيما
اورد واصدر ففعل ما امر وتسامع ابو العباس فيروزان بن
الحسن بنبأهما وهو مقيم بجرجان فتجرد لكفاية امرهما واحسام
ما انتهب من جرمهما • فواقعه بباب استراباذ وقعة اثبت فيها
حدود القواطع من حديد المدارع • ومزارق الزانات من

مفارق الهامات • وكادت الهزيمة تستمر بأصحاب بابي لولا
انقلاب الاكراد والعرب في عسكر الديلم عليهم ببيض الظبي
وزرق العوالي • منادين بشعار شمس المعالي • فانهزم ابو العباس
فيروزان بن الحسن فيمن معه فركب الطلب اكتافهم فأسر هو
وزهاء الف وعشرين نفرا من وجوه القواد في جملته واسرى
بقية الفل نحو جرجان وقد قدم اليها قابوس بن وشمكير سالار
بن خركاش احد اقاربه فوافق انهزامهم اليها اطلاله عليها وتسامع
الفل به فضجوا رنة وعويلا • وضلوا فلا يستطيعون سبيلا •
واضطروا الى استيمان الهزيمة ترحا على فرح • وملحا فوق
جرح • وخوطب شمس المعالي قابوس بعز الفتح • وما هيأه الله
له من عظيم النجح • فسار الى جرجان وقد شرح الله تعالى صدره
وجلا عن الكسوف بدره • وكشح بالبشر عسره • وزاد على القدر
قدره • وزاد في شعبان سنة ثمان وثمانين • ولبعض كتاب
اهل العصر عند زفاف الملك اليه قصيدة اولها •

الجد ما لم يعنه الجد غدار • والحزم ما لم يزنه الصبر خوار
وللكريم اذا الايام زلن به • عن المنى ثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المجنون له • حتفا على حسك اللأواء جرار
وكم جريح قريح القلب ذي غير • وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم وخائنة • وكم غني وللايام ادوار
سير سريع ودور غير منصرم • نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دائرة • لم يثنه عن عيان الحال اكبار

وانما

وانما حاصل الايام تحنو حدرا • اصمّ عن التحقيق فرار
يجني الزمان على من لا اصطبار له • ورفقه للذي في العسر صبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة • ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب • عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يدركه التحقيق منتقصا • وتبدع لضياء التم انوار
والنار في ظلل العيدان كامنة • وسقطها باقتداح الزند سعار
والجد يطبع كالصمصام ثم له • من صيقل الدهر جلاء وتبتار
هذاك شمس المعالي في سيادته • له مع الفلك الدوار اخبار
اعطاه من غرر الآمال اذ قصرت • عن نيل امثالها في الدهر اعمار
ملكا وعزا وعيشا رائعا وعلى • ودولة ضمنها نصر واظهار
لما كساه دروع العز ضافية • ولم يجد منه غير الشكر يختار
ابدى تشورا اجله كي يجربه • بالصبر والصبر للاحرار مسبار
حتى اذا ما قضى من شيمه وطرا • وللامور نهايات واطوار
امسى يعاوده ما ارضاه في خفر • وجنح بدم التشوير فوار
فالمجد خادمه والعز صارمه • والرأي رائده والخلق انصار
نور يضيء حياة العالمين به • كانه الليل والاحرار اطيار
له المعالي سماء والندى شهب • والمجد سارية والجود امطار
علاه كالليل والمصباح همته • ونعله الجود والآمال سمار
تراه ينهزم الاموال عن يده • مثل انهزام العدى عنه اذا ساروا
ومجده الدهر فناض لهمته • فالجود بان له والصيد احرار
حياؤه بوقاح السيف ممتزج • وعدله في حروب الناس سيار

ندى يداه الى الفردوس منتسب ووقع سطوته في حر النار
يوم الهياج صفاح البيض ظلته والجو من لهب الطعنات صهار
يغامس الحرب والارواح راقية الى التراقي وطرف الموت نظار
يرش من دفع الاعناق قسطلها اذ نقعها بحوافي الخيل ثوار
تناثرت انجم الافلاك سطوته اذا الرماح من الارواح تمار
هن في دمية الاضواء آنسة وهن من ظلمة الظلماء نفار
للمشتري بهما في الخصر منطقة ببيض بضاه وللمريخ زنار
كهفه روعة امرا بمصلحة فماد ودفعي المحظور دبار
وقد افاض على الظلما هيبته فما بصرح حدا الباس صرار
ان السلامة ان لو الهمت نطقت يا رب انك لي من سيفه جار
يا ايها الملك الميمون طائره ومن يداه بفيض اليسر زخار
ان الزمان عروس ما لها ابدا سوى خصالك مشاط وعطار
البخل عندك في وجه الندى كلف نعم وفي غرة الاقبال ادبار
ترى العدى من بنات الكد صابية فانهم واخوات المرء اوتار
كان ما قدروا من لحظ ظالمة وما رميت به وحي واقدار
تجني وتلتهب الاوتار رابية كانما احنت الاوتار اوتار
لا زلت في نعم تفضي الى نعم ما طاف حول فناء البيت عمار
ممتعا بسرور غير منقرض حتى يفوق نجود الارض اغوار
ولابي بكر محمد بن العباس الطبري المعروف بالخوارزمي فيه من قصيدة
يمدحه بها وقت مقامه بنيسابور وهي
قامت تودعني بالادمع السجم والصمت بين يدي منها وبين فمي

البين

البين اخرسها والبين انطقها وهذه حالة في الناس كلهم
قد طال لما انهزمت عنا السيوف فلا تحار بينا بحس الورد والعنم
وقد خلعت لجام الاتباع فلا خلقي سوى الفنا في دقة النجم
السقم
لم يبق في الارض لي شيء اهاب له فهل اهاب انكسار الجفن ذي
استغفر الله من قولي غلطت بل اهاب شمس المعالي امة الامم
غطى جفونك عني رحمة لدمي فان سفرت فقد جاوزت سفك دمي
وان دعاك ابو يحيى لنصرته على يوما فايدي الثغر والمبتسم
والكامل الخطب او ترى النجوم به لم يسبح النجم في المجرى ولم يعم
والباذل المال لو يحيى بابشره يوما زهير لقال الجود في هرم
يا ايها الملك الموفي بهمته على هموم ملوك الارض والهمم
اسعدت طلعة ذا النيروز فاحظ به فلن يقيم على خلق ولم يقم
يوم من الدهر شيخ في شبيبته ومستجد وما يوفي من القدم
قد كان كسرى اذا وافاه حكمه في عقله وهو فيه شر ما حكم
بني بجدة كاساه اذا وجدت فان وجدانها باب الى العدم
شيخ الترب شيخ مصالحة بالكاس والطاس والاوتار والنغم
كانت السماء عروسا ساوي مملكه بسيف دولة هذا العالم
الخدم
حتى اذا تلته لم تر احدا من خاطبيها سوى قابوس ذي الكرم
ثكلى ومعرسة لما تعدت عطلا من سيد العرب لما تسند العجم
يوم جديد وملك بعد مقتبل والصحو بينهما ضرب من اللمم
كانت تحطك من سيف الامير ومن خيم القضا ومن كلمه
قال الامير لاخلاق الكرام فقعي بحيث انت فما زادت على نعم

وقال للعلوم والآداب لا يزدري الأعلى فماها بلى ولم
القائل القول لو فاه الزمان به صارت لنا لياليه أيامًا بلا ظلم
والفاعل الفعلة الغراء لو مزجت بالنار لم يكن النيران من حمم
لا تحفلن بنضوب المال في يده فقد تجف ضروع العارض السجم
قد يحسر البحر بعد المد تجزيه ويترك الجدب وكر الأجدل القطم
ولا يغرنك أن الدهر حاربه فقد يغدر السيف يوم الروع بالبهم
الآن إذ غدت الدنيا بجمته وقابلته صباحًا أوجه النعم
ترنو إليه فتخفي شخص منقبض لراحته وتغضي طرف محتشم
إذا دعت نحوه ساقًا نهت قدمًا والعمر يذهب بين الساق والقدم
حيرى يفرقها حالك وبعدها كذا يكون رجوع الآبق السدم
ولـه فيه من قصيدة أخرى يقول في نسيبها ❀
شموس لهن الخدر والبيت مغرب فطالعها للبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالي خلا لها مشارقه ليست لهن مغارب
وما القوم الشمس الأوبدرا وإنما أبانك شمس والملوك كواكب
أقول لزوار الأمير ترجلوا فمن زار من راجل فهو راكب
وإن زاره الفرسان كنت كفيلهم بأن يرجعوا والخيل جائب
الا أبلغا عني الأمير رسالة تدلك على أني على الدهر عاتب
إلى كم يحل المرء مثلك بلدة بها منبر فيه لغيرك خاطب
عليك بهذا السيف فاقض ديونه فللسيف دين عند كفك واجب
ولا تقعدن تغضي الجفون على القذى وفي الأرض مركوب وريح وصاحب
عزيمك هذا الدهر فالزمه بعثرة فلن يوقظ الغوام إلا المطالب

وانت

وأنت ابن عم سيف الدولة بل ابن عمه وكيف يخاف الأقربين الأقارب
أليس أبوكم وشمكير وجده زيار ومرداويج عم مناسب
وللقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني فيه من قصيدة أولها
أمسرى خيال الهاجر المتجنب وبحري دموع الزائر المتطرب
سألتك بالدهر الذي صرت بعده تذيب ناظري من بعد أن كنت
ملعبي
أعني على عين إذا ما وعدتها بقربك قالت للدموع تأهبي
ولما تداعت للغروب شموسهم وقفنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين أطراف السجوف بمشرق لهن وأعطاف الخدود بمغرب
فما سرن إلا بين دمع مضيع ولا قمن إلا فوق قلب معذب
كأن فؤادي قرن قابوس راعه تلاعبه بالفيلق المتأشب
همام يراه المال أسرع حادث إلى حتفه والقرن أخوف معطب
يفض العدى إطراقه قبل عزمه ويطرقهم رعبا ولم يتأهب
ومنها يصف الزانات ❀
وزرق على سمر تظل إذا هوت تلاحظ أعقاب الشهاب المذنب
ترفعن على طيش الرماح وذلة السهام وتقصير الحسام المجرب
تحزن طبات البيض ثم وصلنها إلى الهن من سمر الرماح بأكعب
فلن ينال السهم في متبعد وقمن مقام السيف من متقرب
فتى ما تلاقت همتان بصدره ولا تشهد الجلى برأي مشعب
له الهمة العليا والمنصب الذي يبعده الجوزاء ألحاظ متعب
يزاحمهم من وشمكير بمنكب ومن سلفه الأصبهذين بموكب
ويذهب من مجد وعز ومفخر بآثار مرداويج في كل مذهب

وما خلصت للمرء مسعاه والبداذ لم يقابلها بحاك يهذب
كلا طرفيه يرجع الطرف خاسئا اذا رامه عن كل خرق مجحب
يحوز معالي اردشير بحاله ويعلوا الرتب عن شان ساسان بالاب
ولما انتهت الهزيمة بالقوم الى الري على جملة الانكسار وذلة الاقتسار
وسمة القتل والاسار • قطع عليهم بساط العذل والتعنيف
وملئت عيونهم من نغمات التعيير والتشوير وكان ابو علي
الحسن بن احمد بن حمولة على الوزارة فاختار عشرة الاف رجل
من بهم الديلم وفتاك الاتراك • ونخب العرب وافراد الاكراد
وسار بهم في منوجهر بن قابوس وبيستون بن تجاسب وكار بن
فيروزان وشاموح بن اخت عظيم الديلم وموسى الحاجب
واسفار بن كردويه وابي العباس بن جاي وعبد الملك بن ماكان
وهولاء رئوس الديلم والجبل حتى اطل على جبل شهريار وبلغ
شمس المعالي اقباله واستحضر اطرافه واستظهر بشهريار
استعدادا للمواقعة • وتحزب ابو عبد الله في نصرته وتثبيت
وطاته • واستتمام ما اعاده الله اليه من نعمته • وحاذر
ابو علي بن حمولة مما لاه نصر بن الحسن بن فيروزان شمس المعالي
قابوس بن وشمكير وانقطاعه الى جانبه ومواصلته بكتبه ثنا
فشافي عقد بيعته • فتلافى حدوثه • بانخالي بحره بسيحه وتلقيبا
البداءات القرابة الوشيجة بين ابي طالب فخر الدولة وبينه لو
صادفت منه حكما في الاشفاق على دولته والانتداب لنصرته
لكان احق الناس بسياسة اجناده • وزعامة ممالكه وبلاده •

وانه

وانه الآن متى سلك طريق الخدمة وجانب التهمة • وحافظ على
حرمة اللحمة • لم يعدم ما يهواه من ترتيب وترحيب وتنزيل
وتخويل وتفخيم وتقديم واذن له في الانتقال الى قومس •
الى ان يرد توامره بمقتضاه فارتاح نصر لما شامه من ملك الحقيقة
ووثق به على الحقيقة • وسار نحو سارية ثم فرض الجادة ذات
اليسار وركب ذات اليمين مما يلي طراسك واباذان حتى اذا
حاذى رفعة قومس اذاع رايه في اصحابه في طاعة ابي طالب
وانه ما عاش رفيق خدمته • ونصير دعوته • فاختلف عليهم
كلمتهم حتى افضح بتذبيهم • وباح بستر ضميرهم • فمن فريق رجع
الى الاسبندادية وفريق الى جرجان في طلب الامان ع
ورحل نصر في الباقين حتى اناخ بقومس وسال ابا علي بن
حمولة تمكينه من بعض القلاع ليحصن فيه عياله واثقاله •
فمكنه من حصار جوميند فاستوطنه واودعه ماله ومن معه
ولما امن ابو علي شره وعاديته توجه نحو سارية على قصد
جرجان فلما اطمان بها اسرى منوجهر بن شمس المعالي
الى ابيه عائذا بالله من عقوقه • وكفران ما فرض الله عليه
من حقوقه • فارتاع ابو علي من بيستون بن تجاسب لانتشار كلمة
في نسبة الجبل وارومة ذلك الفسيل • واشفق من ضغونه
القديم في خدمة شمس المعالي وحثه اياه على معاودة شدة
واهتبال الغرة في مراجعة جملته • واخذ بالحيطة في اعتقاله
ورده الى الري في وثاقه وامتد الى ظاهر جرجان مما يلي

قهر الداعي بمعسكره وتواصى اهل الحفاظ والحمية والانفة
الابية من اصحاب شمس المعالي بالتوافد في النجا لدوا التسايل
على التقابل والتماسك عند التعارك وشدوا اجيادهم للقراع
وفرعوا اطنابهم للمصاع • وناصبوهم الحرب سطرا في الصباح
والرواح • لا يسأمون وقع الصفاح ولا يألمون لذع الجراح
حتى بهر شهران كبوهم واجدوا في مغاسة الكريهة من يكلف
وبديهة ومر عسكر جرجان ضيقة لانقطاع الميرة والمواد
عنهم فاستعصموا بالنفوس الشريفة • وتغنوا طول تلك الايام
بالبلغ الخفيفة • موثرين شرف المقام على شبع الطعام ورد
الشجاعة على سد المجاعة واصاب الاخرين تلك الضيقة فا
نتقلوا من الفضا بقهر الداعي الى جانب محمد اباذ اتساعا
في العلوفات من جهة جاشك فتداركت عليهم الامطار
بالطوفان حتى اغرقهم الانهار وماجت بهم الارض حتى
تساقطت الخيام • وساخت القوايم والاقدام • وعندها
برز اصحاب انصار جيوش شمس المعالي اهل الحقايق • من وراء
الخنادق • واججوا نار الوغى كضارية القشاعم وداعية
الاراقم وثبت بعضهم للبعض من مطلع الفلق الى مسقط
الشفق • محكمين متون الصوارم • في شوون الجماجم •
وذوابل الصعاد • في مناهل الاكباد • وزرق الزانات •
في سود المهجات • حتى اذا زلت قدم العصر • اتى امر الله
بالنصر • فحمل الجيل على الديلم حملة لم تستبق منهم طالب ثار

ثار ولا

ثار ولا نافخ نار • واسر من عظمائهم اسفهسلار بن كوريليج ○
ورزهو وجستان بن اشكلي واخوه حيدر بن سالار ومحمد بن
وهسوذان واشتملت المعركة على الف وثمانية رجل ممن اجعفتهم
الحتوف • وسطحتهم على الارض السيوف • واقا الله على الجبل
غنايم لا يستوعبها بيان • ولا يستثبتها بنان • ثم رأى شمس
المعالي ان يتوج بهذا واواه الجوهر والفك عن الاسرى ○
وصرفهم وراهم بالخلع والكرامات • والاحبية والصلات
شكرا لنعمة الله فيما اولاه • واكبارا لقدر منته في تحقيق
ما رجاه • وانشدني ابو منصور عبد الملك الثعالبي ابياتا
له في ذكر هذا الفتح الذي نظمه الله في سلك ايامه والحق
الذي اقره منه في نصابه وهي •

الفتح منتظم والدهر مبتسم ... وملك شمس المعالي كله نعم
والعدل منبسط والحق منبلج ... والشعب ملتئم والجود مصطلم
القت مقاليدها الدنيا الى ملك ... ما زال وقفا عليه المجد والكرم
شمس المعالي وغيث المشرقين ومن ... به يليق العلى والملك والحشم
هو الامام هو القرم الهمام هو البدر ... التمام هو الصمصام والقلم
هو الغمام الذي تخشى صواعقه ... قهرا ويرجو نداه العرب والعجم
هو المقيم الذي سارت مآثره ... كانت علياه من دنياه تنتظم
والماء من جوده المامول منسكب ... والنار من باسه المرهوب تضطرم
والارض من صدره والريح من يده ... والروض عن خلقه للخلق يبتسم
الله جارك يا من جار حضرته ... مؤتنفا وعاش الفتح منشورا له العلم

الله جارك يا من جار حضرته يلقى السعود عليه الدهر يزدحم
ابشر فقد جاء نصر الله مؤتنفا وعاش الفتح منشورا له العلم
يا من اذا اعتصمت صيد الملوك به امسى واصبح بالرحمن يعتصم
ابل الجديدين بالعمر الجديد ودم للملك يحدو بك التوفيق والقسم
وانشدني الامير الفاضل ابو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي في ذلك
لا تعصين شمس العلى قابوسا • فمن عصى قابوس لاقى بوسا
نعم ولما بلغ ابو علي ابن حمولة قومس منهزما عن تلك المعركة
ارسل الى نصر بن الحسن بن فيروزان يساله بتعجيل اللحاق به
ليتعاضدا على لم شعث الهزيمة • وسد ما جاش من منخرق تلك الكشفة
العظيمة • ثم اعجله الطلب عن التوقف والتلوم فاوجف
نحو الري واتاه نصر فلم يلحقه واستوطن سمنان وتابع كتبه
الى ابي طالب مجد الدولة رستم بن علي فخر الدولة يستمد
وشمر لتلافي الخلل مجدا فتراخت المدة على استيناف امداده
واقتبال معونته وانجاده • ثم امده بابن بكتكين الحاجب في زهاء
ستمائة من شجعان الغلمان فقوي بهم وتكثر بمكانهم
ورماه شمس المعالي بباي بن سعيد في رجال من الجيل وكتب
الى الاصبهبذ شهريار بن رستم بمعونته وازاحة علته فصمد
صمد نصر مزجيا عنان التحفظ • ومغمضا جفون التيقظ وقد
كان نصر سد الطرق على ابنائها ستر الخبره • وسحب الذيل
الكتمان على الاثر • فاتفقت اناخة باي عليه على حين تقطع
من رجاله وتفرق من اكثر اصحابه فتناوشا الحرب ساعة

ونصر

ونصر مستعد • وامره في القراع جد • ثم اضطر باي الى
الانقلاب على ادراج الخيبة وفشت الهزيمة فيمن يلحق به
وتراجع عنه من دنا في عسكره وجرى عليهم من القتل والاسر
ما اعتد به نصر في مساعيه عند ابي طالب فغسل به وجه
حاله • وجلا عليه صفحة اقباله • وانهض عند ذلك رستم
بن المرزبان خال مجد الدولة ابي طالب في ثلاثة الاف رجل
مددا لنصر وعقدت له الاصبهبذية على جبل شهريار
فتلقاه نصر الى نهاوند وساعده على صعوده وامتلاك
حدوده فلجأ الاصبهبذ شهريار الى سارية وبها منوجهر بن
شمس المعالي معتصرا بعقوته • ومعتصما بعروته • فاصاب
اهل جرجان غلاء عم بلاؤه • وشمل الكافة داؤه • وسببه
بسط الايدي بالغارات • وانتهاب ما اودعته الرغاب
للارتفاق من الاوقات • فاضطر نصر الى الانصراف عن رستم
بن المرزبان للقحط الشامل • والبلاء النازل • فلم تهنه الاصبهبذية
عند انقلابه ان ركض على رستم فاجلاه عنها الى حد الري
منكوبا ومخذولا لا معقل ولا انصفت له ناحية واختبت
عنه شذاة نصره وعاديته • وكان ابو نصر بن محمود الحاجب
قد الجاه بعض المحن التي وهته الى خدمة شمس المعالي
فمهد له كنفه • وحكمه في اصطناعه شرفه • ووالى الصنايع
والرغايب اليه • وملأ من الاموال يديه • وسهل ركوب
المطالب عليه • ثم رماه في وجه نصر بن الحسن مزاح العلة

بقدر الكفاية • من ذوي البسالة والنكاية • فخف إليه
بجأش ثبت • ووجه على الحادثات صلت • واخرق عليه الارض
حربا كرّا على بدء • وعوانا على ايدي اعوانه ومدده • ثم
حمل على جموعه حملة شرّدتهم كل مشرّد • وطرّدتهم بين اعين
البيد كل مطرّد • وعلق في حبالة الاسر حسان بن الداعي
وبن هندو وغيرهما من اعيان القوّاد واصطفق الى حد الة
الحرب من القتلى ما شبعت به الضباع • بل سمنت عليه
الوحوش الجياع • وانهزم نصر بين يديه الى سمنان وكان
نصر على خلاله مذموم بنيته وفخامة عشيرته ورهطه
مغرما بالظلم مغريا بالحيف والغشم • ووافقت لابنه
مدرجة الحجيج زوار بيت الله وزمزم والحطيم • فشملهم
عنه في كل سنة بوجوه من المطالبات المختلفة • والعلامات
المجحفة حتى انتشر عنه سوء الاحدوثة • وحبط عليه جمال
تلك الجملة الموروثة • ولعل عثار الزمان به عدوى ضجيج
الحجيج عنه بالاستغاثة حالتي الوقوف والافاضة وواصل
نصر الري بكتبه في الاستنفار والاستنهاض من صرعة
العثار فمد له من طول التطويل بانواع التعليل والتأميل
ه مواعيد كما هبت رياح المهمه القفر من يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
وبلغه بعد ذلك ان مجد الدولة اباطالب وشمس المعالي
قد تصالحا على احتيال تحصيله والظفر به فساء ظنا وضاق
بالامر ذرعا ونمي اليه ايضا ان بعض قواد السلطان

ريمين

يمين الدولة وامين الملة وكان يعرف بارسلان هندو بجه
والي قهستان قد اوقع بابي القاسم السيمجوري واجلاه عنها
الى الجنابذ فاعتد السير اليه على مظاهرته • والتحصن بمرا
ومظافرته وجعل يحطب في حبله • ويفتل في ذروته بحبله
وخيله • وزين له قصد الري معه لاستلاكها على ابي
طالب ايهاما لنقل البيانات في طاعته • ودخل الاهواء في
مشايعته • فاغتر ابو القاسم بتغريره • وانجر في جريره
وسار الى خوار الري فتلقاه من سعار الكتائب من غص بهم
لهوات تلك المخارم والمسارب ولما راى ابو القاسم ان
الامر جد والطريق منسد رجع ورآه عاضا على البنان هو
منجز لا لعارض الحرمان • وبلغ شمس المعالي قابوس بن وشمكير
انصرافه مع نصر عن وجه الري فعقد فيهما بعفاريت الاكراد
من كل جانب ودحرهم عن حدود مملكته على عذاب واصب
ولما رايا ان الارض تلفظهما يمينا وشمالا • وتنفيهما جنوبا وشمالا
تواطآ على قصد السلطان يمين الدولة وامين الملة مستامنين
اليه • ومستعدين على الزمان بالمثول بين يديه • فيمما
عالي حضرته • وتوسما بجمال خدمته • فاما ابو القسم فهرب
على ما سبق ذكره الى ان اودعه الحبس اسره • واما نصر فاقام
على الخدمة مدة الى ان امر السلطان باقطاعه بيار وجومند
طعمة له فنهض اليهما • وابت عليه همته القناعة بهما • فلم
يضرب بجرانه الى ان خرج من الري وحل منها الى قلعة استوناوند

ند

فجعلت عليه حصيرا • وساد ذلك مصيرا • ووكل شمس المعالي
بعد ذلك بحوالي القلاع • فيما بين جرجان واستراباذ
وما وراها من احاط بهم احاطة الحلكاك بخدمة البعير حتى
افتتحها غيلة ومكيدة • ومراعاة لحقوق الاستسلام وكيدة
فصفت تلك الولاية بحدودها وحواشيها وقلاعها وصياصيها
بما ابتدى من بدا الاحقاب فيها • واتفق بعد ذلك اخلاد
الاصبهبذ بحبل شهريار الى جانب المجانبة في طاعة شمس المعالي
قابوس وادعاؤه الامر بنفسه اعتزازا بما اجتمع له من الوفر •
والتف عليه من العدد الدثر والعسكر المجر فرمي من جانب
الري بابي علي رستم بن المرزبان خال ابي طالب في صناديد
الديلم وفيهم بيستون بن تيجاسب المفوض عليه من قبل في النطق
بموالاة صاحبه قابوس فنصب له الحرب قراعا ومصاعا وثقافا
ونقافا وكانت عاقبة امره ان كسر فاسر ونادى ابو علي بن رستم
بشعار شمس المعالي لوحشة كان استشعرها من اهل الري واقام
الخطبة فيها باسمه وكاتبه بذكر طاعته وشرح ما فتح الله على يده
وهاجر ابو علي حرب بيستون بن تيجاسب الى ارضه المقدسة
من فنا صاحبه وولي نعمته • وقرت بالاياب عينه • وطابت
بالايثار والاحسان عيشته • ولو لم يعجله عن الحياة حينه وانضاف
مملكة الجبل باسرها الى ممالك جرجان وطبرستان فولاها
شمس المعالي منوجهر ابنه ثم من لو عاش الى زمانه لرد عليه
عوازب مفاخره • ورجع اليه على آثاره ومآثره • وانفتحت

عليه

عليه بعدها الرويان وشالوس وما وراها من الجدود
الاسبندارية فصارت ولايته تشرق بنور العدل والاحسان
وتبسم عن ثغور الامن والامان • وواصل شمس المعالي السلطان
يمين الدولة وامين الملة بكتبه ورسله في عقد وثيقة يحصن
بها من صروف النوائب • ويستظهر بها على وجوه المطالب •
وقدم بين يدي نجواه من انواع القرب والمبار • ما خرج عن الحد
والمقدار • حتى تاكدت العصمة واشتبكت الالفة واستحكمت
الثقة • وصارت جرجان وطبرستان الى سواحل البحر وديار
الديلم بحكم الحال المنتسمة كاحدى ممالكه التي يحتكم عليها
آمرا وناهيا • وينبسط فيها حاضرا وباديا • فلله شمس المعالي
في همة له بين المجرة مجراها • وفي بحار الكرم مرسيها ومجراها •
فلم يسمع في شيوخ الملك باشرف منه همة واوطف ديمة •
واكرم شيمة واصدق بارقة مبتسمة • واوفر عقلا وتحصيلا
واظهر جملة وتفصيلا • واغذى للنفس بعفاف الحكمة •
واجزى للبدن بكفاف الطعمة • وقد فطم النفس عن رضاع
الملاهي فلم يعرف اللهو ما هو ولا البطالة ما هي علما منه
بان الملك واللهو ضدان • وان ليس للبقا بهما يدان • وقد
احسن ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب في نصرة هذا الراي بقوله

اذا غدا باللهو ملك مشتغلا ... فاحكم على ملكه بالويل والحرب
اما ترى الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب

نعم ولا احرص على مصالح الرعية واخذ باطراف العدل

في الفصاحة وأبرع في الآداب والحكم • وأجمع بين ذرابة السيف
وذلاقة القلم • ورسائله موجودة في البلاد عند الأفراد
لكني أكتفي منها بلمعة من بوارق بيانه • وزهرة من حدائق
بيانه • إذ كان في تصفحها ما يغني عن التكثير في هذا المكان
فمنها رسالة أنشأها في الترجيح بين صحابة النبي صلى الله
عليه وسلم ورضي عنهم بعقب رسائله القديمة وهي
بسم الله الرحمن الرحيم . اعلم أن أصعب
الأمور وأشقها بين الجمهور هو الخروج بالنبوة • والاستعلاء
على الخلق بهذه القوة • لأنه تقليب الوجوه عن القبل المعبودة
وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة • ومخاطبة الخلق
عن الخالق الذي لا تدركه أبصار الخلائق • وقد اعتلى نبينا
صلى الله عليه وسلم ذروة هذا الشرف • وصار لمن سلف
من الأنبياء خير الخلف • وفاز برتبة هذا الذكر العظيم • وأذاق
العرب لذة النعيم • ونقلهم إلى الثروة والغنى من الفقر
والفاقة • وأراحهم من الجمل رعاية والناقة • وليس وراءه
لابتغاء العلى أمد • فما فوق السما للسمو مصعد • ثم ضبط
الأمر بعده رعيته على نظامه • وإقامته في قوامه • وهذا
ما تولاه أبو بكر رضي الله عنه حين ودع عمره • من غير أن
سلمه إلى أحد أمره • فإنه قام به قيام ثابت القلب مستقل
بمقاومة الخطب غير مفكر في رد راد • ولا مبال بمعاداة
معاند • حتى حمى حوزة الدين وجمع شمل المسلمين • ولم يرض

بان

بأن يلتزم ببيضة الشريعة ثلمة • ولا أن يتغير من أحكامها حكم •
فلقب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بابتدائه بحياطة
دين الله ثم تحصين حوزة الإسلام من عوارض الفساد •
ومعاداة الأعداء والأضداد • والمجاهدة في استئصاله ديار
المخالفين إلى جانب الإسلام ومجامع المسلمين وهو ما أتاه
عمر رضي الله تعالى عنه لما آل إليه الأمر • فإنه صرف جهده
إلى الجهاد • وقصر وكده على افتتاح البلاد • حتى اتسع نطاق
هذه الملة • وخضعت الرقاب لأهل هذه القبلة • فلقب أمير
المؤمنين • إذ كان نعم العون لرسول رب العالمين • تدفع
النبي صلى الله عليه وسلم من الأمر الأعظم والشأن الأفخم •
وإطفاء لهيب كل ملتهب • على رغم من أبي لهب • والتأم بسعي
الشيخين • رضي الله عنهما شعث الأمور الآخرين • وبلغ من
الأحكام مبلغا ليس فيه مستزاد • ولا يشين بياض غرته
سواد • ولم يبق للتابعين سوى التمسك بدين ممهد •
ومراعاة بناء مشيد • ولم يقدروا على القيام به • واحتجبوا
وراء حجابه • فلما أتت الخلافة عثمان بن عفان رضي
الله عنه كان منه ما كان • من تبديل زي النسك • بزينة
الملك وتغيير سيرة الأئمة • حين توسع في البدعة • حتى
أجنى بثمر ما جنى • وتنبه به شؤما أبى • ولما عادت إلى أبي
علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ه
هاجت الرياح من كل جانب • وبدت الأوابد • وتبدلت العقا

يده

وتعول الامر الذين ملك المغالبة • ودول القتال والمجاذبة
ووقعت الخلافة في الخلاف • وبرز الشر من الغلاف • وبقي
علي كرم الله وجهه على اضطراب الاهواء • وفي مداواة داء
لا يبرأ • مع شجاعته المشهورة • ومآثره المأثورة • وانتهى امره
الى ما انتهى • حتى جرى عليه عقبه ما جرى • فلينظر اذ كان
الامر كذلك • اهولاء احق بالقدح ام اولئك • قد مضى القوم
وآثارهم في الاسلام كالشمس في الاشتهار • والهباء في الانتشار •
وصنيعهم صائح بحي على الفلاح • وليس بابذي الخصام سوى
السفاهة والصياح •

وقرأت توقيعا له الى بعض الافاضل يستقدمه حضرته
ليتوجى مسرته كحال من سمت به همته • الى قصد من تعلو عنه
قيمته • ان يكون على عزه عرجته • وليبت من سواه زيارته
وحجته • فاما خطه فخطة المحاسن فسمه ان شئت وشيا
محوكا • او تبرا مسبوكا • او درا مفصلا • او سحرا محصلا • وكان
اسمعيل بن عباد اذا قرأ خطه يقول هذا خط قابوس ام
جناح طاوس فهو كما قاله •

في خطه من كل قلب شهوة حتى كان مداده الاهواء
ولكل عين قرة في قربه حتى كان مغيبه الاقذاء

ذكر الحال التي انعقدت بين السلطان

يمين الدولة وامين الملة وبين ايلك الخان في التواصل
والتظاهر والتعاقد على التعاون والتظافر الى ان طلعت فجة

البشر وكثرت عن اعضل الشر

الشر

قد كان ايلك الخان لما ملك السلطان خراسان على العقدة
بآل سامان اغتنم تطهير ما وراء النهر من كل منتسب الى تلك
الارومة • ومتشبث بشعب تلك الجرثومة • فلم يدع
هناك ذا ظفر الا قلمه • ولا ذا حد الا اجتاحه واصطلمه
ثم كاتب السلطان مهنئا له بما ذخر الله تعالى له من خالصة
الملك وصافية الملك وظاهره اليه من طاهرة العز وبا
الصنع ومعتدا لنفسه بما قطعه من عقود رجائه ملاذه
على صفقة اقباله • وعلاوة على جماله وجلاله • وترددت
السفراء بينهما في وصلة تبل رحم الحال وتوكد اسباب المودة
والاتصال • وتحمي حريم الثقة في الجانبين • وترفع ستر الحشمة
في ذات البين • وتؤدي رتبة الاختلاط الى الامتزاج
وقربة الاشتباك الى الامتشاج • فتصير النفوس واحدة
والسواعد على وجوه مصالحهما متساعدة • وانهض السلطان
عند المنابه كان بنيسابور في طلب المنتصر ابي ابراهيم ابا
الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي امام اهل الحديث
بها رسولا الى ايلك الخان وضم اليه طغانجق والي سرخس
في خطبة كريمته عليه • ونقلها في صحبته اليه • واصحبه ما
عدا العد والحد من سبائك العقيان • ونوافج الهيمان
وعقائل الدر والمرجان • ونخوت الوشي والحبر • ونوادر
البدر والحضر • وصواني الذهب مملوءة من بيضات العنبر
واواني الفضة منضودة بشمامات الكافور • وغير ذلك من

طنة

شارات الهنود وقطاع العود وذكور النصول وانياب الفيول
تحت حدوج مغشاة بذوات النعاريج من الوان الديابيج منطقة
بعصائب تخطف العيون بريقها • وتصطحب على الاقتاب
معاليقها • وعتاق ضوامر كالقداح تحدو دكنون الصفاح
وغرر كنجوم الصباح • وقوائم كمخاريق الرياح وسنابك كفلق
الصباح • في مراكب كانما حلي بعضها من قطع عقيق او شعل
حريق • وحلي سايرها بنجوم الثريا والنثرة • وثياب تعين
من وراء المجرة • وقرن ذلك كله باموال على سبيل الالطاف
تغمر ذوائب الاوصاف فسار الامام ابو الطيب سهل بن محمد
الى ايلك لخان كريما ينقل كريمته • ويحمل من نجوم الترك الى
ابراز درة يتيمة • فطلع على ايلك واهل بيته طلوع النجم
لطاب ايابه بعد ان طال اغترابه • والحبيب لطف اعتابه
بعد ان قدم هجره واجتنابه • اعظاما منهم لقدره وقادته
عن باب السلطان في ذلك المهم من الشان ثم لفضله في نفسه
فهو الامام المقدم والصدر المحتشم ومن لا يقرن الى درايته
ضريب له في ابواب الفضائل • وخصوصا في خلافيات المسائل
واقام باوزكندا الى ان فرغ من امر الزفاف • واذن بعث هو
بلته في الانصراف • فعاد على جناح النجاح مصحوبا بمحلوبات
الترك • من نقر المعادن • ونوافج المسك • وقود المراكب
وعيس الركائب • ورود الوصفاء • والوصائف • وبيض البزاة
وسود الاوبار • ونصب الخنن • واحجار اليشب • وطرايف الصين

واحدت

واتحدت الحال بين السلطان وبين ايلك لخان اتحادا اشترك
فيه المرافق والنعم • واستمر فيه الصنايع والخدم • وبقيت
على جملتها في التاخذ والتاكد الى ان نزغ الشيطان بينهما
في موضعها على الاثر فتعلقت الضماير • واعتلت القوى ⊙
والمراير • وتولى السيف تدبير ذلك الوصال بحل معقوده
وفصل مسروده • وسياتي الشرح على الوقايع التي جرت
بينهما في موضعها على الاثر فاما الان فاني اشير الى نبذ
من محاسن هذا الشيخ السفير • والكافل في الامر بالتدبير •
واتبعه بذكر رجالات خراسان من اعيان رعايا السلطان
يمين الدولة وامين الملة ووجوه الفضل من اوليائه
فمن منثور كلامه قوله • من تصدر قبل اوانه فقد تصدى
لهوانه • يشير الى قول منصور الفقيه

• الكلب اعلى رتبة وهو النهاية في الخساسة •
• ممن ينافس في الرياسة قبل اوقات الرياسة •

وقوله العقل اطيب عيش والعدل اغلب جيش • وقوله
اذا كان رضى الخلق معسورا لا يدرك • فان ميسوره لا يترك
وقوله انما تحتاج الى اخوان العشرة لزمان العسرة وقوله
من تغافل عنك مع علمه بحاجتك الى عونه وتوفيره طلب عليك
علة اذا عاتبته على تقصيره كانه الم بقول القايل •

• الم تر مظهرين علي عتبا وكانوا امس اخوان الصفاء •
• بليت بنكبة فغدوا وراحوا على اشد اسباب البلاء •

أبت أنفذا رءوسهم أن ينصروني بمال أو بجاه أو برأي
وخافوا أن يقال لهم خذلتم صديقا فادعوا قدم الجفا

ولبعض أهل العصر فيه

كلام الإمام إمام الكلام وفوه يفوه بدر النظام
مزاج معانيه في نظمها مزاج المدام بماء الغمام

وله
ألا أيها الشيخ الجليل ومن يبح أفوق الدهر عن فلق البشر
لئن كنت في الدنيا وأنت وشاحها عيانا فإن الدر في صدف البحر
ولم تحوك الدنيا لأنك دونها ولكن لب الشيء يحصن بالقشر
وقد صين نصل السيف تحت قرابه كما صين نور العين بالجفن
والشفر

ومن أعيان رعايا السلطان بنيسابور أبو نصر بن أحمد علي الميكالي

وهو صنيعة السلطان وشيخ مملكته وجمال خلته فضلا
موفورا وأدبا مشهورا • وعزا معقودا ومالا ممدودا • ورأيا
كالأري مشارا • وحزما كالمرار معارا • وذهنا يسلخ
الليل البهيم نهارا ونظرا • يستشف أستار المصاير ويستكشف
أسرار الضماير • وشعرا أبهى من النسيج والجوهر • وأذكى من المسك
والعنبر • وأصفى من المورد والمصدر فمنه قوله

بأبي العلى والمجد والإحسان والفضل والمعروف أكرم بأن
ليس الثناء أشيد للشيء مثل البناء يشاد بالإحسان
البر أكرم ما حويته حقيقة والشكر أكرم ما حويته بدان
وإذا الكريم مضى وولى عمره كفل الثناء له بعمر ثان

واما

ع

وأما كتابته فالسحر الحلال والعذب الزلال فهي على ما يحويه
من لطف العبارة وحسن الاستعارة • ومعسول الإشارة والثنا
رياض منشأ إلى قارة • ومن منثور كلامه ورسائل منها ما كتب
به إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكير أقوا ابنه كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم كتب العبد وحاله
فيما يدينه مولاه • من شرف إقباله ورضاه • ويفيضه عليه
من ملابس فضله ونعماه • حال من تقبل عليه دنياه • ويسعد
في ظل دولته بأولاه وأخراه • والحمد لله رب العالمين
ووصل كتاب الأمير مؤيد بدرر خطابه وغرر آدابه وبديع
بره وأفضاله وروائع نعمه وأشباله • فيما أكرمني به من عز
العيادة والتنبيه من حلل الفوز والسعادة • وشرفني
به من التهنئة عن العافية المستفادة • فأوصل عز أيسع على
الأيام أثره • ولا يخلو عن الزمان ذكره ومفخره • وفهمه
العبد فهم من أنس منه رشدا • واقتبس من أشنائه فوقا
وأبدا • ويحمد الله شكرا على ما أفاضه عليه من سجال السلامة
وسد عليه من ظلال الفضل والكرامة • ورغب إليه في إسباغ
العوارف عليه وصرف المحاذر عنه فأما ما أهل الأمير
العبد له من شريف كتابه ولطيف خطابه ورقاه إليه
من درجة العيادة أولا ومنزلة التهنئة ثانيا وإنفاذ القاصد
به ثالثا فإن من ذلك شيمه العالية • ودواعي شيمه
الزاكية • التي تحنو على أوليائه وخدمه • وتعطف على أعدائه

بنعمه • فليس له في مقابلة ما أولاه • ومعارضة ما كساه إليه
التشكر بديمه والتشريفه • والرغبة إلى الله تعالى تخلصها
في إطالة بقائه • وإدامة عزه وعلائه • وإنهاضه بمواجب
خدمته • ومعرفة قدر نعمته بمنه ورحمته • هذا ولو ملك
العبد في مقابلة هذه النعمة • على جلالة قدرها ونباهة
خطرها غير بذل المهجة والقرونة في الطاعة • واستنفاد
الوسع والطاقة • غاية لبلغها تقربا إلى حقوقه بما يقتضيها
ويؤدي شرف العبودية فيها • وحكم على نفسه بالعجز والتقصير
معها • وإذ قد حرم المراد فيما يمسك إلا بالرغبة إلى الله
تعالى في أن يتولى من مكافاته بما لا يسمح به الأيدي • ولا
يفي به إلا يحدي • فهذا هو الكلام الذي ليس به عثار • ولا
عليه غبار • وقد ولي الفضل بجنبيه • وملك العقل بيمنه
وتحبيره • والقليل منه على الكثير دليل • وكلام الجليل
كقدره جليل • قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل
وقد أكثر الشعراء في مدحه لكني أثبت أبياتا للخوارزمي فيه من قصيدة أولها

زف المنام إلى طيف خياله لو أن طيفا كان من أبداله
ولو ان هذا الدهر يشكر لم يدع شكر الأمير وقد غدا من آله
لا ينسف لا لحاح نائله ولا رسول امرئ ينهاه عن إسآله
الوفر عند نواله والنيل عند سؤاله والموت عند صياله
والخلق من سؤاله والجود من عذاله والدهر من عماله
وفعاله كمقاله وشماله كيمينه ويمينه كشماله

تجمع

تجمع الآمال في أمواله بتفرق الأموال في آماله
لا إثم إلا غرة في عزه لا حلم إلا حالة من حاله
سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأنما ألفاظه من ماله
وكأنما عزماته وسيوفه من حدهن خلقن من أفعاله
متبسم في الخطب يحسب أنه من حسنه متلثم بفعاله
هبني وفيت بحمده عن فضله من ذا يفي بالشكر عن إفضاله

وله أيضا من قصيدة أولها

تلك الديار فريسة الأحقاب صنعت بعيني صنع سالبها بي
وإلى الأمير بن الأمير تواهقت رزحى الركاب بوازجي الركاب
لبسوا الدجى لبس الغراب لريشه وغدوا بحاجتهم غدو غراب
والنجم مطرف والظلام كأنه فضلات عتب في خلال عتاب
طلبوا امرا أفعاله محسوبة ونواله فوضى بغير حساب
غدت المدائح وهي أسماء له ولغيره أضحت كالألقاب
والمكرمات كثيرة الخطاب لكنها تأبى على الخطاب
متبسم الحجاب مكتئب العدى يهتز للندى بمجارف الحساب
شيم أرق من الهوى وألذ من خطأ العدو ورده بصواب
وعزائم لو كن يوما أسهما لنفذن في الأيام غير نواب
ثابتة الحركات إلا أنها فارقنه الإقدام والإلهاب
يخطرن بين سياسة ورئاسة ويمسن بين عقوبة وثواب
قد أصبحت ألفاظه صور النهى وقوالب الأسماع والألباب
وإذا حللت له جنابا واحدا حلت المؤمل منك ألف جناب

وما آل ميكال الا كما قاله ابو الطمحان القيني

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ومما يعد من مفاخرهم نجيبان له ابو الفضل وابو ابراهيم عبيد الله
واسمعيل ابنا احمد كل منهما بدر في ضيائه وعلائه • وبحر
في تياره ونمائه • غير ان ابا الفضل ابرع في لطائف الادب
وانظم لقلائد العرب • وقد سار له من النظم والنثر ما يزري
حبر • بوشي صنعا وزهر بروض مشا • فمن فصول كلامه
كتاب الشيخ وصل فاذعنت القلوب لفضله بالاعتراف ○
واختلفت الالسنة في تشبيهه ببدايع الاوصاف • فمن مدع
انه رقية الوصل وابنة النحل • ومتحل انه عقد النحر
وعقد السحر • وسمط الدر وقائل • هو سلاف العنقود •
ونظم العقود • فاما انا فقد تركت التمثيل • وسلكت التحصيل
وقلت متوسما فضل جادت بصوبه الحكم • ووشي طبع حاكه
سن القلم • ونسيم خلق تنفس عنه روض الكرم • واما
وصل كتابك فكان احسن من روض الربيع وربط الوشي
الصنيع • فلقيته بحلية الاحسان والابداع • وحلية النواظر
والاسماع • وهو محسن الخواطر والطباع • وصيقل الافكار
والالباب • وعيار المعارف والاداب • واجتليت منه تيمة

فضل

فضل في تيمة مجد وتميمة عقد ونظيمة خلق وغنيمة من يجلو
صفحة العهد ونجيل قدح الانس ونجل عن قدر الشكر كلام
اعذب من فرات المطر • واعبق من فتات المسك والعنبر
يزري بنور الخمايل • وقد عطر بها انفاس الشمايل • ومن منثور
الفاظه اخلاقه قد اخذت من الورد عرفه • ومن البدر
عبقه اخلاق هي المسك لولا فارته • والورد لولا مرارته
والما لولا اسراعه الى الكدر • والروض لولا حاجته الى
المطر • وجمه البدر لولا محاقه • والمشتري لولا احتراقه
هو عار من العوراء كاس من العلاء • وله الشرف اليفاع والامر
المطاع • والعرض المصون والمال المضاع • وله النوائب
التكب والراي العضب • ومنه الاباء المر والكرم العذب
وهو واحد البشر وثاني المطر • وثالث الشمس والقمر • طوبى
على دهر الحداثة اذ غصن شبابي غض وريق • ونقل ○
شرابي غض وريق النعمة عروس مهرها الشكر • وثوب
صوانه النشر • النعمة عندي تكتسي من لونه اطمارا وتشكي
غربة واسارا • ولي المعود يوسف بن الربيع في خلق
وبحري مع الريح في طلق • دارت رحى الحرب بين اغمار شاح
ودماء تستباح • واجسام نطاح وارواح تسفها الرياح •
فالسيوف للهامات دامغة • والرماح في الاكباد
والغدة • ومن نظمه قوله

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكل اجفاني برعي كواكبه

فيا جزعي مهلاً عساه يعود لي ويا كبدي صبراً على ما كواكبه

وقوله ضاق ذرعي في هوى قمر قمر القلب في ما شعرا
ليت أجفاني به سعدت فترى الجفن الذي فترا

وقوله تفرق قلبي في هواه وعنده فريق وعندي شعبة وفريق
إذا طيبت نفسي أقول له اسقني فإن لم يكن راح لديك فريق

وقوله أنكرت من أدمعي تترى سواكبها سلي جفوني هل أبكي سواكبها

وقوله إن لي في الهوى لساناً كتوماً وفؤاداً يخفي حريق جواه
غير أني أخاف دمعي عليه ستراه يفشي الذي ستراه

وقوله لنا صديق إن رأى مهفهفاً لاطفه
فإن يكن في ديننا ذو ابنة لاط فهو

وقوله لا تصبحن بالجوع ذائقة فكل نفس للمنون ذائقة

وقوله وكل غني يتيه به غني فمرتجع بموت أو زوال
وهب جدي زوى لي الأرض طراً أليس الموت يزوي ما زوى لي

إلى

ومن أعيان رعايا السلطان بناحية

طوس وإن كانت بنيسابور داره وقراره ومعقد ضياعه
وعقاره أبو جعفر بن موسى بن أحمد بن القاسم بن حمزة بن موسى
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضوان الله عليهم أجمعين
نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً
وقد خدم ملوك آل سامان وعاشر وزراءهم وكتابهم والتقط
محاسنهم وآدابهم فألفاظه ينابيع العلوم وأقواله سرابيع

العقول ومجالسه حدائق الجد والهزل وجوامع الكلم الفصل
فلم يبق بنيمة خطاب ولا كريمة صواب ولا غرة حكمة ولا
درة نكتة ولا طرفة حكاية ولا فقرة رواية إلا وهي

ومن

غرضة خاطره وشهرة صاحبه ونصب تذكره ومثال تصور
ولا نصد آصفحة حفظه ولا بد رسن صفحة ذكره ولا يكسف
بدر معارفه ولا ينزف بحر لطائفه ثم هو أحد حراس
من بين الأشراف العلوية في قوة الحال وسعة المجال
واتساع رقعة الضياع وارتفاع قدر الارتفاع واشتداد
باع العز وامتداد شعاع الجاه والقدر وقد كتبت عنه
من نوادر الأخبار والأشعار ما حكيت بعضه في كتابي الموسوم
بلطائف الكتاب وسأورد الآن نكتاً مما قاله وقيل فيه
إبانة عن غرر معاليه فمن شعره قوله
وشادن وجهه بالحسن مخطوط وخده بمداد الخال منقوط
تراه قد جمع الضدين في قرن فالخصر مختصر والردف مبسوط

وقوله

لو كان أدركه لوط النبي لما ينهى لنا أبداً عن مثله لوط
قد بت غزالي فهو ملكي حقيقة يلذ به عيشي إذا أنا بت هم
جمل محياه وكالدعص ردفه لطيف سجاياه وليس له خصم
وقد أكثر الشعراء والأدباء فيه فمن ذلك قول البستي علي بن محمد الكاتب
أنا للسيد الشريف غلام فأنا الحر والزمان غلامي
أنا للسيد الشريف غلام حيث ما كان فليبلغ سلامي
وإذا كنت للشريف غلاماً فأنا الحر والزمان غلامي

ولابي الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان فيه

انا في اعتقادي للتسنن رافضي في ولائك
وان اشتغلت بهولاء فلست اغفل عن اوليائك
يا عقد منتظم النبوة بين مختلف الملائك
يا ابن الفواطم والعواتك والترائك والارائك
انا حائك ان لم اكن عبدا لعبدك وابن حائك

ولبعض اهل العصر فيه

عيد البرية عيد المهرجان اتى اهلا بعيد اتى عيدا يحييه
العيد لالاؤه يبقى الى امد وعيدنا دائم اللالاء باقيه
لا زال سيدنا في ظل دولته وظله دائبا ممن يواليه
محكما في رقاب الارض قدرته يجني له ثمر الاقبال جانيه

وبنيسابور دار افتن اهل العصر في ذكر بنائها ووصف شرفها وسنائها

فمن ذلك قول بديع الزمان فيها

دار تسنمت عراصها على الاباطح والرصافة
بين المروة والنبوة والخلافة والضيافة
فيها المصاحف والمعازف والسوالف والسلافة
لا زلت يا دار الكرام مصونة عن كل آفة

وفيها لابي عبد الله العلكي الغواص

يا دار سعد قد علت شرفاتها بنيت شبيهة قبلة للناس
لورود وفد او لكشف ملمة او بذل مال او ادارة كاس

ومن افاضل العلوية ابو البركات علي بن

الحسين

الحسين بن علي بن جعفر بن محمد وهو الملقب بخور بن الحسين وهو الملقب بالديباج المدفون بجرجان ابن جعفر بن محمد الصادق والباقر ابن علي زين العابدين بن بن الحسين بن علي بن ابي طالب امير المومنين رضي الله عنهم اجمعين

وارى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قوم ليس بابن نجيب
نسب تورث كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب

وقد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر فنثره منثور الرياض جادتها السحائب ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب فمن نثره فصل احب ان يكون مكاتبتي للامير انفا لم تقرع وبكرا لم تفترع وسائبة لا تركب ولا تحلب فلا اشوبها بارب ولا اسبب لها بسبب فعل من لا يستبين ولاه طمع ولا يشوب دعواه عنت ولا طبع على ان الاضطرار يعتبر في وجه الاختيار والعذر فيه مقبول عند ذوي الاخطار والاحرار وفلان يمت الي بحق الجوار ولقد نشر جرايد شكره واظهر بحسن النشر خبايا بره فملا الارض ثناء والسماء دعاء وعادة الامير ان يحيي الامال ويسترق الاحرار فليجعل متكرما هذا الامل محظوظا ولا يجعله محظوطا ان شاء الله وله ايضا رقعتي هذه وانا عائد معود وقاصد بالزيارة مقصود اخاطب اخواني بما اخاطب واكاتب اخواني بما اكاتب [illegible] [illegible] وارضى بعد [illegible] [illegible]

ولا تقارني الشكوى بعين نقصان • ونفسي نفسان كأن الحول شاطرني فصوله • فبلت عزته وجوله • فالربيع بين عيني وخشوعي • والصيف كامن بين صدري وحلقومي • وما عرفت لعلتي هذه سببا إلا أني رأيت نفس الحرية مشتكية فشاركتها في شكواها ووجدت عين الكرم والكمال ساذبة فحملت عنها أذاها وقلت ممثلا لا متمثلا •

ونحو سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد •

ثم ذكرت ما أعد الله تعالى للعباد من ثواب العلة في المعاد فاستصغرت عند ذلك ما استعظمته • وسهل مسلكي وإن استوعرته • وقلت متع الله تلك النسمة من العلة • وأعطى الشيخ بها أمانا من القلة • وأعمى ناظر الزمان ولا طرق إلى فنائه طوارق الحدثان وتمنيت أني واصلت غدوي برواحي في زيارة الشيخ مشاهدا للحال • وإقباله نحو البرء والإبلال • وقد حيل بين الغير والنزوان • وعلى حالتي هذه فإني أستريح إلى خبر سلامته وأحصل لنفسي به منة • وليته ابتدأه الله بإهدائه إلي يدا ومنة • ورأيه في إتحافي موفق إن شاء الله عز وجل • ومن نظمه قوله

وأغيد سحار بألحاظ عينه حكى لي تثنيه من البان أملودا
سلمت بذكراه عن الصبح ليلة أسامره والكأس والناي والعودا
ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها كباسط كفيه ليقطف عنقودا

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي •

لئن

لئن كان ذنبي أني أعللت فذلك ذنب صغير صغير
وإن كان هجري من أجله فذلك ظلم كبير كبير
صدودك عني صدود الحياة وصد سواك يسير يسير
فزرني قليلا تجد شاكرا لديه القليل كثير كثير

وله في وصف اللقانق •

فإن كنت تهوى اليوم أكل اللقانق فبادر إلى أشباه جيد الغرانق
إلى جامع اللذات طيبا وجودة وقضى حقه طاه بصنعة حاذق
تراه على السفود عند صلائه كزنجية زينت بحلي المخانق
فبعض تدلى كالوشاح وبعضه منوط عليه في محل المناطق
فأنجح لقيت الخير في حاجة امرئ وفي بشرط غير ماذق

ومن أفاضل أضرابهم القاضي أبو القاسم علي بن الحسن الداودي بهراة

وهو عندي من يستحق أن يقال فيه ما قاله الصاحب لبعض من كان يواليه لولا أن قدرة الله عندي جنس واحد لقلت ليس في القدرة وجود مثله في كماله وفضله جاوز السبعين وناهز الثمانين واحد الأنام منثورا ومنظوما • وثاني الغمام معقولا ومعلوما • شب للعلم خادما • وشاب على العلى ○ مخدوما • فمن منثور كلامه فصل له من كتاب وصلت ملطفة الشيخ فلطفت لغليل بردته • وصبغ وجهي بصبغ الارتياح وردته • بخبر سلامته التي نسيمها عندي نسيم الجنان والوسيلة إلى السلوان وله فصل كيف لا أعتد

يصنع الله لي في نحلة ودّه وعقيلة عهده وقد قبلني في الله
أخا حين عزّ الإخاء وعُدم من الأوداء الوفاء وكاد لا يصدق
في وجود ما رائد ولا يظفر بما مضل ولا ناشد وأصبحت
المصافاة مخاتلة ومخاترة والمخالصة مكاشرة ومناجرة وقد
كان المتحابون في الله أقل من القليل والإسلام عليه رونق
الشبيبة وهو في بردته القشيبة وله فصل من كتاب
كلامي في مخاطبة الشيخ مماثل لانعكاس شعاع الناظر وردّ الفوا
ما العام الماطر على المذهب الذي يذكره علي بن الجهم في صفة الفوّارة

تردّ على المزن ما أسبلت على الأرض من صوب أمطارها

وله من فصل كان كل مجالس من مجالسه مزورا للأنس
للازديار مشوقا وكان مزورنا مطنبا موقدا مطعما
ومما أنشدت من قلائد شعره وإن كان كالحصى تمثلا قوله

ربما قصّر الصديق المقلّ عن حقوق بمثلها لا يستقلّ
ولئن قلّ نائل فوفاء في وداد وحلية لا تقلّ
أرخ سترا على حقارة برّي هتك ستر الصديق ليس يحلّ
قالوا ترفّق في الأمور فإنه نجح ومرمى الجدّ بالإبساس
ولقد رفقت فما حلبت بطائل ما ينفع الإبساس بالإبساس
والخلق كأطراف الزجاج يهن رفقك بالزجاج
إلى أن يذن لي بدا يشهد كذاك يكون عاقبة العلاج

وقوله في مرثية أبي سليمان الخطابي قدس الله روحه

انظر وكيف تخمد الأنوار انظر وكيف تسقط الأقمار

هكذا

هكذا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار
أحمد الدهر والمروءة والفضل رمته بسهمها الأقدار
مات من لم يكن لدنياه فتك بحجاه ولا عليه اقتدار
هي مغترة إليه خداعا وهو دون اغترارها (أي عقله) فرار

وقد وصف أبو الفتح البستي فضله في أبيات له

أبا القاسم استعبدت ودّي بتالد بلاد بلا منّ لبرّ كطارف
وأضعفت شكري حين ضاعفت أنعما وقد تضعف البنت اللذى
أتاني كتاب منك فيه طرائف تقتبل من أطرافهن اللطائف
صحيفة إحسان نخرّ لحسنها سجودا إذا ما لاحظتها الصحائف
فواصلني منها شباب مساعد وطالعني فيها زمان مساعف
وأصبح فيه عادلا وهو عاسف وعادت رخاء ريحه وهو عاصف

ومن أعيان نجوم الدولة أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد الشيرازي الكاتب

الكاتب ابن الكاتب والنقاب ابن النقاب والبحر ابن السحاب
والبدر ابن الشهاب والنار التي لا يخمدها الماء ذكاء والسيف
الذي لا يألف القراب مضاء والسعد الذي يلي وقد السما
زكاء ونماء فعطارد تلميذ إفادته والمشتري مشتري سعا
وثاقب النجم عند ذهابه وشارق الشمس خادم رايه
ورواية خدم أبوه أبو طاهر حسام الدولة أبا العباس
تاش على ديوان أسراره بارعا في الصناعة صناعا وفي البراعة
مخلوقا لفضل القول مرزوقا بحسن الطول يناضل الصاحب

المتضاعف

دبته

اسمعيل بن عباد فيخرق عليه قرطاس الادب ويساجله فيملؤ
الدلو الى عقد الكرب مصعب لا المصعبي يضاهيه ومؤمل
لا المؤملي يباهيه ولا الفارسي يدانيه ولا البستي بعض
بستي بعض مساعيه يجانس انجم الثريا نثره ويناسب شعرى
المجرة شعره فيما بلغني انه قال
بحسام دولته وصاحب جيشه وحجاب سدته ابي العباس
قد جمعت في هذا البيت خصايص اوصافه وضم الى واسطة
المدح اقاصي اطرافه دالا بنوة الاعجاز ببرهان الاختصا
والايجاز واراد الله سعادة هذا الفاضل فهداه نهج ابيه
وهداه موقف التشبه فنما نمو الاشاء على طيب التربة والماء
ليس نمو القامة والضخامة لكن نمو هلال الظلم وشبوب
النار فوق العلم وصفا صفاء الخمر من شوبها على القدم واختص
بخدمة الامير الجليل ابي سعيد التونتاش خوارزمشاه
اذ هو تاج الحجاب وناظر عين الباب فاعداه يمنه حتى لبس
الملك فضفاضا وعفى عن السواد وان كان عليه بياضا
وانتقل بانتقاله عن سمة الكتابة الى رتبة الوزارة وعن
حضيض الخدمة الى يفاع الشركة في الامارة فلم يشركه
من ابنا جنسه في البلاغة اثنان وسار حتى اعياه من بني عبد
المدان مدان فمما وقع الي من نسج قلمه وحر كلمه من كتاب خاطب
به بعض اخوانه لعلك الدهقان يطبيني او يريم مساعدة
الزمان مباعدة الاخوان وارضى من صدر الوزارة بقلب كالحجارة

فلم

فلم ير لنيل المراتب حلاوة للعقود وقطاعا للاواصر والعهود
وكلا اني ما ازددت ارتفاعا الا ازددت للصديق اتضاعا
ولا نلت على الايام رتبة الا ازددت الى الاخوان قربة
غير من يصلفه الزمان ويبدله السلطان ويذم عهده
الاخوان على اني مهما نسيت عهدا او تناسيت وقلعت آجية
الوفا دون من احببت فلست انسى عهده ولا ارضى قطيعته
وهجره اني وقد قيدني باياديه الزهر واسترقني بمعاليه الغر
فما اعرف له بدلا ولا املك عنه تحويلا اعاذني الله ما بقيت
من صدوده ولا سلبني طيب الامن بمنه وجوده وهذا
القدر على مبلغ القدرة دال وللمتميز البارع مبني قصد الانصاف
في المدح والتقريظ مجال فهولاء اعيان رعايا السلطان
في الفضل الواسع والادب الجامع وورآهم من اعلام البراعة
واحداث الصناعة من يرجف ذكرهم عن الغرض المقصود
بهذا الكتاب ونعود الى ذكر السلطان يمين الدولة وامين
الملة ووقايعه التي رضيتها حدود الظبات وان كرهتها
نفوس العداة ونبني كل وقعة الى وقتها ويومها ونلحق شرح
حالها بعقبها الى ان نوفي الكلام حقه من الاشباع في الحروب
التي جرت بين السلطان وبين ايلك الخان

ذكر غزوة بهاطية

لما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من امر سجستان
فسكن له نابضها وانجاب عنه عارضها ارتاح لغزوة بهاطية

نحو الجحافل مسوّمين بشعار الهداة الثقاة • ورايات الحماة الكماة •
حتى عبر سيحون من وراء المولتان إلى مدينة بهاطية فألفاها ذات
سور يرتد عن مرامه أجنحة النسور • وقد أحاط خندق كالبحر
المحيط • في الغور البعيد والعرض البسيط • وهي مشحونة بما يلي الوهم
من عدد وعديد ومعمول من حديد • وكل فيل كشيطان مريد •
وعظيمهم يومئذ المعروف ببجيرا فاستخفته العزة بما حوته يده
للبروز من وراء السور مدلّا • بأعداد رجاله وأشخاص أفياله
ومستطاولا بأبواع الاقتدار في قتاله • وحضأ السلطان عليه
نار الحرب ثلثة أيام بلياليها يرميه بالصواعق من ظبى السيوف
البوارق • ويقذفه بالشهب اللوامع • من شبا الرماح النوادع •
وواصلها عليهم صبيحة الرابع • بضرب يطير الحواجب عن العيون
ويزيل القبائل عن الشؤون وشق يدع الأجساد مناخل بل مناخر
وقد انفجرت عروقها • واعتس على العسكر شؤونها • حتى إذا توجت
الشمس قمة النهار • أهاب بالشد على الكفار الفجار • فتجاوبت
نغم التكبير استنزالا لنصر الله • وتنجزا لصادق وعد الله • وحمل
أولياء الله على ذوي الإفك والشرك حملة كشفت صفوفهم •
وأرغمت بالذل أنوفهم • وأقبل السلطان كالفحل الفنيق يضرب
باليدين • ويقد الدراع بضعفين • ويسقي ظماء الكفر من كؤوس
الحين وملك عليهم في تلك الشدة الواجفة عدة من الفيلة
التي كان يعتدها الكافر حصونا للقلبة وبعدها سكونا للقلبة •
وتماوج الفريقان في عيان تلك الحملة بين ضرب يثير أدمغة

الهام

الهام • وطعن يبري حشاشة الأجسام • وأعلى الله تعالى راية
السلطان بل راية الدين والإيمان واهتزت ريح النصر رخاء •
وأعاد شدة العيش رخاء • فولى المشركون نحو المدينة اعتصاما
بسورها • وانحصارا في دورها • وأعجلهم الطلب عن الاحتياط
وملك عليهم مداخل الحصار وتعاون أفناء العسكر على سد خنا
وهدم وثائقه • وتظافروا على تفسيح مضايقه وتفتيح مغالقه
وقد كان بجيرا حين علت مراجل الحرب فاندس في عصابة من
رجاله رجاله للاعتصام ببعض الغياض والاستناد إلى شعف بعض
تلك الجبال فسرب السلطان كوكبة من خواصه في طلبهم فأحاطوا
به إحاطة الأزرار بالأعناق وحكموا فيه حدود البواتر الرقاق
فلما رأى بجيرا ما دهاه عمد إلى خنجر في خصره فهتك حجاب صدره
وانتقل إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة جزاء لمن كفر
وتولى وجحد الأولى فلا صام ولا صلى ولا سبح ربه الأعلى نعم
وأقبل عسكر السلطان فقتلوا المقاتلة • وغنموا الأموال
الحاصلة • وحصل للسلطان مائة وعشرون رأسا من الفيلة
بما يضاهيها من ذخائر الأموال والأسلحة ملكا عز على غيره مناله
وملكا تطفل على حليته جلاله • وأقام بهاطية إلى أن طهرها
من أنجاس أولئك الأوجاس وأدناس أولئك الأنكاس • ونصب
من يعلمهم حلية الدين سنن الإسلام • ويبين لهم طرق الحلال
والحرام • ثم كر إلى غزنة موفور العلا منصور اللواء • عالي
الرأي سائر الجد على خط الاستواء • إلا أنه وافق منصرفه هوائي

امطار وهوادى انهار ونوازع جبال وفوارع اصدار واقبال
فاستغرق الغرق جل اثقاله • وشمل الغرق جملة من رجاله
ووقاه الله آفة تلك المسافة ومهالك تلك المسالك وهو يتولى
الصالحين وقد كان ابو الفتح علي بن محمد البستي يذكر حركات
السلطان بنفسه في تلك المقاصد براى يستميله من عطارد ۝
وحقا لقد كان يقول ما تشهد به العقول ولكن اذا جاء صوارم
والسيف الحسام • والبطش والاقدام • فقد سقط الكلام وبطلت
الصحايف والاقلام • وانشد ابو الفتح البستي لنفسه في هذا الباب

الا ابلغ السلطان عني نصيحة يشبهها ود ورأى محنك
تجاوزت اوج الشمس عزا ورفعة وذلك قسرا كل من قد تملكوا
فما حركات متعبات تديمها ألا ان اوج الشمس لا يتحرك

وهذه مسئلة يتنازعها الاوائل فمنهم من يجعل لاوج الشمس حركة
كسائر حركات الاوجات فاما المحققون فقد انكروا ببراهين
هندسية واشكال برهانية •

قد كان بلغ السلطان يمين الدولة وامين الملة حال والى
المولتان ابي الفتوح في خبث نحلته ودخل دخلته ورجس اعتقاده
وقبح الحاده • ودعائه الى مثل رايه اهل بلاده • فانف للدين
من مقارته على فظاعة شره وشناعة امره واستخار الله الخاير
في نصبه لاستتابته وتقديم حكم الله في الايقاع به وامر بضم
الاطراف وكف الذيول وجمع الخيول الى الخيول وضوى اليه
من مطوعة المسلمين من ختم الله لهم بصالح العمل واكرمهم باحدى

الحسنيين

الحسنيين في الازل وثار بهم نحو المولتان عند موج الربيع بسيوف
وسح الانهار بفضول الانداء وامتناع سيحون واخواتها على ركابها
واستصعاب متونها على اصحابها فطلب السلطان الى اندبال
عظيم الهند ان يطرق له في مملكته الى مقصده فتمنع وتمرد ۝
واخذته العزة باللوم فابى وتشدد وراى السلطان عزم
الراى في ذمته ذلك بحطب ان يبدأ به على غرة جانبه فيذلك
صليفه ويبيح عزيفه • ويمزق لفه ولفيفه جامعا بين غزو
وقاطفا جنى الحسنيين فبسط عليه ايدى القتل والايثاق ۝
والنهب والارهاق والهدم والاحراق يتجه من مضيق الى
مضيق • وينفيه من طريق الى طريق • طاويا عليه بلاده بطي
التجار بحضرموت برودا الى ان ضجرت القنا من هتك حلوق
الدروع • وسكرت الظبى من رشف علق الاحشاء والضلوع •
وركب اثره في اغوار دياره واعماق رباعه يتجسس دماث
السهول وقضض الاماعز ويفرى عليه وحوش الجو بين
ضيق المداخل ورحب المخارج حتى اضمرته نواحي قشمير ولما
سمع ابو الفتح والى المولتان بما جرى من امر عظيم الهند وهو
الوجه الرفيع • والسد المنيع • والسيف الصنيع قاس باعه بشبره
وذراعه بفتره وايقن ان زعزع الجبال الانظار بهضبات
الغور وزلزلة البراه لا تنال بعثاث الطيور • فعجل نقل
امواله على ظهور فيلة الى سرنديب واخلى المولتان للسلطان
يفعل فيها ما يشا فثنى العنان اليها مستعينا بالله تعالى على من

أحدث في دينه او حدث سوهنه فاذا اهلها في ضلالهم يخطبون وفي طغيانهم يعمهون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فضرب عليهم بجران المحاصرة وكلكل المناجزة حزا للغلاصم وبتكا للايدي من المعاصم وارصاد الهم بالفاقرات القواصم حتى افتتحها عنوة وفتحها عقابا وسطوة والزمهم عشرين الف الف درهم يرحضون بها درن استضعابهم ويذودون عن انفسهم همجمة استشرابهم وآبايهم وعبر ذكره بما اتاه من نصرة الدين واثارة معالم اليقين عرض البحر الى ديارات المضو حتى درست بها مقاماته التي لم ير مثلها عن ذي القرنين الى حيث انتهى من ايام السدين وارتعدت فرائص السند واخوانها حذار بطشه وانتقامه وخفقت بها الالحاد وطمست صوى الغي والعناد فلله در ابي تمام حيث يقول

كرمت غزوتاك بالامس والخيل دقاق والخطب عرد فنيق
حين لا جلدة السماء بخضراء ولا وجه شتوة بطليق
ان ايامك الحسان من الروم وبحرا الصبوح حمر الغبوق
معلمات كانها بالدم المهراق ايام النحر والتشريق

ذكر عبور عسكر الملك الخان

قد كانت الحال في الالفة قائمة بين السلطان وبين ايلك الخان الى ان دبت عقارب الفساد في ذات البين واضطرب الحبل الساكن واشتعل الجمر الخامد وراعى ايلك فرصة المجاهرة

بستر المكاشرة حتى اذا اصعد السلطان صعد مولتان وغادرت نحو تلك البلاد راياته وخلت عن اعيان رجاله ولايته سرب سباشي تكين صاحب جيشه واحد قراباته الى كورة خراسان في معظم اجناده وشحن بلخ بجعفرتكين وعدة من قواده وكان والي طوس ارسلان الجاذب مقيما بهراة مامورا بالالتجاء الى غزنة متى نجم ناجم عناد او نعق ناعق بفساد فاسرع الانقلاب اليها اخذا بوثيقة الحزم في ترك القتال وتربصا بالحمل غاية الفصال وورد سباشي هراة فاستوطنها ونصب الحسين بن نصر للديوان بنيسابور فرتب العمال وواصل الاستخراج ومال به كثير من اعيان خراسان لاستفحال خبر السلطان من جانب مولتان وتشاغل الالسنة باهوال القلوب ونوازع النفوس من اخبار زوره واراجيف غروره وامر الوزير ابو العباس الفضل بن احمد بالاحتياط على الطرق بين غزنة وحدود الباميان وبحمايتها وسد بها بحماة الرجال على حصانة مداخلها وصعوبة مراكبها وطيرت النذر الى السلطان بما انبث في اطراف البلاد من حيات العداة وعقارب الغواة فاعجلته بديهة البلاغ عن استتمامه وازعجته غلبة الحمية عن مقامه فركب ركوب العاصف وكاف الحمام الفارغ يطوي الارض طي المهارق بين ايضاع وايجاف واهتداء واعتساف بين سهول وضراب وسهوب وشعاب حتى القى عصا القرار بغزنة واقام العطايا لابناء دولته وانشاء حملته وملأ ايديهم بالعطايا

والرغائب وأراح عللهم في المطايا والركائب • واستنفر الأتراك
الخلجية أخلاس الظهور • وأبناء الصوارم الذكور • ففروا منهم
جن على جن وإن كانوا بشر • كأنما خيطوا عليها بالإبر •
وجاش بهم نحو بلخ ونها جعفر تكين فأسرع الكر إلى الترمذ إشفاقا
من صدمة الضيغم الخادر • وأحجر إشفاقا من وثبة الأرقم الثائر •
واستقر السلطان ببلخ موفور الأنس والجذل • كما تجلى صفحة
الشمس من برج الحمل • وأمر بأتباع ساشي تكين بأرسلان
الجاذب في زهاء عشرة آلاف من أبناء الكفاح • ونخبة الأرواح
بأشطان الرماح • وسارع ساشي تكين نحو الوادي للعبور فلم
يرعه إلا العاديات ضوابح • والموريات قوادح • فكر على
أدراجه حائرا عائرا وعطف إلى مرو على أن ينسرح منها إلى
الشط على سمت المفازة فإذا الآبار مردومة • والمناهل
مكلومة مطمومة • ووديقة الصيف مسجورة • وأذيال
السوافي على المعالم مجرورة • فانثنى إلى سرخس وبها المحسن
بن طاق رئيس الأتراك الغزية فأحدق به إحداقا وسد
عليه باب الهرب وضيق دونه وجه المجال والمضطرب ○
فمانعه ما قدر ثم ظفر به ساشي تكين فقدمه بصفين بعد أن
قتل منهم مقتلة عظيمة من الجانبين وأعجله إرداف أرسلان
الجاذب إياه عن فصل المقام وروح الاستجمام فارتحل إلى أبيورد
ومنها إلى نسا وبينهما مرحلة واحدة كلما صدر هذا ورد ذاك وحتى
ظعن ذاك أناخ هذا ابتغا مسار أهدادا الطلب والهرب حماما

ولا

ولا برد دون الما إلا لماما • وقد كان ساشي تكين قد حصل
صدرا من المال والأسلحة من نواحي هراة وغيرها فصارت
عقلة له دون الخفوف في وجه النجوة فهو بينا من سرق
وبينا أسير أخرى منكوسا على رأسه خوف العار من إسلام ما يود
به يده وأعياه الخلاص بحشاشة النفس أخيرا الإبا فوارع عن
جملته وتفريغ الخاطر عن الشغل به ولما قرب أرسلان الجاذب
من نسا رحل عنها متوجها نحو سبنبار وأزعجه الطلب نحو جرجان
فركب قلل تلك الجبال بين الآجام الملتفة والغياض المحتفة
والمحارق الضيقة والمخارم المضطربة • وتسلط الكركلة
على أثقاله وأفنار حاله حتى فشت نكايتهم فيه واستأمن إلى
شمس المعالي قابوس بن وشمكير طائفة من أهل جملته لعدم ○
المراكب وذهاب الركائب • وانفل هو على سمت دهستان
حتى عاد إلى نسا وجمع ما بقي عليه من تلك الأثقال فأصدرها
إلى خوارزمشاه أبي الحسن علي بن مأمون يستودعه إياه أما نة
لا بلك لكان وحذر أن يمد إليها بغير الصيانة يد أصحابها
رجالة عسكره والنجوة منهم عن صحبته واقتحم المفازة متوجها
نحو مرو وكان السلطان قد انحدر إلى طوس مراعيا لما يسفر
عنه ركض أرسلان الجاذب على إثره وإلصاقه الطلب الحثيث
به فلما بلغه ركوب ساشي تكين عرض المفازة استوى على
طريق مرو معارضا له في مسيره • وناهضا عليه قوى تدبيره
فوصل إليه تخلصه عن وعثاء تلك البيداء ورماه بأبي عبد الله

محمد بن ابراهيم الطائي زعيم العرب وبسائر قواده ورجال
يرون الملاحم ولايم والوقايع نقايع وسيوف الضراب
عرايس • وصفوف الكماة فرايس • فكان كما قال له سعيد بن حسان

• فررت من معن وافلاسه الى اليزيدي ابي وايد
• فكنت كالساعي الى مثعب موائلا من سبل الراعد •

واحاطت به السيوف حيث لا ماء الا منابع الافواه وهي
عاصبة • ولا مرعى الا شكايم اللجم وهي عاصبة • واسر اخو
سباشي تكين في زهاء سبعماية من وجوه الافراد ورتوت
القواد • وامر السلطان بقراجولياتهم فافرغت قيودا
لكعابهم • وجوامع لرقابهم • وحملهم الى غزنة ليرى اهلها حسن
صنع الله فيمن شاقه • ونقض عهده وميثاقه • ونجا سباشي
تكين في خف من العدد بجريعة الذقن فعبر جيحون الى
ايلك وقد كان ايلك عبر جعفر تكين في زهاء ستة الاف رجل
الى بلخ ثانيا لاستفساد عزيمة السلطان في قصد سباشي
تكين واخراجه فتهاونوا بهم حتى فرغ الخاطر من امره • ووضع
ما انقضه من الشغل به عن ظهره • ثم ثنى العنان اليهم شدا
اغص الهوا بغبارهم • واستغرق اوقات ليله ونهاره • فلم
يرعهم الا راياته باجنحة النجاح طايرة • وخيوله في صهيل
المراح سايرة • وكمن لهم السلطان فلما راوا الكمين انفلوا
منهزمين يحمون دعوة الخلاص بامين امين وتبعهم صاحب
الجيش ابو المظفر نصر بن ناصر الدين على ساحل جيحون كاسعا

لادبارهم • ومثخنا في عمارهم الى ان عبروا فسلمت خراسان من
غيث سوادهم • وخلت من ميثوث جرادهم فاضطرب ايلك
حنقا لما جرى على عسكره من الضغطة الكبيرة • والصدمة
المبيرة • فاستعان بقدر خان بن بغراخان للقرابة بينهما
وكيده ولحمة وشجه • واستجره بجميع مسلته الى ثاره مستنصرا
بنصرته واظهاره • فاستجاش احيا الترك من مظانها وحشر
بني خاقان من اقصى بلادها • واستفرغها قبيل ما ورا النهر في
جيوش تجل عن الجد والحصر وسار في خمسين الفا او يزيدون
حتى عبر جيحون مدلا بعسكره اللاجب • وبطشه الهايج ومعه
بقدر خان ملك الختن ذي العدة والعديد والباس الشديد
والايد المتين • والبسطة والتمكين • في رجال كالبحاني والفوالج
فوق البحور المواج • عراض الوجوه خزر العيون فطس
الانوف • خفاف الشعور حداد السيوف سود الثياب
من حلق الدروع يحملون جعابا كخراطيم الفيول • بحشوة بنبال
كانياب الغول • ولما سمع السلطان بعبورهم في جمهورهم وهو
اذذاك بطخيرستان سبقه الى بلخ فاستوطنها فاطعمها
طمعه • وما لكا عليها ممادره ومنجحه • واستعد للحرب فخرج
السلطان في عساكر الترك والهند والخلج والافغانية
والغزنونية وانشا الجد والصدق • وابلى الشوق والرشق
الى معسكر له على اربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان
وسيع المجال على الرجال رحب الفضا على الدهما وزحف

ايلك الى محاذاته في عدده الدهم وعسكره المجر فتطاردا الفرسان
وتجالد الشجعان سحابة يومهم على رسم الطلائع امام الوقائع
الى ان كفهم حاجز الليل واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى
السلطان رجاله صفوفا كالجبال الراسيات والبحار الزاخرات
ورتب في القلب اخاه صاحب الجيش نصرا ووالي الجوزجان ابا
نصر احمد بن محمد الفريغوني وابا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي ي
في كماة الاكراد والعرب وساير جماهير الهنود ومشاهير الجنود
ورتب في الميمنة حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فيمن رسمه
من اعيان الرجال • وفرسان الزحف والصيال • وندب للميسرة
ارسلان الجاذب فيمن تحت قيادته من نجوم الابطال ورجوم
القتال وحصن الصفوف بزهاء خمس مائة من فيلته التي تهد
الجبال من اثقالها • وتوتح لها الارض من زلزالها • واقبل ايلك
فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولي قدرخان ميمنته
في اتراك الختن • بين آجام العوامل والجنن • وشحن جعفرتكين
ميسرته بكل اليس كالشجاع المحرج والحسام المرهف • بين هج
وقابات الزغف والحجف • وتحامل بعضهم على بعض فجلجلت المعركة
بسماعاتها القسطل وبرقت بارق البيض والاسل ورعودها
صليل السلاح • ورشاشها صبيب الجراح • فاستنزل ايلك عن
صهوات الخيول الى صعيد الارض زهاء الف غلام يتلقون
السهام انتصافا • وينصبون وسائط الاهداف اهدافا • فشكوا
بالنبال تجاويف الفيول • وشقوا بالنصال سرابيل الخيول • ولما

جد

جد الامر واحتد الجمر واعضل الداء واستفحل الاعداء • وزخر
وادي الخطب بمد • وكاد يخرج بادي الشر عن حد • نزل
السلطان الى صعيد ربوة كان يشرفها لتدبر عطفات الحرب
وتلافي ثغرات ذلك المركب الصعب • فوضع لله خده وعفر
شعره • وارسل دمعه وقدم نذره • ودعا الله ان يحرس ملكه
ويحسن فلجه ونصره • ثم وثب الى قعدته من فيلته المقاتلة فـ
حمل بها وساير خاصته على قلب ايلك فاهوى الفيل الى صاحب
رايته • فاختطفه بها من سرجه • وذرى به في الهواء من فوقه
وتخلل الآخرين حطما بخرطومه وشكا بانيابه ودوسا باظلافه
واثال اولياء السلطان على الآخرين بسيوف تلغ في الدماء
وترشف احشاء الاحشاء • وطارت قلوبهم هواء • واستحالت
قوائمهم هباء • وولوا على اعقابهم نافرين وسهم الطلب نطا
الفسر والقهر الى ان لفظتهم خراسان الى ما وراء النهر ولقد
ح احسن ابو الحسن السلامي في قوله وكانما وصف حاله وعدد
آثاره وافعاله ••

يا سيف دين الله ما ارضى العدى لو ان سيفك مثل عدلك يعدل
ما ان سننت لهم سنانا في الوغا الا اطل عليه منهم اشطل
فالروض من زهر النجوم مضرج والماء من بين الترايب اشكل
والنقع ثوب بالنسور مطرز والارض فرش بالجياد مخمل
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي بين القوادس اجدل ويحجل
وسطور خيلك انما الفاتها سمر تنقط بالدما وتشكل

ومنها

واستدح عند ذلك السلطان يمين الدولة وامين الملة ابو
القسم الحسن بن عبد الله المستوفي بقصيدة اولها
طود الحق ثابت الاركان صاعد النجم عالي البنيان
وهوى للردى ذو النكث والبغي واهل الضلال والطغيان
ما الذي غركم بمحمود المحمود اخناه بكل مكان
بابي القاسم المعظم ظل الله في الارض صفوة المنان
من يناويه نهزة للمنايا عرض للحتوف والاحزان
ملك صار من ملوك الارض لفظا وجاء بين المعاني
فخر المشرقات بالخطبة واستطالا فاشتاقه المرزبان
جمع الله فيه وهو فريد عالما للكمال في جثمان
ملك وهو في الصنيعة عندي ملك صيغ صيغة الانسان
ملك عادل فادني ضعيف واخوه في حكمه سيان
احد الهند باليماني ونجوى مما ان اراد بالهندواني
سيفه والمنون طرفا رهان نحو حلق العدو يبتدران
خذ يميني بان سيصبح حقا لليميني كل سيف يماني
لو عصا خوارزم نسيم اليمينية ظلت بحمك في سندان
غاب عن غابة الهزبر لغوث والهند مستنزلا رضى الرحمان
فسبى واستباح واجتاح منهم واحل النكال بالاوثان
وانثنى قافلا وقد ملا الايدي فيا وفاز بالرضوان
انما سيفه شبيه عصا موسى بن عمران صاحب الثعبان
وقراحو لنا بكم كيد سحر فاذا جاءت العصا هو فان

فسطا

١١٨

فسطا باسه بطاغية الترك واهل الشقاق والعصيان
طلعت راية لهم فتولوا كعباديد ثلة من ضان
كم قتيل وكم جريح وغرقى واسير في القد ذي رسفان
خطبوا الملك فاعترتهم خطوب جرعتهم مرارة الخطبان
طار ايدي سبا عساكر ظنوا انهم ملكوا اعلى البلدان
فنجوا ارذما في الحتوف الوف والوف تهيم في جرجان
وبمرو في القفار الى جيحون قتلى مآكل الحيتان
جزر للسباع في كل فج طعم للنسور والعقبان
بارك الله ربنا في خميس ردها عنا خمسين الف عنان
وكتب ابو الفضل الهمذاني البديع الى الشيخ الوزير ابي العباس هذا
ورب الكعبة اخر ما في الجعبة لقد انصف من راى القارع
وجي السيف ما قال ابن دراج ثم لا ترفع بعدها للترك ولا
تحلم بعدها بالملك لقد كان السلطان اذ عفر لله شعره
وعوض على الله فقره وفوض الى الله امره واخلص لله نذره
وناهض بالله خصمه وسال الله حوله ولم يعجبه كثرة المال
حوله شد الله بذلك ازره وقوى امره واعز نصره
واقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه ان الظفر
باسبابه والموفق ياتي الامر من بابه وله فصل منه
ان الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان كتب الله ليغلبن
السلطان وراك ان السيف امامك وخلفك ان الموت
قداماك وارضك ارضك ان تاتنم بومة ليس فيها حكم

اي اكرم

ابن المغازي صارت تحاذي الأرب ركض نادم • ورب شوط
ظالم • ورب عبور الى ثغور ورب طمح يهدي الى طمع الا أن
هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماها وعلى السنة ذماها
وعلى النفوس دماها • وعلى الأموال نماها • وعلى الحرم غطاها
اعاد به الله البلاد خلقا جديدا وانشا الناس نشأ حديثا
وعقد الملك عقدا طريفا فما اولى يومه ان تتخذ عيدا
وتجعل في المنصرفات تاريخا وليس العقد مع الله بانشوطة
او باطراف ليطة • فاوفوا الله عهده كما صدقكم وعده وانما
عهده عند السلطان ان يحسن النظر • وعهده عند الشيخ
الجليل ان يحسن المحضر • وهواة من البلاد شعبة هذه الدولة
وعيبتها وان حط عن جلها العلاوة • وازيل عن عبر نمها الاباوة •
فلله هذا النظر ما اعلى ثماره واكرم آثاره فلما وضعت هذه
الحرب اوزارها • وافاضت غرة النصر انوارها • سنح للسلطان
ان يلبح اعنته الى جانب الهند للايقاع بالمعروف بنواسه شاه
احد اولاد ملوك الهند كان نصبه ببعض ما افتتحه من الكهم
خلافته على سد ثغورها وتحصين اطرافها وحدودها •
اذ كان قد استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافرة الشرك وانسلخ
عن جلدة الاسلام وراطن زعماء الكفار على خلع ربقة الدين
والانفصام عن عروة الحبل المتين فحق له ان يركض من فوره
اليه • ونصب شره فانقطر من دم ما كان لعبه عليه • ركضا
بادر افواج الرياح • واختصر اوقات الاظلام والاصباح •

حتى

حتى نفاه عن مثواه • وملك عليه جملة ما حواه • واعاد الى تلك
البقاع بهجة ملكه وسلطانه • وحصد نجوم الشرك عنها
بحدي سيفه وسنانه • فذلك برهانان من الله في اعلاء
دولته واشاعة دعوته • واعزاز نصرته وافلاج حجته •
ويسر الله الانقلاب الى غزنة مظاهرا له بين نصر بن نجا — دبان
فخامة وجلالة • ويتباريان نباهة وجزالة • وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

قلعة بهيم نغر

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة بعد ان فتح الفتحين
وامتدح النجحين عرج على غزنة للاستراحة والتفرغ لشكر الله
تعالى على النعم المتاحة واقام بها شاحذا عزيمته لغزوة اخرى
يرتفع بها حدود الاسلام • وينخفض لها حدود الاصنام •
وينكس عندها راية الشيطان في رجل الغواية شدة وحبل
للضلالة مدة • اذ كان يعد بهمته سومه خلاف الطباع
البشرية في استحسان المضجع الوثير • واستحباب السوك على
الوتير • واختيار قرع الاسنة والعوالي على نقر المثالث والمثاني — بي
وترجيح حدود البيض القواضب على خدود البيض الكواعب
كل ذلك لمجد يبنيه وصيت يقتنيه وعز يحويه • وسعي يتقرب
الى الله به قربة • حتى اذا انسلخ شهر ربيع الاخر من السنة
المذكورة استخار الله في اتمام ما رامه • واسراج ما تولى من
الجامه • وسار متوكلا على الله طالبا ما اطمعه نصره وعوده فيه

صفحة حتى إذا انتهى السير به إلى شط ويهند لاقاه ابرهمن
بال بن أندبال في جيوش تجيش بسود الرجال وبيض
الصفاح وزرق الرماح وزهر الدروع وزكن الفيول فافترت
الحرب عن أنيابها العصل وتوالت الحملات كما تتهادى لوامع
الشهب وسوابق قوارع السحب ودارت رحى الطعان ○
والضراب طاحنة كل ندب شجاع وقرم مطاع واستدت
الوقعة من طفولة النهار إلى كهولة الطفل حتى اكتسب الأرض
لون الشقائق من دماء الطلى والعواتق وكادت تدور للكفار
دائرة لولا أن الله تعالى أعان السلطان على حملة في خواص
غلمانه كسحت أدبارهم وبحثت عن ساقهم آثارهم وأغنمه ثلاثة
فيلا كأشخاص القصور بل كأمواج البحور وأقبل أولياؤه
يحسونهم إلى يتقفونهم من بطون الأودية والشعاب وظهور
القيعان والهضاب واقتفى السلطان بنفسه أثره بين تلك
المهارب منتجزا وعد الله في نصرة دينه وتل كل ذي نفاق
وشقاق لجبينه فأفضى به الطلب إلى بهيم نغر أحصن قلعة
بنيت على حرف طود رفيع خلال ماء منيع وقد كان ملوك
الهند وأعيان أهلها يدخرونها مخزنة للصنم الأعظم فينقلون
إليها قرنا بعد قرن من أنواع الذخائر وأعلاق الجواهر
ما تخف أوزانه ويثقل عند السوم قيمته وأثمانه عبادة
بزعمهم بما يفيدهم الحسنى ويقربهم إلى الله زلفى فصادف
السلطان منها ثمرة الغراب وزبدة الأحقاب ما لا تقله

ظهور الجمال

ظهور الجمال ولا تسعه أوعية الأحمال ولا تنسخه أيدي
الكتاب ولا يدركه فكر الحساب فحشر عليها جنوده وضرب
حواليها بنوده وانبرى لقتالها مستحفظها بقلب جريء وأنف
حمي وعزم ذكي وبطش قوي ورأي بالصواب وري
ولما رأى القوم غصص تلك الجبال تغاور بالجنود وتطاير
النبال صعدا الشرر الوقود استفزهم الرعب والوجل
والتوى بأحلامهم الخوف والوهل فتحلبت أبصارهم بتلك
الزنوق فتوقا وهاتك السدود فروجا والشكور شوقا
وسحر بهم دولة السلطان فهرتهم كلاب الإدبار والخذلان
وأعنتهم وجوه الأمن الأمن جانب الاستيمان فنادوا جميعا
بشعار السلطان وفتحوا باب القلعة وجعلوا يتساقطون
إلى أرض الأمان كالعصافير أخرجتها البوارق والغيوث تجاد
بها الغيوم البوارق وفتح الله تلك القلعة على السلطان
فتحا يسيرا وأتاه من لدنه صنعا كبيرا وأغنمه ملء شعوج
الغوس من بنات المعادن والبحور وزاهيات القيم
والنحور ودخلها في والي الجوزجان أبي نصر أحمد بن محمد
الفريغوني وسائر حاشيته وكل حاجبه الكبير بن التونتاش ش
وآسيغ تكين بخزائن العين والورق وسائر ذوات الأخطار
والقيم وتوكل بنفسه بخزانة الجوهر فنقل منها ما أقلته ظهور
رجاله وكان مبلغ المنقول من الورق سبعون ألف ألف
شاهية ومن الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف ألف

وأربعمائة ألف وأربعمائة من وزناً من أصناف الثياب التسترية والديابيج السوسنية ما أنطق مشايخ الزمان والطاعنين في الأسنان أنه لا عهد لهم بأمثالها صبغة وتفويفاً وتوزيناً وتلطيفاً • وفي جملة الموجود بيت من الفضة البيضاء • كهيئة بيوت الأغنياء طوله ثلاثون ذراعاً في ذرع خمسة عشر ذراعاً صفائح مضروبة مهيأة للطي والنشر والنصب والحط وشراع من ديباج الروم أربعون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بقائمتين من ذهب وأخريين من سبيكة فضة • ووكل السلطان من تلك القلعة من ثقاته من يراعيها • ويتوكل أمانة الاستحفاظ فيها • وكر عائداً إلى غزنة في ضمان النصر والإظهار • وقران اليسر واليسار • ولما استقرت عصاه جانب القرار بها أمر بساحة داره ففرشت تلك الجواهر من درر كالنجوم الثواقب قد سلمت أيدي الثواقب • ومن يواقيت كالجمر قبل الخمود • والجمر بعد الجمود • ومن زبرجد كأطراف الآس نضارة وورق الأخوان غضارة • ومن قطاع الماس كمثاقيل الرمان في المقادير والأوزان واجتمعت وفود الأطراف على إدراك ما لم يروا في كتب الأولين اجتماع مثله لأحد من صناديد القروم • وملوك العجم والروم • وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك أخي إيلك فرأوا ما لم تر العيون • ولم تبلغه الظنون • ولم يملكه قارون صنع الله

الذي

الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون

ذكر الفريغون

قد كانت ولاية الجوزجان لآل فريغون أيام آل سامان يتوارثها كابر عن كابر • ويوصي بها أول إلى آخر • أشراف النفوس والهمم • كرام الأخلاق والشيم • وطئاء الأكناف لنزاع الأطراف • خصاب الرحال لوفود الآمال دأبهم إجلال قدر الآداب • ورفع درجات الكتاب • وافتراض حقوق الأحرار • وإغلاء أسعار الأشعار • فكم من غريب آواه إحسانهم • ومن أديب أغناه سلطانهم • ومن كسير جبره إحسانهم • ومن حسير أنهضه عطفهم وألطافهم • وكان أبو الحارث أحمد بن محمد غرة تلك الدولة وإنسان تلك المقلة • وجمال تلك الجملة • وطراز تلك الحلة • ما بين كرم خصيب وكنف رحيب وشرف رغيب ومرتقى همة بعيد ومستقى نائل قريب • وقد كان الأمير سبكتكين خطب إليه كريمته على السلطان يمين الدولة وأمين الملة ثم أوجب لولده أبي نصر أحمد بن محمد كريمة له فاستحكمت اللحمة • واشتبكت العصمة • وأكدت الوثائق • واستحكمت الأواصر والعلائق • ولما مضى أبو الحرث لسبيله ورثه أبو نصر ابنه فأوجب السلطان إقراره على ولايته • إيثاراً له بفضل رعايته وعنايته • إلى أن قضى نحبه في شهور سنة إحدى وأربعمائة وأقر أبا الفضل أحمد بن الحسين الهمذ

في

اثنتي

المعروف بالمديح كاباله اليه جعله مقدمة الوفود عليه
فناله من رغاب الايادي ما ملا يديه كاني في البحر وان لم اره
فقد سمعت خبره • والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه
والملك العادل وان لم اكن لقيته فقد لقيني صيته • ومن راى
من السيف اثره فقد راى اكثره • وما زلت ايد الله الامير
اسمع هذا البيت القديم بادع الفسيح فناوه الرحيب نادع
الكريم ابناؤه وانشد من هذه الحضرة ضالتي والعوايق تمنعه
ونشره تريني حسره والزمن العثور يقعد ويثور وكم من عازم
عزمت وابت المقادير ونويت وعرضت معاذير والآن
لما وفقت لهذه الزورة اخافت على اخبار الملك العادل
في مستقره واخلفت باخلافها مرة في فوين الطريق ومرة
في وتره على اقفا اثره حتى بلغت بتلقي هذا ثم وسوس الي
الشيطان بعد ان سعد راي ان اقصد هذه الحضرة طامعا في
مال اوطامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى
كاد يثنيني عن درك الحظ من طلعته ولم ابعد ما القاه في خلدي
ان يكون ولولا انا انشد الله الظنون ان تتصرف في قصدي
الا معرفة اوقيها وخدمة اودعها ومدحة اسمعها ورجعة
اسرعها ثم ادخر هذه الدولة لملكة اغصها او داية ابغضها
او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها فاما الدرهم والدنانير فدفعهما
الي ونزعهما من يدي سواء لدي لا اشكر واحدهما ولا اشكوا
سالبهما ان لي في القناعة وقناو في الصناعة بحالا لا يبعد

منال المال اذا اردته ولا يحوجني الى ركوب العقاب وسلوك
الشعاب مهما قصدته بل يجيني فيضا ويتطفل على ابصار هذه
حرسهما الله وان احتاج اليهما المامون ولم يستغن عنهما قارون
فان الاحب الي ان اقصدها قصدا سواء لا اقصد سواها والرجوع
عنهما بجمال الحب الي من الرجوع عنهما بمال وقدمت التعريف
وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير لضيف ظله خفيفا
وضالته رغيف فليوجز له بالاستقبال الطاير الاقبال والسلام
وله فيه لما صدر عن فنائه مثقلا بنعمائه •

الم ترانى في سفري لقيت الغنى والمنى والاميرا
ولما تراني شممت التراب وكنت امرا لا اشم العبيرا
لقيت امرا ملء عين الزمان يعلو سحابا ويرنو ثبيرا
لآل فريغون في المكرمات يدا اولا واعتذارا اخيرا
فلا يعدم الملك ذا روعة يمنى المنى ويسرى السرورا
اذا ما حللت بمغناهم رايت نعيما وملكا كبيرا

ولابي الفتح البستي فيهم •

بنو فريغون قوم في وجوههم سيما الهدى وسنا السودد العالي
كانما خلقوا من سودد وعلى وسائر الناس من طين وصلصال
من يلق منهم يقل هذا اجلهم قدرا واسخاهم بالنفس والمال
ياسائلي ما الذي حصلت عندهم دع السؤال وقم فانظر الى حالي
الا ترى ان حالي كيف قد جليت المرء اليوم حالي عند من حالي
فان اكن ساكتا عن شكر انعمه فان ذاك لعجزي لا لاغفالي

ذكر امير المومنين القادر بالله وانتصابه منصب

ابائه الراشدين بدار السلام واستقرار الامامة عليه
وانعقاد البيعة له بعد الطايع لله وما اشتبك من الحالات
بين السلطان يمين الدولة وامين الملة وبين بهاء الدولة
وضياء الملة ابي نصر بن عضد الدولة في زمانه • قد
كان بهاء الدولة وضياء الملة نقم من الطايع لله امورا ح
لصدره بها من غير وفاته وعدوله بها عن حكم استحقاقه
فدعاه ما توالى عليه من خلاف رضاه الى مراعاة مصلحة الدين
والملك باختيار من يرعى حق الامامة • ويتولى حياطة الخاصة
والعامة • ويترك هوى النفس في اتباع الحق واستشعار
نصرة الدين واظهاره وحماية الملك من اقطاره • وجعل
يتلطف في التدبير عليه الى ان تمكن منه فخلعه واحتوى
عليه وعلى ما كان جمعه وذلك في شعبان سنة احدى وثمانين
وثلثماية وارسل الى البطايح ونهض القادر بالله ابو العباس
احمد بن اسحاق بن المقتدر بالله فاستقدمه دار السلام لعقد
له سدا للثلمة ونظرا للامة • وارتفاقا للالفة واجلالا
لمصلحة الجملة • فعقدها في شهر رمضان من هذه السنة ٥
وتسارع الناس الى مبايعته واصفقوا على طاعته • وتراضوا
عن طيب النفوس بامامته • وتناهبوا شكر الله على ما اتاحه
لهم من بركات خلافته ثقة بما اشتهر في الافاق من مناقبه
الغر وضرايبه الزهر • وفضايله المسطورة على صفحات الدهر

فقام

فقام بما قلده الله من طوق الامامة مفوضا اليه امره •
ومتوكلا عليه وحده • فلم ير في معتقم من سرير الخلافة م
اوفر منه حصاة ولا اوقر اناة واصلب قناة واصلب تقاة
وارضى سيرة • وازكى بصرا وبصيرة • وازكى علنا وسريرة •
واتم جزالة وجلالة • واعم سياسة وحراسة • نعم ولا ٥
اقوى منه جنانا واندى بنانا واجرى لسانا • واعدل عقابا
واحسانا • وعطفته عاطفة القربى على الطايع لله فا
ستخصه بمنادمته واجتباه لمصاحبته • والحقه جناح رعاية
وحمايته • تفاديا من غضاضة تلحقه في زمانه • او نكبة
ترهقه في ظل سلطانه وجانب امانه • الى ان فرق بينهما
الدهر المولع بالتفريق • واخذ الرفيق عن الرفيق • ورثاه
ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي بقصيدة منها

ان كان ذاك الطود خر فبعدما استعلى طويلا
سوق على القلل الذواهب في العلى عرضا وطولا
قوم يسدد لحظه فترى لقوم له مثولا
ويرى عزيزا حيث حل ولا يرى الا ذليلا
كالليث الا انه اتخذ العلى والعز غيلا
وعلى على الاقران لا مثلا يعد ولا عديلا
من معشر ركبوا العلى وابوا عن الكرم النزولا
غر اذا انتسبوا لنا الغرر اللوامع والحجولا
كرموا فروعا بعدما طابوا وقد نجموا اصولا

نسب غدا رواده يستنجحون له الفحولا
يا ناصر الدين الذي جمع الزمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ثلمت مضاربه فلولا
يا كوكب الاحسان اطلعك الدجى عنا افولا
يا غارب النعم العظام غدوت ممنوّا جزيلا
لهفي على ماضٍ مضى الا ترى منه بديلا
وزوال ملك لم يكن يوما نقدّر ان يزولا
ومنازل سطر الزمان على معالمها الحؤولا
من بعد ما كانت على الايام مرباة نكولا
والاسد تركز القنا فيها وترتبط الخيولا
من يشبع المتن الجسام ويصطفي الحمد الجزيلا
من ينتج الامال يوم تعود باللبان حؤولا
من يورد السمر الطوال ويكشف الخطب الجليلا
وتراه يمنع ذو سناوادي النوائب ان تسيلا
عقاد الوية الملوك على العلى جيلا فجيلا

وانشأ خطباء العراق وشعراؤها كاعراف الجياد على مجلس
الخلافة في ابتداج القادر بالله امير المومنين وذكر ما اثر
ابائه ومفاخر اسلافه مرابيع الكرم ينابيع الحكم مصابيح
الظلم مدارج الامم ليوث البهم غيوث النقم وبلغني ان
مقاماتهم مدونة بالعراق من بين منظوم ومنثور وفقر وشذور ور
فلا حاجة بنا الى ذكر تتبع ذكرها مع اشتهارها في ديارها وحكى

لي

لي ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الهيصم احد اعيان الكرامية
بنيسابور قال كنت في مجلس القادر بالله امير المومنين خطيبا
بحضرة بني هشام ومشايخ بغداد واعيان الحجيج فقلت الحمد لله
ذي العزة القاهرة والحجة الباهرة والنعم المتظاهرة
الذي عم احسانه ودام سلطانه ولطف شانه فلا راد
لقضائه ولا مانع لعطائه ولا معقب لحكمه ابتعث محمدا صلى الله
عليه وسلم من جراثيم العرب مولدا وافضلها اتهاما
محتدا واطولها نجادا وارسخها في المكرمات وتادا
فابتدع احسن تابيد واكد امره افضل تاكيد حتى استغلق
الدين باعضائه واضمحل الشرك داحضا وظهر امر الله وهم
والمشركون كارهون فعليه صلوات الله عدد الرمل والحصى
وما طلعت عليه شمس الضحى وعلى اله الطيبين ثم قيض
الله من بعده الخلفاء الراشدين لتمهيد الدين وتوهين كيد
الملحدين فبسطوا للاسلام بساطه ونهجوا لاهل الافاق
صراطه الى ان تادى الامر الى ذويه من ال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبني صنو ابيه فاقاموا الاسلام عن اوده
واسندوا الامر الى مسنده معتصمين بنصر الله صادعين
بامر الله معظمين لحرمات الله وهلم جرا الى ان تاكدت
بيعة الخلافة بامير المومنين القادر بالله فهو نور العا لمين
وشغف ذكره صدور قوم مومنين وسعى نشره على المنابر قلوب
المخلصين من بعد ان نبوا من اظهر العناد وانزوا من قصد الفساد

وأبى الله الا نصرة الحق وإدالته • وقمع الباطل وإزالته •
ولقد حدثني محمد بن الفضل الحلواني قال حدثني الصولي
عن المبرد أن العباس بن أحمد بن حمدون حدثه أن سعيدا الخطيب
لما بايع الفضل بن مروان المعتصم بالله أمير المؤمنين قام
في الناس فقال •

• بايعت منبسطا ولو لم تنبسط كفي لبيعته قطعت بنانها •
• من ذا إليه لا يمد يمينه قطع الإله يمينه فأبانها •

ولو الذي في خدمة أمير المؤمنين ما يقارب هذا وشاكله
وذلك أنه أظهر بيعته لوارد كتابه على حين التواء من التوى
بناحية بلخ وقال فيها •

سبقت يميني نحو بيعة قادر بالله لما خالفته يد القدر
ماض ببيعته التوى من التوى والله مبرمها بمكنون الزبر
ولقد أراه أحق من وطئ الحصا وراثة الشم البهاليل الغرر
فلا خلعت القلب مني إن أبى ولا قلعت العين إن زاغ البصر

وها أنا قد ساعدني توفيق الله حتى وطئت بساط أمير المؤمنين
شاكرا لما أنعم الله علينا بولي أمير المؤمنين محمود بن سبكتكين
فإنه من رسمه كاسمه والله نسأل أن يديم سلامة أمير
المؤمنين • وأن يبلغه أمله في الأمير أبي الفضل ولي عهد
المسلمين الغالب بالله ابن أمير المؤمنين • ويلحقه بسعادة
آبائه الراشدين وأسلافه الطيبين • والحمد لله رب العالمين •
قال فأمر القادر بالله أمير المؤمنين أن تنسخ الخطبة في جملة

اخواتها

أخواتها المسطورة المخزونة ولما أرجت منابر خراسان
بذكر القادر بالله أمير المؤمنين على ما أوجبه طاعة السلطا ن
يمين الدولة وأمين الملة لأمر الله تعالى في اقتفاء محجته
واقتفاء خليفته وحجته كاتبه بما رآه من الإفضاء إلى ابنه أبي
الفضل بعهده • في ولاية أمور المسلمين من بعده • وتلقيبه
بالغالب بالله ورسم توفيته واجب حقه • والحاق ذكره
على المنابر باسمه • وطبع النقود على ذكر تلقيبه • فأوجب
السلطان يمين الدولة وأمين الملة مطاوعته فيما أمر
ومتابعته في جميع ما رسم فقارن ذكرهما في الخطب بهجه
وترافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب • وسنعود إلى
ذكر بهاء الدولة وضياء الملة من لدن استأثر الله بعضد
الدولة وتاج الملة أبي شجاع وإلى أن أفضى الأمر
إليه • واستقر الملك عليه • وفيما نطق به كتاب الصابي
المعروف بالتاجي من وقايع عضد الدولة مع بختيار
إلى أن أظفره الله به فقضى عليه بحد حسامه • وجرعه
كأس حمامه • واحتال له على أبي تغلب ناصره بعد انهزامه
إلى أن أمكنه التدبير عليه من يد ابن الجراح أحد المتغلبين من
الأعراب على حدود الشام فقبضه لاقتناصه بمبادرة
إهدائها إليه وأطاع ألدها له حتى تغفله وقتله وحمل
إليه علاوته ما يغني عن تجديد ذكره ولما مضى عضد الدو لة
لسبيله وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة

عند اشتغال اخيه مؤيد الدولة بويه بمحاربة حسام
الدولة تاش وعميدها فايق في عساكر خراسان اجتمع ابناء
دولته على ابنه صمصام الدولة وشمس الملة فبايعوه
متوازرين وتوافقوا على طاعته متظاهرين • واتاه
الطائع لله امير المؤمنين • في حراقة دجلة على ظهر دجلة
بعزية عن ابيه وقد سار عوام الناس نظارة له حتى اذا
قرب منه برز اليه صمصام الدولة فخشم وجهه برسم
الطاعة وحق الخلافة وقال له الطائع لله امير المؤمنين
نضر الله وجه الماضي • وجعلك خلف الباقي • وصبر
التعزية بعدك لكل باك والخلف عليك لابنك فاذري
على خديه دموع عينيه وبادر الى الصعيد شكر المامن عليه
ثم انتصب منصب ابيه واجرى الامور على استقامة •
ودبرها بسياسة عامة • وكان اخوه الاكبر ابو الفوارس
شيرزيل بن عضد الدولة غائبا الى مدينة واشهر من ارض
كرمان فلما بلغه نعي ابيه كر راجعا الى فارس وقبض بها
على نصر بن هارون النصراني وزير ابيه فاستوفى عليه وتملك
حواصل اموالها وبقايا اعمالها وامتد منها الى الاهواز فملكها
على اخيه ابي الحسن احمد بن عضد الدولة وغصب على البصرة
معها وذلك في رجب سنة خمس وسبعين وثلثمائة ثم استعد
لقصد بغداد طلبا لمكان ابيه واستضافة لما في يد اخيه
الى سائر ما يليه وسار حتى اذا وافاها تلقاها صمصام الدولة

بما

بما اوجبه حق سنه عليه اجلالا ومهابة • ومداراة ومقاربة
تفاديا من ضرر استيحاشه وتعدي مساءته علما بان غمدا
واحدا لا يسع سيفين • ولا تراود الابصر سهمين • فقوبه ابو
الفوارس ورفع محله • ثم خلعه وكحله • وامر به الى قلعة
كنوستان من ارض عمان واستولى على المملكة ولقبه
الطائع بالله بشرف الدولة وزين الملة فبقي على جملته
سنتين وتحته حكم الله تعالى في جمادى الاخرة سنة تسع وسبعين
وثلثمائة وقام شاهانشاه وبهاء الدولة وضياء الملة ابو
نصر بن عضد الدولة مقامه وتجرد لضبط الامور المائرة
وتلافي الحال الحائلة وكفل بالملك كفالة خبير بالتجارب
بصير باعقاب العواقب • وتمالا الاتراك بفارس لصمصام
الدولة فابرزوه من معتقله وحمله غلامه المعروف
بسعادة على عاتقه منحدرا به فملك فارس وما والاها وتبع
اموالها فجباها ثم شكروا له من بعد وقدموا ابا علي بن ابي
الفوارس وعقدوا له الرياسة عليهم ولقبوه بشمس الدولة
وبدر الملة وتجردوا للدفاع عنه والدعاء اليه فانتدب
لمواقعتهم الى ان هزمهم اقبح هزيمة • وغنمهم ابرد غنيمة
فخنسوا الى بغداد صاغرين خاسرين وتحرك بهاء الدولة
وضياء الملة لقتال صمصام الدولة فتداولا الحرب وصالا
كلعوب الرماح بين المساء والصباح حتى خربت البصرة وتلاها
في الخراب اكثر كور الاهواز وقد كان اولاد بختيار محتبسين

في حصار ناحية فارس فاستنزلهم طايفة من الاكراد الخسرو وية
عن معتقلهم متوجهين نار الفتنة باستنزالهم وفك عقالهم
فناصبهم الحرب مستكفا شرهم ومستدفعا باسهم وضرهم
واختلفت به الوقايع بين تلك الفتن الثايرة والاحن
الفايرة وكانت عقباها ان اجلت عنه قتيلا وندم بها
الدولة للحادثة عليه فارصد الحماة بطايلته حتى شردهم
كل مشرد وطردهم كل مطرد والجا اولاد بختيار الى الجلا عن
تلك الناحية وزعيمهم يوميذ سالار بن بختيار الملقب
بنور الدولة وكان من امره انه انتبذ عنها مدحورا مثبورا
فاضطرته الحال الى خفارة التجار في تجاراتهم واجارتهم
على مراصد القطع ببضاعاتهم على خرج يستعين به من حصتهم
على مؤن معاشه ورياشه واتبعه بهاء الدولة بجيش
واقعوه بسواتهم فغلبوه ووصلوا اليه فقتلوه وحمل غلامه
راسه الى بهاء الدولة فاستعظم للرحم الدانية واللحمة
الحانية من تشجعه على ملاقاته به وامر بالغلام فسلخ جلده
من قرنه الى قدمه عبرة لمن اقدم على ملك بسفك دمه
وبعث بعميد الجيوش الملقب بالصاحب الى بغداد لمراعاة
تلك الاعمال واستيفا حقوق بيت المال فاستدت سيرته
وحمدت في العدل بصيرته وعمر رفقه حجيج بيت الله
الحرام فانطلقت بشكره الخاص والعام الى ان قبضه
الله تعالى فسد مكانه بوزير الوزرا زيادة في النظر للرعية

فاربى

فاربى على عميد الجيوش في الاحسان الى الكافة اصلاحا لهم ورفقا
بهم وطرحا عنهم وضمت نواحي فارس وكرمان لبهاء الدولة
مضافة الى ساير اعماله وتعذبت الفتن القايمة على سوقها في
زمانه فعم الامن والسكون وشمل الرفق والهدون
واستراح عباد الله مما كان يفدحهم من وطاة الجيوش ويلحقهم
من معرة اختلاف السيوف وقد كان ابو علي بن الياس قد ملك
كرمان ايام عضد الدولة لال سامان واقام بها مدة من
الزمان لا ينازعه فيها منازع ولا يدافعه عنها مدافع وكان
حبس ابنه اليسع في بعض قلاع كرمان اشفاقا من معرة للوثبة
راها في رايه واضطراب تبينه في وجوه شمايله والخايله
ولهي عنه مدة من الزمان مديدة وهو يكابد بينهما ضررا
وبوسا وشدة فاتفق ان اشرف سرب من نسا ابيه وجواريه
عليه فرثين لضيق مكانه ودبرن في وجه خلاصه وعمدن
الى خمرهن فوصلن بعضها ببعض وخلصنه بها عن معتقله وتسا مع
اهل العسكر بخلاصه وانحلال عقاله فتجمعوا عليه وانقطعوا
بجملتهم اليه مما لاه له على ابيه بجفوات نقموها منه وبلغ ابا
علي خبر الحادثة فارسل الى ذوي التجربة والالباب باجتماعهم
ودعاهم اليه فاظهروا الضجر بمكانه والتبرم بطول زمانه
وساموه مفارقة كرمان ليستقر الامر على ابنه اليسع بطاعتهم
وترجيهم مفارقته فعرك ابو علي قولهم بجنب المداراة والاجمال
في عاجل الحال ثم جمع ما قدر عليه من صنوف الاموال وكرايم

الى بخارا ما تحليا بين اليسع وبين تلك الولاية واقام نقيبه بشر
بن مهدي وترشش الحاجب على خدمة اليسع وكفاله امره اذ كانت
حداثته تقتضي استكفاف مثلهما في هاتيهما وقوة رايهما على حصافة
اموره • وتبصيره الرشد في وجوه تدبيره • ولما وصل ابو علي
الى بخارا ابو لغ في تعهده واكرام مورده واخلا له من الايثار
والاكبار محل مثله الى ان توفي بها في شوال سنة ست وخمسين
وثلثمائة فاما اليسع فانه ولي كرمان فحمى اطرافها وحمى اموالها
وكان اخوه سليمان مقيما بسيرجان والبا عليها واغراه بشر
بن مهدي به واشار اليه بمعاجلته قبل انتظام شمله واستمرار
حبله فكتب اليه يستدعيه لمهم لا يستغني عن مفاوضته فيه
فامتنع عن الاجابة بعلل اخترعها ومعاذير لحمها وضاق اليسع به
ذرعا ولم يجد من مناجزته بدا فنهض اليه بكارا حتى هزمه
وغنم ماله ووقع سليمان الى بخارا واطمع اليسع نزق شبابه
في مغالبة عضد الدولة ابي شجاع على بعض حدود عمله وكان
مثله مثل العنز طلب قرنين فضيع الاذنين وذاك انه لما
بلغ مفرق الحدين بين كرمان وفارس اتاه صاحب طليعته
بطائفة من المستامنة عن عسكر عضد الدولة فاحسن اليهم وصب
الخلع ثم هرب نفر منهم اجمعين فارتاب اليسع برفقائهم وظن
وراء استيمانهم حيلة او غيلة فاوسعهم تنكيلا وعمهم بالعقاب قطعا
وتمثيلا واستامن عنه الى عضد الدولة جملة من رجاله تحملهم
وحبانهم ووصلهم ومناهم فلما راى اصحابه تباعد ما بين الامرين

تالبوا

تالبوا عليه وتنمروا له وتحزبوا عنه ونسل من جملتهم صفقة ○
واحدة الف رجل من وجوه الديلم الى معسكر عضد الدولة
وهو بناحية اصطخر وفشا الطربان بين الاخرين فجعلوا ينسلون
لوذا ويتفرقون جميعا واشتاتا حتى انفض عنه عامة اهل عسكره
وبقي في خاصة غلمانه وحاشيته فاضطر الى معاودة واشتهر
واسرع منهما بعياله وبما خف عليه حمله من اثقاله وامواله
نحو بخارا لا يلوي على احد دون الاعذار اذ في السير وطي بساط
الارض بحوافر الخيل فلما اتصل خبره بعضد الدولة بادر على
اثره الى واشهر فملكهما واستصفى اموال الناس بها ثم استخلف عليهما
كورتكين بن جستان ورجع عنها الى فارس ولما ورد اليسع ناحية
جوين من حدود قهستان خلف اثقاله وغلمانه بها وركب
الجمازات نحو بخارا للاستنجاد وطلب الامداد فلما وافاها
قرب محله ورعى له حقه واستحضر مجلس الانس تخصيصا بمزية
الاكرام والاثرة فلما تدرع عليه سلطان الراح لم يتمالك
ان قال مستنطبا لو عرفت فعود الهمم بآل سامان عن اغاثة
الراجين لها واللاجئين اليها لطلبت غير هذه الحضرة ملاذا
ومعتصما فحش مس هذا المقال منه وامر به فنفي الى خوارزم
وبلغ ابا علي بن سيمجور حاله ومقاله فبعث الى جوين ثم قبض
على غلمانه وامواله فنقلهم واباها اليه غنيمة خالصة عن
ايدي الاعتراض والاشتراك واصاب اليسع بخوارزم رمد
اقلعه والكدع • واستنفد وسعه وجلده • وحمله الضجر

بالالم على أن فقأ عينه الرمد بعد فسالت على خده وكان
ذلك سبب هلاكه وحينه ولم يطو من أعقاب الالياسية
بحدود كرمان بعده أحد وأدّى أدباع عضد الدولة طولا
وعرضه ارتفاعا وشمولا إلى أن ورثه بهاء الدولة وضياء
الملة فأجرى أمورها بمجاريها الموروثة في حفظ الأطراف
وبسط العدل والانصاف ولما ملك السلطان يمين الدولة
وأمين الملة خراسان وافتتح سجستان وحصل بين ولايته
وبين تلك الديار ذمار الجوار فاتحه بهاء الدولة وضياء الملة
بكتبه خاطبا لكريمة وده على صداق قلبه المعمور بموالاته
المقصور على تطلب مرضاته ووصل بهدايا ومبارّ لافتة
برحب صدره وعلو قدره وهمته فأجابه السلطان
يمين الدولة وأمين الملة إلى ما خطبه وأوجب له مثل
ما أوجبه وأتحفه بما [illegible] الوداد وأكد الاتحاد وقضى
حق المكافاة وزاد وتشوفت الحال بينهما إلى زيادة عصمة
تتجدد بها البيوت والمرابع وتشترك فيها الأقارب والأباعد
فتسفر مشايخ الدولتين في تشبيك اللحمة وتوشيح أسباب
القربة إلى أن أتاح الله من ذلك ما عم القاصي والداني
فائدته وشمل الحاضر والبادي والطارئ والنائي نفعه وعائدته

ذكر غزوة نارابن

ونشط السلطان يمين الدولة وأمين الملة في سنة أربعمائة
لغزوة في ديار الهند ينكأ فيها نكاية فيها تقربا إلى الله واحتسابا

للمثوبة من عند الله عز وجل فنهض نحوها يحث الخيول ويخترق
الحزون والسهول إلى أن توسط ديار الهند فاستباحها وأذل
القاحها ونكس أصنامها وعوض على السيوف أغنامها وسار على
هيبته نحو مقصده وأوقع بعظيم العلوج وقعة أفاء الله بها
عليه أمواله وأعنة خيوله وأفياله وحكم فيهم سيوف أوليائه
يحشونهم بها بين كل سهب وفدفد ويجزرونهم عند كل مهبط
ومصعد ورده بهم إلى غزنة فيما حواه من تلك الغنائم الموفو
سالما غانما وافرا ظاهرا ولما رأى ملك الهند ما صبّ الله
عليه وعلى أهل مملكته من سوط العذاب بوقائع السلطان
يمين الدولة وأمين الملة فيهم ونكاياته في أقاصيهم وأدانيهم
وأيقن أنه لا قبل لهم بثقل وطأته وخشونة جانبه أرسل إليه
أعيان أقاربه وعشيرته ضارعا إليه في هدنة يقف فيها
عند أمره ويتسمح له بماله ووفره ويتجرد أوقات حاجته
لنصره على أن يقود إليه بادي الأمر خمسين فيلا بعد
آحادها بأضعافها ثقل أجسام وخفة أقدام ويحمل معها
مالا عظيم الخطر كبير القدر مما يضاهيه من مبارّ تلك الديار
ومتاع تلك البقاع وعلى أن يناوب كل عام بين أفناء عسكره
في خدمته بألفي رجل بادين وعائدين إلى أتاوة معلومة
يلتزمها كل سنة يتمسك بها من يرث مكانه ويقوم في
كفالة الملك مقامه فأوجب السلطان إجابته إلى ملتمسه
لعز الإسلام بذل طاعته وإعطائه الجزية عن يد وبعث

اليه من طالبه بتصحيح المال ووفود الافيال فعقد ما وعد وقدم
الوفا بما شرط وبعث بمن ضمن تجهيزهم الى بابه من خواص رجاله
على جملة الخدمة • واقامة رسم الطاعة • فانعقدت تلك
الهدنة • ودرت تلك الاداوة • وتتابعت القوافل بين ديار
خراسان وبلاد الهند في ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان

ذكر غزو غور

اتفق للسلطان يمين الدولة وامين الملة فكر في جبال الغور
وتمرد اهلها وتمنعهم على عظمهم عن حلية الدين وسمة الاسلام
وحصولهم في المقلة من عين حوزته • والمركز من دائرة مملكته •
وتمادي المارقة والسابلة بعيث ارصادهم • وعبث قطعهم
وافسادهم • لاستطالتهم بمناجاتهم الشواهق • ومجال مسالكهم
المضايق • فانف للدولة القاهرة من ان تخليها على علوق
انفها وشدة رتاجها فصمم العزم على تدويخ ديارهم وتذليل
رقابهم وانتزاع نعرة الاستطالة من رؤوسهم • واستلال
جرثوم العصيان من صدورهم • واجلب بخيله ورجله
معولا على صنع الله تعالى وفضله وقدم امامه والي هراة
التونتاش الحاجب ووالي طوس ارسلان الجاذب وسارا
مقتحمين مضايق تلك المسالك الى ان افضى بهم الدؤوب الى
مضيق قد غص بكماة الغورية تمد لفظهم القرى العاصية
والمحار المتباينة فتناوشوا الحرب شاوشا بطلت فيها العوامل
الا الصوارم في الجماجم والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان

علي

على حر الكريهة حتى سالت نفوس • وطارت عن الهام رؤوس • وبلغ
السلطان خبر الفريقين فلحقهم في خواص غلمانه وحمل بالجميع الى
ما وراءهم شافنشا • ويملك عليهم ملاجيهم شعبا فشعبا • الى ان فرقهم
في عطفات الجبال الشوامخ • والجأهم بقلل الراسيات البوازخ •
واستفتح الجبال الى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه في
عقر داره • واحاط به من جوانب حصاره • وهي في قصبة
تدعى اهنكران وشد عليه الحرب وبرز الرجل في قرابة عشرة
الاف رجل رجال كانما خلقت قلوبهم من حديد • واكبادهم من
جلاميد • يستانسون باهوال الوقائع • استيناس الظماء بماء الشرائع
فصافوا عسكر السلطان من حدين بالبطش والباس مرتقين بصوارم
الاسياف وجعلوا يهرون في وجوههم هرير الكلاب غباها
الفرار • واحرجتها الاجحار فامر السلطان بمداركة الشدة
على ما اوجبه حكم الاحتياط اذ كانوا مستندين الى معاقل وثيقة •
ومعتصمين بخنادق عميقة • حتى اذا انتصف النهار على وقاحتهم
في معاسة الحرب ومعاسة الضرب • والطعن امر بتوليتهم
الظهور على وجه الاستدراج والاغتيال فاغتروا وانخدعوا الانقلاب
وانقضوا عن مواقفهم الى فسيحة الفضا لاغتنام فرصة الانهزام فكرت
عليهم الخيول بضربات غيبت بذوابها عن اخواتها فلم ينتفع منها
واحدة الا عن دماغ منثور ونياط مبتور وصرع في تلك المعركة
الواحدة رجال كبيشهم بحنظل اوابحار نخل منقعر • وملك الاسر
المعروف بابن سوري باقربيه وذويه وساير حواشيه فاتى الله

على السلطان ما اشتمل عليه حصاره من ذخاير الاموال والاسلحة
التي اقتناها كابرا عن كابر ونوادرها كافرا عن كافر • وامر السلطان
باقامة شعار الاسلام فيما افتتحه من تلك البقاع والرباع
فافصحت بذكره منابرها • واشترك في عز دعوته باديها وحاضرها •
ورجع بعد ذلك عن وجهه على جناح اليسر والنجاح والظفر المتاح
وحين راى ابن سوري حصوله في ذلك اسار • واستباحة السلطان
ذخاير حصاره • تبرم بحياته واستراح الى برد وفاته فامتص
سما كان اودعه فص خاتمه نجاد للوقت بنفسه خسر الدنيا
والاخرة ذلك هو الخسران المبين ••

ذكر القحط الواقع بنيسابور سنة احدى واربعماية

وقع القحط بنيسابور خصوصا وفي ساير بلاد خراسان عموما
فهلك بنيسابور واطرافها دون غيرها ماية الف او يزيدون
وكم دفن منهم باطمارهم لضيق اكفانهم وعجز غسلة الاموات عنهم
وكان الناس من بين شاب وغلام وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يبكون
الخبز الخبز ويذوبون على انفسهم حتى تخور عيونهم • وتجللوا
جنوبهم • ورعوا نبات الارض حتى استحكم الياس للناس عن الزروع
وانقطعت الاطماع عن الربوع • وضاق الامر بهم فجعلوا يتبعون
رمام العظام على روس الكناسات تعللا بها وتمادى قصاب
ذبحة اجتمع عليه الفوج بعد الفوج يتقاسمون بجميعها بالكيزان
والخزف تسكينا لنعرة الجوع واجتزاء به عن القوت ولم ينل منه
احد الا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتبعون

الطمر الثوب الخلق وجمع اطمار مثل ثوب واثواب ١٢

سقاطات

سقاطات حب الشعير عن الارواث وهيهات ان الشعير لاعيا
الانام فكيف البهايم والانعام ثم تراقى الامر الى ان اكلت الام ولدها
والاخ اخاه والزوج زوجته وظل بعضهم يختلس بعضا من شوارع
الطرق الى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات • وحرمت الاسماك
على الناس لكثرة ما ظهر عليها من لحوم البشر فبيع في الاسواق وقبض
على اقوام بلا عدد كانوا يبتاعونها وقبض على هذه الجملة
ووجد في دورهم ما يعجز العد من روس قد اكلت لحومهم وظهرت
شحومهم فاما الكلاب والسنانير فلم يبق منها الا العدد اليسير
وهاب اوساط الناس وارباب الحرف ان يخترقوا وقت العشا محلة
نايبة عن واسطة البلد الا في عديد وسلاح عتيد واذكر ان فقيها
وجيها من اصحاب الحديث دخل على الامام ابي الطيب سهل بن محمد بن
سليمان الصعلوكي فساله عن تطاول عهده به فقال لم يأخذ الامام
عني احدوثة عجيبة رد الله علي بها روحي فضلا منه جسيما وصنعا كريما
اني كنت امر ببعض العشيات وحيدا في شارع اشار الله اليه فلم
يرعني الا وتر صار في عنقي • وجذبت به جذبة ضيقت علي
مخنقي • فبينا انا اهم بموافاة الجاذب ومدافعته للسلامة على
ضيق المخنق اذ وثبت الي من بعض تلك الابواب امراة فضربت
انثيي بركبتها ضربة سقطت منها مغشيا علي فلم اشعر بعدها
بشي من مصارف امورى الى ان افقت عن الحس بعد ما ارتقت
به بين وجهي وترايبي فنظرت الى قوم اجابت بها دعوتي عما
دهاني • وبكاتموني صورة ما عراني • فاذا انا بساعدة وجبيني بجنبي

ادركوني عائدين الى منازلهم فضربت بسهم من اشفى على قتلي واستباحة
دمي وتركني برمقي وخلى الوتر في عنقي فصبرت ساعة الى ان
استوفيت الافاقة • واستعدت القوة والطاقة • وغدوت الى
الى المنزل وسقطت من هول ذلك المصرع على الفراش عشرين
يوما هوشا مبهوتا • وحرضا مبسوتا الى ان من الله على باوايل
الاقبال • وزوال اكثر ما بي من الم الاعتلال • فبكرت يوم
احسست بالخفة الى المسجد لاقامة الفرض وصعدت المئذنة
على الرسم فلم استتم التكبير حتى اختطف عمامتي من راسي موهق
اراد صاحبه به رقبتي فاخطاها لما اراد الله تعالى من انساء اجلي
فعدلت الى الاذان • الصياح بطلب الامان • وجعلت لله على
بعد ذلك ان لا اخرج مدة هذه الفتنة من داري الا والشمس
بيضاء نقية • ولا ارجع اليها الا وفي النهار بقية • فهذه هي
التي ثبطتني عن الخدمة • واقعدتني عن الرسم في مشاهدة
الجملة • فقضى الحاضرون عجبا من تلك الداهية • وسالوا
الله تعالى حسن السلامة والعافية • وحكى عن الاستاذ ابي
سعيد عبد الملك بن عثمان الواعظ احد الصالحين من عباد الله
الموفقين • والساعين في مصالح المسلمين • انه نقل الى دار كان
يسكنها المرضى والزمنى من الفقراء وابناء السبيل في يوم واحد
من هذه السنة اربعمائة ميت عن برح الجوع والمخمصة على ان
يوعز بتكفينهم ودفنهم فاتاه خمارويه الذي كان يقيم جرايات
المذكورين من جهته وهو في حيرة يذكر انه قد بقي في هذا

اليوم

اليوم بعينه مما كسد على البيع اربعمائة من الخبز فسبحان من
يقضي على من يشاء بالفناء مع امكان الاقوات ووجود الكفايات
وقد اكثر الناس في ذكر الغلاء والبلاء فمنه قول ابي نصر الزاهي الكاتب

قد اصبح الناس في غلاء وفي بلاء قد اولوه
من يلزم البيت يود جوعا او يشهد الناس ياكلوه

ولابي محمد العبدلكاني الزوزني •

لا تخرجن من البيوت لحاجة او غير حاجة
والباب اغلقه عليك موثقا منه رتاجه
لا يقنصك الجايعون فيطبخوك بشورباجه

وامر السلطان يمين الدولة وامين الملة بالكتب الى عماله
ببث الاموال على الفقراء والمساكين فاستنقذ الله بها مهجات
قوم قد اشرفت على الهلاك • وافتكهم من بين اشراك الاحتنا ك
فبقيت تلك السنة على حالها الى ان زاحت غلات سنة اثنتين
واربعمائة فمن الله بازالة تلك الشدة • واطفا تلك النايرة
المتقدة • وتدارك عباده بعد استحكام الياس بالغيوث
الهامية • والربوع الزاكية النامية • ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
الحكيم **ذكر ما افضت اليه احوال الخانية بعد معاو** دع
ماورا النهر قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة
بعد انكشاف عسكر الترك عنه • وراعي ما يسفر عنه تدبير ايلك
الخان واخيه الكبير طغان خان اذ كان اخوه يمالي السلطان عليه

لايمان بن عمران وبما اياه ومواثيق يدعي انعقادها عليه وتظهر
البراءة على السنة رسله من فعلات ايلك في منابذته ومكاشفته
والتخطي الى حدود مملكته وبورك للذنب عليه في اغرائه بما
اتاه ومكاتبته في البعث على ما جناه ● ولما ظهر لايلك ان
اخاه طغان خان قد جعله عرضة للجناية ● وقلده طوق ○
المكاشفة ● براءة منه وخذلانا اياه وشقا العصا واسلاما له
بما كسبت يداه ● رأى ان يبتدئ به فيحسم مادته ودارابته
ويغسل بالسيف وضر جنايته ● فجمع جيوش ما وراء النهر لقصده
واستدفاع مكره وغدره وسار حتى اذا جاوز اوزكند نجوم ○
سقطت ثلوج سدت عليه مسالك العقاب المفضية اليه
فارتدع عن وجهه الى قابل حتى طاب الهواء وانحسر الشتاء وخفت ه
الانداء فكر عائدا على ثارة لفت المشير موهنا بنار ● وكان ورد
رسلهما في التنازع الذي تقدم ذكره فتراجعا القول على جناية
الغشوم واحالة بعضهم على بعض في نقض المواثيق والعهود ه
فلاتهم السلطان في لغط القول حتى وصلوا بحر النفار الى
برد الاشفاء واراد السلطان يمين الدولة بعد ذلك ه
قوايهم فامر بتعبية جيوشه وتعشية فيوله فرتبت لعسكر سماطين
عن جنبتيه في هيئة لو رآها قارون لقال يا ليت لي مثل ما اوتي
محمود انه لذو حظ عظيم وصفة مقامه انه اصطف من غلمانه
على التقابل قرابة الفي غلام من عقائل الترك في الوان الديابيج
من بين سود وبيض وحمر وكهب وصفر وفيما يقرب من موقفه

خمس

خمس مائة غلام من خاصته على ترتيبهم في منطقات الروم ومناطق
من ذهب مرصعة بالجواهر واعمدة من جنسه فوق الاكتاف ه
والعواتق وقد اطاف بهم من عظام الفيول اربعون فيلا على
المحاذاة غواشيها ديابيج الروم بعصايب ومعاليق من الذهب
طين الاحمر مرصعة بكل جوهر ثمين وياقوت وزبرجد ووراء السماط
تسعمائة فيل في تجافيف مشهرة بالالوان مسودة بالحروب
والمران ● وعامة العسكر في سرابيل قد كدت القيون ● وردت
على اجتلائها العيون ● ورتبت الرجالة امام الخيول في التروسة
الواقية والجنن الكامية ● والسيوف المرهفة ● والعوامل المختلفة
وقام بين يديه حجابه كالبدور في ظلم الدجى وقابضين على
قبائع سيوفهم ما بين قدمه وناظرين امره واذن لهولاء الرسل
على هذه الهيبة حتى لقوه واقاموا من رسم الخدمة ما افترضوه
ثم عدل بهم الى الموائد في دار قد فرشت بما لم يحك غير الجنة
مزينة للمتقين معروفة للعارفين ففي كل مجلس دسوت من الذهب
الاحمر بين جفان كاحواض واطباق كبار قد نضد بها من صدع
الى قدمه بما انشا كله من الاواني الفائقة ● والالات الفاخرة
تمه الرايقة ● وهي لخاص مجلسه طارم قد جمعت الواحه وعرضا
بصفائح الذهب وصفائحه ووثقت بمسامير من جنسه ○
وفرش من الديابيج المثقلة بما لا تدرك الابصار منه غير جمرع
الذهب وفي الصدر مثقلة مفسومة بيوت مضلعة ومشتد
بسرج يشمل كل نوع منها على انواع من الجواهر التي اعيت امثالها الكا

العجم وقياصرة الروم وملوك الهند وأقيال العرب وحوالي
المجلس أطباق ثمان من الذهب مملوءة من المسك الأذفر والعنبر
الأشهب والكافور العطر والعود العبق وهلم جرا إلى ما يملو
الأبواع والأيدي من أترجات مصوغة ونارنجات مصوغة
ومما يشبه الفواكه من عقيان وبدخشي وبهرمان إلى ألوان لم
يسمع بمثلها رقة أجسام ودقة صنعة وإحكام • وطاف على
الرسل ولدان كالدر المنثور واللؤلؤ المكنون • براح كالماء
المعين ورضاب الحور العين • إلى أن أشفقوا من عثرات العقول
فاستأذنوا للقفول وصرفهم السلطان يمين الدولة وأمين
الملة بعد هذه المأدبة وزاهم بما أوجبته همته من تحقيق
أمانيهم ورعاية حق الملح فيهم وبقي الأخوان على جملتهما في المنافرة
والمنافرة • والمكاوحة والمكافحة • إلى أن توسط السفراء
بينهما ففصلوا الأمر على ما ألف كلا منهما عن صاحبه على ما سنورد
ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى

ذكر فتح قصدار

قد كان السلطان يمين الدولة وأمين الملة يراعي ما يتجدد
من أخبار الأخوين إيلك وطغان خان فيما شاجرا من الأمر فلما
بلغه استحكام ذات بينهما استخار الله في قصد قصدار إذ كان
صاحبها قد ارتكب المجانبة • وأخل بحمل مال المقاطعة •
اغترارا بمنازعة مملكته • واغترارا بحصانة الطرق المفضية
إلى حلته • وفصل السلطان عن غزنة إلى بست مورّيا بقصد
هراة حتى انتشرت الأخبار بعزيمته • واستفاضت الأحاديث

بظاهر

بظاهر أمره • ثم ركض إلى ناحية قصدار في الخيل الغلب من
رجاله ركضة طوت تلك الجبال الوعرة والمسالك الصعبة
ولم يشعر صاحب قصدار إلا بعسكر السلطان حول داره قبل
أن يكتحل بضوء نهاره • أو يحفل لشد إزاره • فنادى الأمان الأمان
بخدمة السلطان وألزمه السلطان خمسة عشر ألف ألف درهم
من جملة ما كان ألط به من أموال عمله والتوبها ونقد أكثرها
وقبض السلطان على عشرين فيلا ضخاما كان اعتقدها ليوم
بؤسه وبأسه ووكل به من استوفى المال عليه ورجع عنه بعد
أن رعى حق طاعته وضراعته باستخلافه على ما كان يليه وبسط
يده في أطراف عمله ونواحيه • ورجع عنه إلى غزنة ظاهرا
نجحه فائزا قدحه عاليا يده وأريا زنده صغارا من الله عز وجل
لمن يختلبهم من خيار خلقه • لعمارة أرضه وإقامة حقه • والله
يعطي ملكه من يشاء والله عزيز حكيم

ذكر الشارين أبي نصر محمد بن أسد والشاه محمد ابنه وما أفضى إليه أمرهما

قد كان يلقب كل من يلي أمر غرشستان بالشار سمة مصطلحا
عليها تنبئ عن معنى التمليك ورتبة الإجلال والتعظيم وكان
الشار أبو نصر واليها إلى أن أدرك ولده الشاه وفيه لوثة شهوة
فغلب على الأمير بقوة شبابه • واستظهار من شايعه من
أصحابه • فاعتزل أبو نصر مختليا بنفسه وبين ما كان يليه • وينفرد
بالنظر والتدبير فيه • ومقتصرا على دراسة الكتب ومطالعة
الأدب إذ كان بها مولعا • وبلذاتها دون سائر اللذات مقتنعا

وكان منتجع الافاضل من اعماق البلاد ينتابه منهم كل مبدع خطا
وبيانا • او مبدع به بلوى وامتحانا • فلم ينشب بعد ان ينتابه
ويشهد بابه • حتى يستخصب جنابه • ويستحرك بره وثوابه •
وكان صاحب الجيش ابو علي محمد بن محمد بن سيمجور لما افتتح
الاستعصاء على الرضي نوح بن منصور رام ان يستضيف ولاية
القرشي الى ما يليه وان يجد من جانب الشارين طاعة له في
اوامره ونواهيه فاظهروا التمرد عليه كراهة للاختيار على ارباب
الملك الذين اعطوهم المقادة قديما • وسلموا الطاعة لهم تسليما
واذلالا بحصانة صياصيهما وقلاعهما • ومناعة حواشيهما واشبا
ومحاماة للرضي على حقوق اصطناعهما وسوابق حرماتهما ان هم
ابو علي بمنازعتهما ملكا ورثاه او طمع في فضل مال اقتنياه • فلم
ينهنهه ابو علي ان جرد اليهما ابا القاسم الفقيه احد انياب دولته
واركان دعوته في جيوش كثيرة كثيفة • وجيوش على الالاف منيفة •
فناهضهما في عقر دارهما متوقلا اليهما قوارع نصائح السماء
وشوامخ شناظي الجوزاء • ومتوغلا مخارم تمرد على السلوك برود
السموم على غلاظ السلوك • يناجزهما في تلك المقامات التي
تدار عندها بالرؤوس ويغشى على النفوس ويلجئهما من مضيق الى
مضيق • ويجحمهما بفريق بعد فريق • حتى اخلاهما عن قرارة بيتهما
الى قلعة ورثاها في اخريات هاتيك الجبال تزل عن اعاليها
اقدام الغيوم وتحلق دون ممالكها كرام الطيور وتلك عليهما
صحون جبالهما وسهول بادرهما ومحالهما بجنبيها وتتبع ما يستتب

بعمها

الى

الى كل منهما ايهما الى ان صمد الامير ناصر الدين سبكتكين بنفسه
الامير صمد ابي علي فاستبرد ابا القاسم الفقيه شغلا بالبارك
القوم عن الشيء • وبالعقاب المنقض عن الكركي • وباتي الوادي
فطم على القرى • وانضم الشاران الى الامير سبكتكين في نصرة
الامير نوح فانتقما من ابي علي حين ولي هزيمهما وتعرى عما
تولاه واقتناه حديثا وقديما • واجفل نحو جرجان لا يملك رايا
ولا عزيما • ولم يزل بعد ذلك حالهما على جملتها في الامنة
والسكون • وانحاه المصون • الى ان ورث السلطان يمين
الدولة وامين الملة خراسان حكما الله في ارضه يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولما اذعن ولاة الاطراف
للطاعة والتزام حكم البتاعة • واعطاء صفقة البيعة وقرع
المنابر باقامة الخطبة • وكلهم سمع واطاع • وبذل في الخدمة
والقربة المستطاع • انهضت الى الشارين في اخذهما • باقامة
الخطبة له اسوة امثالهما • من ولاة الاطراف وضمناء الاعمال
فتلقيا في نفوض الطاعة والحرص على الاقتداء بالجماعة • فا
قيمت باسم السلطان بكورة الغرش في شهور سنة تسع وثمانين
وثلثمائة وورد على الشارين كتب المنحاز بن ابي بحارا عن هزيمته
مرو يذكرون انهم على الاستعداد والتجرد للمعاد فلينتظراهم
عن قريب وليأخذا من الانتصار ودرك الثار بنصيب فبعث الشار
ابو نصر بها الى درج رقعة افرد فيها يسأل التي تأملها وانفاذها
باعتنابها الى السلطان ليتقرر حاله في الموالاة • ومخالفة ذوي

المباداة والمعاداة • فكتبت اليه في جواب رقعته تأملتها أطال
الله بقاء الشار فوجدتها نادت على خدود قد عمل فيها صيقل الوفا صح
كجدك بنو عمد صاحبه بان يضرب فكتبه • إن لم يكف عنه كتيبة •
وما نحن في هذا المعنى وفيما اولى الله مولانا السلطان من الحسنى
إلا كما قال المتنبي ••

• ولله سرّ في علاك وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان •

فاما قولهم انا على الانتصار وطلب الثار فتلك امانيهم قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين على انا نقول ••

• لئن كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص في القابل •
• فان الحسام الخضيب الذي قتلتم به في يد القاتل •

وان قالوا العود احمد فذلك لمن حمد البدء لا لمن ذم وصادف
فيه ما سر لا ما ساء وغم وقد راوا في بدء لقائهم كيف شرقت
السيوف بدمائهم • وحكمت النسور في اشلائهم • فان نشطوا
ثانية فهاتيك الصوارم ماضية • والقشاعم ضارية • وما
اشبه حال القوم بما قام ابن الاشعث خطيبا في قومه فقال يا
قوم انه ما بقي من عددكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها
يمينا وشمالا فما تلبث ان تموت وكذا المصباح اذا قارب انطفا
توهج قليلا ثم لم يغن ذلك من حينه فتيلا • فالحمد لله الذي جعل
سيوف مولانا تخطب على منابر الرقاب اذ جعل الاسنة اعدائه
تخطب فوق اسرة الاذقان والى الله الرغبة في ان يطيل بقاء
مولانا ما طلع نور من حجاب شمس • وطلع نفس من قرار نفس •

منصورا

منصورا على من نابذه وناواه • ليودعه من بطن الارض ملحده
ومثواه • وعن كثب سيرى الثار كيف يفعل الله بالغادرين وليسمهم
خزي الباغين • ويردهم اسفل سافلين • وقبل وبعد فالحمد
لله رب العالمين • فكان الامر على ما حدست وتفرست فان
ايلك نجدر اليهم دار الملك بخارا واخذ معظم القوم واسارى
وشرد الباقين في الارض جبابرة نعم وطالعت الحضرة بصورة
امر الشاردين في الطاعة جيء حظيا من الاكرام بما توقعاه •
وحظيا من الاعزاز والايثار بما تطلعاه • وحضر الخدمة بعد
ذلك الولد المعروف بشاه شار فصادف ما استحقه من ترحيب
وترتيب • وحظي من الانجاب والايثار برغيب • وعبر مدة على هذه
الجملة وهو بين اعتزاز نخوة الاعتزاز بسمة الملك ولوثة في
الطبع يسلم امثالها عند الملوك الى الهلك وهو على كل ذلك
محتمل • وبلطف القبول والاقبال مقبل • واستاذن من بعد
للانصراف وراءه فصادف اذنا بالمبادرة الكريمة مشفوعا •
والى الخلع الشريفة فوق الهمة المنيفة مجموعا • وعاد الى افشين
قرارة بيته ومثابة عزه الى ان عنت للسلطان غزوة احب
ان يحتشد لها افضل احتشاد • ويستظهر فيها بما خوله من قوة
وعتاد وامراء جيوش وقواد • وامر بالكتاب اليه في استنهاضه
اسوة امثاله ثقة بخصوص حاله • وبموقع ما افاض عليه من سجال
افضاله • فلز به الخذلان على المكان • ولقنه معاذير واهية
الاركان • وظل يتردد بين الحران والاذعان • الى ان حقت

عليه كلمة العصيان فاعرض السلطان عند ذلك عن تدبيره
واقبل على ما اممه من امر مسيره حتى اذا اذن الله ما قصد وظفر
بمن كند او تمرد عاد بالفتح خافقا لواؤه والنجح شارقا ضياؤه
وجدد مكاتبته ايمانا له من خيفة ان اوجبها وايناسا من وحشة
ان لابسها واستبقاء للصنيعة عنده من ان تنقض اساوها
او تنقطع دون المبار شاوها فلم يزدد الا كفورا ونفورا
وكان امر الله قدرا مقدورا وعند ذلك جرد السلطان حاجبه
الكبير ابا سعيد التونتاش وفتاه والي طوس ارسلان الجاذب
فيمن ضمهم الى جملتهما ووسمهم بالمسير تحت رايتهما لمناهضة
الشاربن واستدراك الفرط عليهما واذاقته وبال العصيان
وكفران الاحسان بهما فنهضا في العدة والعديد والبطش
الشديد واستخلفا ابا الحسن المنيعي الزعيم بمرو الروذ
لمكانه من العلم بمعاطف تلك السبل ومخارم تلك الشعاب
والقلل فسار اليهما في رجال قد كدتهم التجارب ونبهتهم
النوايب يهجمون باطراف القنا على الزبر ويدخلون ولو
خرت الابر ودمروا على الشاربن تلك الناحية فاما الشار
الكبير الوالد ابو نصر فاستشعر اثار العاقبة واغتنم
شعار العافية ولاذ بالامان الى الحاجب الكبير التونتاش
مظهرا للبراءة من فعل ولده وصادعا بما اشتهر في الخاص والعام
من عقوقه وتمرده وتحمل بشفاعته الى السلطان في ملاحظته
بعين من لم يرتكب جريمة ولم يشغل سريرة ولم يبدل في الطاعة

والاخلاص

والاخلاص سيرة فحدره الى هراة بين يديه اقتضته طاعة عنه
واحتياطا اوجبه خلاف الابن ومباعدته وكتب كتابا له الى
السلطان فورد في الجواب ما امنه رهق المواخذة وعنت
المعاقبة واما ابنه الشاه فتحصن بالقلعة التي اواها ايام
السبحورية وهي التي سبق وصفها في عزة الجوانب ومناعة
المناكب وصعوبة المصاعد والسمو على متون الغيوم الروا كد
واستصحب اليها خواص غلمانه وخزانته وساير حاشيته
وبطانته وقصد الحاجب ابو سعيد التونتاش وابو الحارث
ارسلان الجاذب في الجم الغفير من اعيان القواد وابطال
الافراد وتقاسما اركان الحصار فقذفا بالمجانيق المنصوبة
والعرادات الموضوعة ومناوشة الحرب من جهات كادت
حشاشات النفوس من هول المقام ان تذوق كؤوس
الحمام قبل ذوقها بوقع السيوف والسهام وواصلا صبوح
تلك الحروب بالغبوق حتى هدما احد اسوار الحصار
فوضعاه بالحضيض من وقع الجلاميد وصدم المجانيق وتسلقها
اهل العسكر منحنين على ساير الاسوار كالعصم واقلة في شم
الهضاب والارانب هاربة من عضعض الكلاب واشتبكت
الحرب على تلك الحال ضربا بالسيوف القواضب واخذا
باللحى والذوايب حتى سالت المذانب من دم النحور واحمرت
المنابع من علق الصدور وراى الشاه عند ذلك من هول
المطلع ما لم يكن يتركان يدعا الامان هيهات ان غضاب

الثغور اذا صادفت نجح المرام ووجد التشفي بالانتقام
بموقوة الاذان او تفعل افعالها • ونال من ذلك الثار مثار لها
وما زالت تلك دعواه وهذه حالهم حتى اخذوه اسيرا •
واستنزلوه عنوة وقسرا • واستبيح ذلك الحريم بما حواه من
درهم ودينار ومال واستظهار • واخذ حاجبه ووزيره
بل نديمه وسميره بل قليله وكثيره • فوضع عليه الدهوق حتى
اعترف بما عرفه من ذخايره وخبره من ودايعه وصلب عامة
اوليايه وعماله • والمتصرفين في اموره واعماله • حتى عروا
عن لباس اليسار • وعزت اخلافهم دون الاستدرار • ووقع
ابو الحسن المنيعي عن ارتفاعات القوس على ما علم ارتفاعاته
منه قبل للثار فتمكن منها واستخلف هنالك من يقوى يده
في عمله • وشحن الحصار بكوتوال يوثق بامانته وجلده • وبعث
السلطان بعض خواصه لنقل الثار المأسور الى حضرته على
سبيل ارفاق له من جهته فلما سلم اليه حمله في وثاقه نحو
غزنة وسمعت بعض الثقات انه اتفق للغلام ان يكتب الى
اهله بخبره • وما لقيه في حالتي ورده وصدره • ويبشرهم
بمنصرفه فاستدعى الثار في عقاله وامره ان يتولى ذلك بخط
يده فانعم تفكرا ثم اظهر تشكرا وكتب ما هذا معناه •
ايتها الحمقة الرعنة اتراني اغفل عما احدثته بعدي
من جنايتي على الفراش وتمزيق ما خلفته عليك من مالي وتخبيبه
بانواع الفساد لقد انتهى الي جميع ما ركبته من فجور • وشربته

من خمور

من خمور وضيعته من مالي في كل منكور ومحظور • وها انا اليك
وايم الله لاصبن الدهوق عليك وعلى والديك ولادقن يديك على
رجليك ولاجعلنك عظة لربات الخدور في الدور بكذا وكذا
واستانف الشتم حتى علم انه قد اكتفى واشتفى ثم طوى الكتاب ودفعه
الى الغلام فطير به بعض ثقاته فقامت القيامة على اهله وخفن
عدوا سيهن وخرجن من صود بيتهن • وفكرن في امرهن • فوجدن
اصوب الاراء تفريغ الدار • وتقديم الاستتار • وفعلن ذلك
رابيات على القلق بايثار على الجوى والارق • ووصل الغلام
الى الدار فاذا هي كالقاع القرق لا يلم بها نافخ ضرمة ولا معلق
ذمة وبقي حيران وسال الجيران فاخبروه بصورة الحال والكتاب
وما خيف من الفضيحة والعتاب • فدعا ويلاه ولعن الكاتب ومن
والاه واحال في رد العيال بضمان الكرم واحسان حدده وبلغ
الخبر السلطان فضحك لاحتيال الثار عليه وقال كذا اخوثيله
ممن يستخدم الثار كاتبا • ووضع حرمته بالامن جانبا • ولما حمل
هو الى الباب تقدم السلطان بتجريده للسياط تاديبا له على
ما اغفله من حق النعمة • وهتكه من ستر الحشمة • فجرد لها واخذ
عذبات العذاب فاكثر الضراعة والاستكانة • وشكا الذلة
والمهانة • فلما استوفى التاديب حقه دون ان يبلغ النكير
منتهاه • والعقاب امده ومداه • امر بانزاله واعتقاله • في
موضع يصلح لامثاله وامر بمواساته • والتوسيع عليه في اقواته
من حيث لا يشعر الا باذنه فيه • وفيما اتاحه له من الترفيه

كرما يسري في تضاعيف مزاجه ولا الخمر في عروق البشر او الماء
في تحدرق الشجر • والتمس استعفاءه بعلامه كان خطيبا عنده فوقع عليه
واعيد بعض ما يصلحه اليه • فاما ابوه المقيم بهراة فاذن له
في ورود الباب ولوحظ بعين الايجاب واتباع منهما السلطان
خاص ضياعهما بالغرش حلا لها عن عقدة الشبهة • واستضافه
اياها الى جملة ضياعه الملكية • وامر لهما باثمان ما باعاه نقدا
صيانة لهما عن مس الفاقة وذل الحاجة • ورفرف الشيخ الجليل
على الشار ابي نصر بجناح الاكرام والرعاية • حتى اتاه الداعي
وقام به الناعي وذلك في سنة ست واربعمائة ••

ذكر وقعة نارين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة لما استصفى نواحي
الهند الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية • ولم ينل بها قط سورة
او اية • فرحض عنها ادناس الشرك • وفتح دونها اغباش الكفر
وبنى بها مساجد يقوم فيها دعاة الله بالاذان الذي هو شعار
الايمان • راى ان يطوي تلك الديار الى واسطة الهند مستقيما
لله ممن يجحد توحيده • ويضع لعبادة الانداد من دونه تعالى
جده وربه • وبحكاية سيوف طبعت على غرار الاسلام وسقيت
بماء الايمان وضيت في قراب دين الله تعالى • وانتصبت بايدي
الاخيار الابرار من اولياء الله فندب لرجال في قرى الاموال واخلص
اليقين • واستنصر الواحد المعين • ونهض في الطم والرم والليل
المدلهم وذلك في سنة اربع واربعمائة وسار في اخريات الخريف

ثقة

ثقة بطيب الهواء من جانب الجنوب فاتفق عند اقتحامه تلك الديار
ان سقطت ثلوج لم تعهد قبلها امثالها فسدت مخارق تلك الجبال
وسوت بين الاباطح والتلال • وطلع وجه الهواء كالوجا أثر في الحوافر
والاخفاف فضلا عن المحاسن والاطراف • وضلت بها معالم الطرق ق
فلم تعرف المنافذ من المحابس • ولا المقادم من المآخر • واضطر
الحال الى الانعطاف الى ان ياذن الله في الانصراف • ولكل
شيء حد محدود • وامد من العقد وممدود • واقبل السلطان
على استيناف العدة والعتاد • واستكمال الميرة والازواد •
واستدعاء اعيان الغزاة من اطراف البلاد حتى اذا اتمت العدة
والعديد • وبات العقد باخواته الفريد • وتضام الناس كفزع
الخريف من كل وجه منشورا • وعن كل نحو تا محشورا •
واقبل الخريف بطيب المقيل واعتدال برد الغداة والاصيل •
استخار الله تعالى في الرحيل • وسار كالبحر الاخضر تضربه الاعاصير
والامر المحكم تجنبه المقادير تغدت وحوش الارض ماسورة • وطيور
الجو مقهورة • ولو احست الارض لرنت من ثقل الحديد والمشي
الوئيد • وحث الابطال فوق القب القناديد • وسار ايامه
اذ لا يهتدون اعماق تلك البلاد ولا الشمس عليها طالعة • والنجوم
بينها مستقيمة وراجعة • وحث الركائب شهرين بين انهار
عميقة الاغوار بعيدة ما بين الاقطار وبواد تضل في ارجائها
السراب اليعافير • وتحار في دهنائها افواج العصافير • حتى اذا
قارب المقصد عبى الخيول كتائب • وميزها عصائب • ورتبها كواكب

وقسمها مناسر ومقانب ونصب اخاه الامير نصر بن ناصر الدين
في الميمنة في كماة القواد وحماة الانجاد وارسلان الجاذب في الميسرة
في البهم الذكور والبزل الفحول وجعل ابا عبد الله محمد بن ابراهيم
الطائي على المقدمة في مساعير العرب احلاس الظهور • وابنا
الصوارم الذكور • ورتب في القلب الحاجب التونتاش وسائر
خواصه وغلمان داره رجالا اذا اصطفوا فالجبال الشواهق •
او زحفوا فالسيول الدوافق • وبذ زهيهم عدو الله ملك الهند
ففزع من فاجئ الفزع الى من حوله من ثكاكرته • واعيان جيوشه
وناصرته • ولجا الى شعب بالدجل فج المدخل خشن المتوغل صعب
المرتقى مستعصما بالانحجاز عن البراز والاحتراس من وضح البارح
وسد مغفر الجبلين بفيلة له يراها الراؤون هضابا نابتة وجبالا
وبث النفير في اقطار مملكته يستنهض من يحمل حجرا • فضلا عمن
يلقم القوس وترا او يحشو بالسيف ثرا • ومد في طول المطاولة
كي يلقى بقوة واقية • وعدة متوافية • اذ يلجئ اولياء الله الى
الاخلال من فرط الملال والنفور من ضيق الصدور ولم يعلم
ان الله من وراء المؤمنين • وان الله موهن كيد الكافرين • ولما
علم السلطان من نيته في ارجاء القتال • وتاخير النزال ولف
الى عدو الله عز وجل بقلوب قد صقلها التوحيد • وبشرها
الوعد وانذرها الوعيد • ورماهم بالصليم من رجالة الديلم
وبالشياطين من الافغانية المطاعين رجالا كالاجال المطوحة بالنفو اس
مذللة للاجن الشوس وللبيوث اخرجها الجوع واعياها الى

اشالها

اشبالها الرجوع • يغدون في الاسداد نفوذ المثاقب في
العيدان والمبارد في الخيطان ويفرعون البوازخ كالوعول ○
ويتزلون عنها انحدار السيول • وواصلها عليهم اياما تباعا يجذبهم
بصدق البراز الى البراز جذب النار للسليط والمغناطيس للحديد
فلما فارقوا تلك المضايق التقطهم الفرسان كما يلتقط الاوابد
بيادق ولم تزل هذه حالهم حتى انضم الى اللعين اكثر من والاه ○
ولياه معظم من داناه • وعند احتشد للبروز مستندا الى الجبل
ومن حوله الافيال كالقلل • فجد المصاع واحتد القراع وحمي
الوطيس • واستوى المرؤوس والرئيس • وصار اللقاء كفاحا
فمن آخذ بالتلابيب ومنابر كالمعاقيب • ومضارب ما بين
الرؤوس الى العراقيب • وكلما استلب الفيلة للتهويل والتجهم والجحم •
بالاظلاف والخراطيم • مطرتها سحايب الرنانات ملتوية كالارا قم
منسابة الى حدق العيون وثغر الخلاقيم • وراى الكافر موضع ابي
عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي من الغناء وضراوته باسالة
الدماء • فانتحاه باخشن من في جملته شوكة واعظمهم شكة حتى
اثخنوه ضربا على الهام • وحطما من خلف وقدام • وهو كالحروب
ثابت لا يملك شرف مقامه • ولا يكل دون الضرب بحسامه
متيمنا بالروح في نصرة الدين وطاعة رب العالمين وراى
السلطان اعيا الكفرة عليه فامده بكوكبة من خواصه لاستخلاصه
فاستنقذوه الى السلطان ممشوقا بالسيوف منقوطا بالاسنة
كالحروف • فامر له بفيل يستريح الى سعيه عن الم الجراح بجوارحه

فصار ملكا له يتميز به من اعيان اهل عسكره ولم تزل الحرب على حالها
حتى اهب الله ريح النصر لاوليائه • وادار دايرة السوء على اعدائه
فاخذتهم سيوف الحق تحسمهم بين كل مصاد • ومنعطف وادٍ ومدخل
ومغار • ومختسف ومثار • وملكت عليهم الفيلة التي اعدوها من
حصونا واقية • فصارت عليهم عباقية باقية • وافا الله على السلطان
واوليائه غنايم رخصت لصدور عن دين الحسد لاشتراك الكافة
في الغنى المقصود • واستوائهم في كفاية الموجود • وفتح الله ناراين
فتحا طرز به شعار الاسلام اذ لم تبلغه راية النبي صلى الله عليه
وسلم الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة عز ما كتب
الله له على يده • وصنعا اتاح له التوفيق والتيسير من عنده
ووجد في بيت بد عظيم حجرا منقورا دلت كتابته على انه مبني
منذ اربعين الف سنة فقضى السلطان من جهل القوم عجبا
اذ كان اهل الشريعة الغراء والحق المنزل من السماء ان مدة الدنيا
سبعة الاف سنة وانا منها في الالف الاخير وكل ما تساندت
به الاخبار من امارات الساعة موجود • وبابصار العيون وبصاير
القلوب مشهود • واستفتي فيه اعيان العلماء فكل اجمع على انكار
ذلك المنقور • وعلى تزييف مثلها من شهادات الفجور • وعاد
السلطان وراءه تلك الغنايم العظيمة وكان عدد الارقاء من
العبيد والاماء • يزيد على عدد الدهماء • ورخصت قيم المماليك
فصار اصحاب المهن الخاملة • فضلا عمن فوقهم من السوقة • يعتقدون
عدة من تلك الرقبة • وذلك فضل الله الذي اعز به الدين ه

المحق من لدن عهد صح

وادلك

واذلت الالحاد والملحدين والحمد لله رب العالمين **ذكر وقعة** **تانيسر**
قد كان انهي الى السلطان يمين الدولة وامين الملة ان بناحية
تانيسر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحروب وان
صاحبها غال بها في الكفر والجحود • وعنيد اكبر جهده الى الطغوى
والعنود • وانه يحتاج الى ذوقة من كاسه • وخرقة من حرات
باسه • ليعلم ان عز الاسلام عام • وان له من سطوة الله سهما كما
لسائر اهل الهند سهام • فعزم السلطان على غزوة اليه برفع
منارة الاسلام • وينسخ منها ولاية الاصنام • ويدبغ الكفر عليهما
بجنوب المغارب والسنام • وسار في اولياء الله تعالى الذين قد
نشأوا على القراع • نشأ الاطفال على الرضاع • وضروا بدماء
الكفار ضراوة الصقور • ببغاث الاطيار • وقطع الى المذكور
اودية لم يقطعها غير طاير او حيوان عاير • وخرق سباسب لم
يطأها نعل ماش ولا نعل حافر • وجهدهم في تلك القفار علالة
الشفاه • وبلالات الافواه • فضلا عن ساير الاقوات حتى صنع
الله لهم بان بدروا منها الى فضاء يفضي الى ناحية المقصود ودونه
نهر صعبات ارضه طراب وصفاح كظبى السيوف حدا اذ يلقى
بشاطيه شعب جبل قد استند اليه الكافر مستظهرا بفيوله •
متكثرا بما فيها رجاله وخيوله • واحتال السلطان لقتال عسكره
في مجاوزة النهر الى اعداء الله الكفرة الفجرة حتى عبروه من طريقين
وشغلوهم بالناس من كل الجانبين • ومما جد الكفاح بين الفريقين
امر السلطان بحملة على الكفار في مخاضات النهر الهايل والماء

الصعب لسائل بزعمهم عن طرف الساحل وتقحمهم اشداق تلك
الشعاب والمسايل واشتدت الحرب ضربا بالخناجر في الحناجر
وبالقواضب في المناكب واولياء الله في كل حال ظاهرون
والكافرون هم الصاغرون حتى اذا كادهم شباب النهار
حمل المسلمون من جميع الجهات حملة اوجرتهم لهوات تلك المحار
مضطرين فخلفوا الفيلة التي كانوا بها معتزين وغنمها اولياء
الله يردون الاعظم فالاعظم منها الى موقف السلطان فلم
يفتهم الاما جد به في الهرب وصادفون افتناصه بمجال في
الطلب وصبت بين يدي اولئك الارجاس ما يحسن به النهر الحاجز
على طهارته وامتنع من الشرب على غزارته ولولا ان الليل
ستر اثرهم لاستلحم القتل اكثرهم صنعا من الله تعالى للدين الذي
بعث به رسوله المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين
ارتضى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهو على الازدياد
الى يوم التناد وانصرف السلطان باولياء الله غانما موفورا
وظاهرا منصورا ومحمودا كاسمه ماجورا وقد غنم ما تكل عن
ذكره انامل التحرير وتضيق عن اثباته ادراج الاضابير وتطاير
البشاير في الآفاق وخفقت عليها اجنحة الغروب والاشراق
والحمد لله رب العالمين على عز الاسلام والمسلمين **ذكر
الوزير ابي العباس الفضل بن احمد وما انتهت اليه حاله
الى ان مضى لسبيله** قد كان الوزير ابو العباس الفضل بن احمد
من حاشية فايق الملقب كان بعميد الدولة ومن كفاة بابه

وثقات

وثقات اصحابه وكان على البريد ايام سالارية السلطان بنيسابور
فنمي الى ناصر الدين سبكتكين خبر قوته وامانته فكتب الى الرضي
يستوهبه لوزارة السلطان وكفاية اعماله وتدبير امور رجا له
واموالة واوجب اجابته الى ملتمسه وخوطب بالبدار الى نيسابور
على مقتضى سؤاله فاعتمده السلطان للوزارة واستكفاه مهمات
الامارة بعد ان كان يرى مقام الشيخ الجليل شمس الكفاة ابي
القاسم احمد بن الحسن في الكفاية كتابة وحسابة واصالة واصابة
وهداية ودراية وحماية وجباية اذ لم يكن على طراة شبابه
بين لداته اغنى منه غناء وامضى مضاء وازكى ذكاء وادهى دهاء
غير ان الامير سبكتكين جنى عليه ابنه عند اعتماده لوزارة بست
وتدبير اعمالها واموالها جناية بسق السعف فيها العذل الصغا
منه الى عداته فيما شقوه فيه من رضيعه ولفقوه عليه من
سعايته ووقيعته واستوحش منه استيحاشا من بادرة فعله
والمسيء نفور والقلوب عن ذوي الاساءة صور وكره السلطان
الاستبداد على ابيه في انتصابه حسب ارتضائه واستكفائه
وفوق المحبور من وفائه طاعة له في اختياره واتباعا لفلك
رايه تحت مداره وقضى الله تعالى ان يكون ما يليه حتى في
تعرف خراسان بانه حديقه المرجب وجذيله المحكك
يتتبع ما يفسده الغير بالاستصلاح ويستدرك ما احرضته
ايدي الاجتياح ويداوي كل حال بدوائه ويرد غاير الماء
لكانه فاجرى الوزير ابو العباس على مجاريهما على جلية لم يعرف

فيما غير الجباية والاستدرار وقصد التوفير دون الاستعمار
حتى جنى ما اعطيناسنين عدة اذ كانت خراسان بعدُ مكسوعة
باعتبارها لم تستدر منها دواعي اللبن ولم تستنزع عنها كواسي
السمن فلما اجتلبها افتراقا واستنفد ما في ضروعها اسرافا
ومن قبل ما قد حال بينها وبين خصب المراتع وبرد الموارد
والمشارع وصفت له ما على ظهورها من فضول سيم وسمحت
بما وراء اعطائها من نعم مقتسم حتى صارت من فرط الهزال
والعجف كالاهلة المحتنية بل الاخلة المبترية وتداعى بالخراب
معظم الضياع وواقفت القنى بين القصور والانقطاع
وشرد في البلاد اكثر الاكرة والزراع فعندها اخذ الجار
بذنب الجار والزم القار مؤونة الفار حتى تمت البلوى
وعمت الشكوى وشملت نوايب البؤس وذهبت حرايب النفوس
وصدمتهم سنة القحط بعقبها فصار الغني محسورا والمتوسط
مفقورا والفقير مقبورا وكان امر الله قدرا مقدورا
وبقيت في رقاب خراسان بقايا كل متعذر ومتكسر وناو ومتحير
لو اذيبت عن آخر نقرة منها لم يف بعضها فضلا عما جمعته
اقلام الاستيفا منها فاظهر السلطان ضجرا من تحير الاموال
وتراجع الارتفاعات وطالب الوزير منها بما اقتطعه وانواله
وضيعه وهو يرجع القول على سبيل الدالة بين البراءة والاحالة
فيما غضه العتب بثقافه اظهر الاستعفا وجلب الى نفسه البلا
واسلم النفس اختيارا وآثر الحبس فرارا وتوسط الملوك بين

السلطان

السلطان وبينه على ان يجبر بعض المنكسر من خاص ماله بما استفضله
طول وزارته من مرافق اعماله فابى ان ينزل عن درهم الا
بعزله وحبسه الى شاهق قلاعه صنيع المتبرم بالعمل المتنغص
بالامل المستسلم لبليته المتهالك بالمنية واختار عند ذلك السلطان
الدهقان ابا اسحاق محمد بن الحسين وهو اذ ذاك رئيس بلخ لعمالة
الديوان واستنظاف البقايا على العمال والسكان بنيسابور
وامضه الهماسته احدى واربعماية فانحدر الى هراة وجبى من
الاموال ما درت اخلافه ولانت على المس اعطافه ولم يلبث
الا يسيرا حتى حمل حملا كثيرا والوزير ابو العباس بعد في صدر
الوزارة والشيخ الجليل ابو القاسم يسعى بينه وبين السلطان
على سبيل السفارة يروم استصلاحه اياه كي ينسد به مكانه
ويستد الى عرض الاستقامة شانه وهو يابى سوى اللجاج
في اللقا العوك على حدة المزاج حكما من الله عليه رده وقضا
سابقا اعيا العالمين صده وما زالت هذه حاله لزوما
للصدر على ما به من ضعة القدر الى ان ركب بنفسه الى
قلعة غزنة مستترا وخابر عمه الى الاعتقال عما تولاه وبتمحا
بجملة ما حواه واقتناه فلم يسمع بمثله رجلا يشتري الحبس اختيارا
ويستقل صرف الزمان بدارا وغاظ السلطان ما اتاه فامر
ستبذل له الخط بغرامة افتداه على امواله وذخائره فبذل خطه بمائتي
الف دينار ثم لم يزل يستدر الى ان عوض حال الفاقة وعدم
الطاقة ثم استحلفه السلطان بحياة راسه على ظاهر افلاسه

وعلى اهراق دمه وان وجد على الطلب لدماك مفرقا او مجتمعا • ومد فونا او مستودعا وبقى على حالة يتنابه اولاده معفى عن الارهاق والعنف • مصونا عن التحامل والتكليف • الى ان ظهر على ما ذكر له لدمائك عند بعض التجار ببلخ وديعة فاخذوه وامر بوضع الدهق عليه لاستصفايه • واستخراج ما وقاه بنفسه ودمائه • وما بقى من دمق جاهه ومائه • واتفقت للسلطان غزوة حالت بينه وبين مشاهدة حاله • واستبرا ما يصدق او يكذب من مقاله • والدهق يستمر به على الدوام • وينال منه يوما بيوم حتى اتاه اجله • وحاق به ما كان يستعجله • وذلك في سنة اربع واربعمائة

ولما عاد السلطان وراه ساه ما سمع فيه وهيهات اين من المسا ة،
روح مطموسة • ونفس بين اطباق الثرى مرسومة • كذلك من آثر المخلوق على الخالق • ولم يعتبر بالماضين في الزمن السابق • وقد كان ادرك له ولد في صدر وزارته يعرف بابي القاسم محمد بن الفضل فبرع على سمة الشباب في وجوه الفضائل والآداب • حتى استطار ذكره واستطال قدره • واستفاض نظمه ونثره • فمن شعره قوله في ابيه من قصيدة ••

• لقد ارى ابو العباس جودا على جود الربيع لمعتفيه •
• ففي احدى يديه ممات قوم وفي اخرى الحيوة لمرتجيه •
• لقد خضعت لك الدنيا وانت تمل من في سواه فتى يقيه •
• واقبل نحوك الاقبال حتى بدا ابصرا وانت النور فيه •
• فنور الف نور في سعيد ارفع الجد في عيش رفيه •

ولـه

ولـه ابجة لغيره

• ورب بحية قادت الى القوم مصة ليسكنها من كان يعشقها قدما •
• فقام اليها واحد بعد واحد ولم يرد بنا يعلمه الا ولا دما •

واذ ركته حرفة الادب فاختطفته يد المنية انضر ما كان عودا وانشه عمودا واظهره سعودا واحمد قياما وقعودا وحكى بعض اصحابه انه اصبح ذات يوم يروي بيتا تلقنه في المنام وهو



ارى الدنيا وزخرفها كاس يدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس

فطير اسمه ولما قضى نحبه زاد ابو الحسن الموصلي الكاتب فيه ابياتا وهي

ابعد محمد بن الفضل ارجو امانا لي من الدهر العماس
اساس الفضل كان به فاودى وابقى الفضل مهدوم الاساس
فتى في نظمه والنثر يزري على ابن ثوابة وابي نواس
راى في النوم معجزة جرير يقصر دونها وابو فراس
ارى الدنيا وزخرفها كاس يدور على اناس من اناس
فلا تبقى على احد كما لا يدوم بقاؤها في كف حاس
ساحفظ عهده ما دمت حيا وحفظ العهد من كرم النحاس

ورثاه بعض اهل العصر بقوله ••

• يا عين جودي بدمع ساجم على الفتى الحر ابي القاسم •
• قد كاد ان يهدمني فقده لولا التسلي بابي القاسم •

وسد الله مكان الماضيين بابي الحسن بن الفضل المعروف بالحاج بفضل ساطع نوره وعلم جامع سوره وحلم ثابت طوره وجود

موكل بإنشار آمال الأحرار صورة في حصافة الكهول جبار الرأي
في شجاعة السيول ذهن الشاب في غرة السماحة • قدم الحبا في
ذلول الفصاحة • ندب لأعمال الجوزجان فدرب على أسباب ولاية
ونقل إلى أعمال بست فضاق عن فضفاض كفايته بصون الأعمال
صيانة عرضه عما يصديه • ويحيي الآمال الجاه شرف أبيه
ويميت بدع الرسوم أمانة ذكر أياديه ••

تسموا الرجال بآباء وآونة تسموا الرجال بأبناء وتزدان
كم من أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

ذكر وزارة الشيخ الجليل أبي القاسم أحمد بن الحسن رحمه الله

قد كان الشيخ الجليل أبو القسم يلي ديوان الرسائل للسلطان
أيام سالاريته بخراسان وهو الكريم نسبا العريق مجدا وحرمة
الوثيق رأيا وروية • تنادي عليه أقطار الأرض بفصاحة
القلم • وسماحة الشيم ونفاسة الهمم • واحتقار الدينار والذ
ودرجه وقاوم للسلطان على تصاريف الأحوال به إلى أن
ولاه عرض عساكره في أقطار مملكته وزاده أعمال بست والرخج
وما والاها بأموالها وارتفاعاتها علاوة على ما ولاه فقام بجميع
ما تولاه قيام من وفقه الله وحدا إليه جوده بني الآمال من
أطراف البلاد فوسعهم جداه وعمهم نداه • وكتبت لهم أمانا
من الفقر يداه • فأما مروءته فما يؤمن بالمعجزة الصادقة الصادعة
منها إلا من شاهدها عيانا • واستغنى بعدول الحساد عليها
سترا وامتحانا • وكان الوزير أبو العباس لا يصدر إلا عن رأيه

ولا يحتشم غيره في تصاريف عزماته وإمضائه • لفخامة شأنه
ومكانته المعروفة من سلطانه ووساطته بينهما في معظم ما يتوجه
ويرجيه ويحبه ويبقيه ويذره ويأتيه ويقدره ويفوته ولما
دهت عليه قوة أمره وانكسرت سورة جمره واتفق للسلطان
أن رحل نحو نارين في الغزوة التي تقدم ذكرها استخلف الشيخ
الوزير أبا القاسم على مهمات بابه وأمداد صاحب الديوان فيما
يليه ويحبه بصواب رأيه وبعثه على مواصلة الحمول عن فرط
جده وغنائه فهو متسم بالوزارة غير متسم بها إلى أن اتفق
للسلطان استدعاء صاحب الديوان في عمال خراسان لرفع
الحسبانات وتقرير المعاملات فنهض إليه كل رئيس ومرؤوس
وشريف ومشروف ومستعمل ومعزول وسمين ومهزول
قد اتخذوا الطعم والقضم حراما • ووضعوا الأرواح على
الراح توكلا واستسلاما • ووافق وصولهم ركضة عن مساع
السلطان إلى الهند فسبب عليهم لأذناب أهل عسكره ما رآه
ووكلهم باستخراجه في مدة يومين لا يتمام الركض وضيق رقعة
الوقت فعضوا أعصب التسليم وسلخوا أسلخ العصم واتموا على
جمر الضرم • ونكسوا على الهام والقمم • حتى اعتصرها منهم
عن تضاعيف اللحم والدم • وعندها صبت السلطان على
الشيخ الجليل خلعة الوزارة • وفوض إليه مهمات الإمارة • وأمره
بمحاسبات العمال ومطالبتهم بما صار في ذممهم من الأموال
محكما في الحل والعقد • مخيرا بين الأخذ والرد • وسار السلطان

نحو مقصده • واقبل الشيخ الجليل على ما جعل بصدده • فهذب
الامور ونظم المنثور ووظف الاموال وصرف العمال ورد
صاحب الديوان ابا اسحاق على جملته الى خراسان مستوفيا عليهم
ما لزمهم من حاصل وباق وعتيق وناض وقعد في الدست
كالبدر المنير • والسيف الشهير منفردا بالتدبير • محتشد الروية
الملك وهيبة السرير فلما اتفق عود السلطان الى قرار
عزه وشاهد الامور في كنف وزارته منظومة العقود مضبوطة طه
الحدود والاموال وافرة الربوع حافلة الضروع رسم له
بان يتحدر الى خراسان مستنظفا ما ونى او وهن صاحب الديوان
في جبايته واستيفائه • وقصر او قصر عن تبرضه واستمرائه •
فانحدر الى هراة وهيبته تاخذ النفوس بمخنقها • وتخلج القلوب
عن معلقها • ويكاد ينطق له كل مال مخزون • ويلفظ اليه كل
درهم مدفون عن شح النفوس بما جمعته • واستكراهها عما
منعته مالا لم يسمع بمثله محمولا من خراسان اذهابا واوراقا
وغضابا دقاقا وغلمانا رشاقا وافراسا عتاقا • وتلاحقت الرقايع
على صاحب الديوان بما ناله من صنوف المنافع ووجوه المطامع
فسامه السلطان تصحيحا وتسبيبا وحملا الى بيت المال قريبا
فاعتزل العمل ونزل عن كل ما حصل • ودع من بعد الى خاص املاكه
وضياعه ومواشيه وكراعه وتجمله واثاثه حتى خلى اثاثه • ونقل
ما اعتقد منها الى ملك مصادرته وما جمع عليه من بقايا عمله
وكان الوزير ابو العباس قليل البضاعة في الصناعة لم يغن بها

في

١٤٦

انتقلت المخاطبات الى العجمية
في مدة وزارة ابي العباس
ثم ردها الوزير ابو القاسم
الى العربية

في سالف الايام • ولم يرض بيانه بخدمة الاقلام • فانقلبت
المخاطبات مدة ايامه الى الفارسية حتى كسدت سوق البيان
وبارت بضاعة الاجادة والاحسان • واستوت درجات العجزة
والكفاة • والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة • فلما
سعدت الوزارة بالشيخ الجليل ابي القاسم اسعده الله واسعد
به جدود الافاضل • وورد بمكانه خدود الفضائل • ورفع
الوية الكتاب وعمر افنية الاداب بحزم على حشمة ديوانه
ان يتنكبوا الفارسية الا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه
وعجزه عن فهم ما يعرب به عليه • وطارت توقيعاته في
البلاد ولا شوارد الامثال وابيات المعالي من القصايد
الطوال ففي كل ناد نداء بالكابها • وفي كل مشهد شهادة
ده باستحسانها • فاما الشعر فقد نشر عليه ملحوده وسعد به جدوده
وفتق بالعذاب الزلال صعوده • فاربابه كالعنادب تغريدا
بمناقبه • والقماري تسجعا على الغصون المادي من ضرايبه
فهو بعد له في الناس غياث ورحمة وبفضله لاهل الفضل
ثمال وعصمة • وانفذ تدبيره البلاد والعباد بناء على الاساس
وطلبا على الابساس واخافة مع الايمان ومكافاة بالاساءة
زا والاحسان واستمرا بجراح القلوب بمراهم الترغيب وانكا
بمعروف العمارة سابق التخريب واشارة على السلطان في
امور مملكته بما يفيده عاجل التوفير • واجل الثواب العزيز •

لاجرم انه استتب الامور بعنايته • وانسدت الثغور على ارائه
وكذلك من كان على العلم ايراده واصداره وعلى البصيرة ارجاؤه
ومداره • **ذكر شمس المعالي قابوس بن وشمكير وما ختم به
اجله وانتصاب الامير فلك المعالي ابي منصور منوجهر منصبه
ووراثته مملكته** قد كان ذلك الامير على ما خص به من المناقب
والراي البصير بالعواقب • والمجد المنيف على النجم الثاقب • مر
السياسة لا يستساغ كاسه • ولا يؤمن بحال سطوته وباسه
يقابل زلة القدم باراقة الدم ولا يعرف في درجات العتاب
وان لم يقصد اليه مراده • ولم يشترك في كتبه اعتقاده • غير
حز الانتقام بحد الحسام • والتفليق عن مركب الهام • ولا
يفكر العفو عند الغضب ولا يعرف معنى السوط والخشب
ولا يرى الحبس الا ما بين الصفائح والتراب • وهلك على خشونة
هذا المس وصعوبة هذا البطش فئام من حاشيته لو استبقاهم
على خفة اجرامهم لكان اشبه بالجلالة واليق بالاصالة والعدالة
فما زالت هذه حاله حتى استوحشت النفوس منه وانقلبت القلوب
عنه ووحشت الصدور عليه ومالت عنه الاهواء المائلة اذ
كان احد لا يامن العثرة ولا يملك العصمة ومتى كان العقاب ملحقا
بالخطا اليسير صارت النفوس مجاحة • والارواح مستباحة
والمرؤس الشعر لا من ذرق النسر هوادا مات مقذفات
وليس مما يعود بعد ذوي العود واتفقوا ان حاجبا له كان يعرف

بحاجب

بحاجب نعيم وهو احد الوكلة في حدود جرجان بدبير العامة
والعاربة سليم الناحية من بين امثاله الكاشة • وكان اعتمده
لضبط استراباذ وسياستها فرفع عليه انه طمع في بعض ما ساها
في مال او مال الى الانتفاع منه بمال فامر بقتله وتعليقه
عن حبل رقبته وهو يستغيث مفصحا ببراءة ساحته • ونقاء جيبه
وراحته • وقصور ما نسب به عليه لو صح اسناده عن اباحة نفسه
واراقة دمه فزاد قتله في ايغار الصدور واضغان القلوب
وتوامر عند ذلك اعيان العسكر على خلعه ونزع الايدي عن
طاعته • وكآبة النفوس شغلها بثقل وطاته وخشونة سيا سته •
ووافق هذا التدبير منهم غيبته عن جرجان الى العسكر بجاشك
لهوانها عن نفح الحرور عند طلوع الشعرى العبور فبنى عليه
وجد الصورة • وشد عنه علم تلك المشورة • فلم يرعه ذات
ليلة غير زحام العسكر بباب القلعة التي اعتصم بها وانتهابهم
امواله وافراسه وبغاله ومرامهم قتله واستنزاله فهرب في
وجوههم من كان بنواده ولا بفنائه محامين من ورائه حتى انكشفوا
عنه صاغرين • وولوا على اعقابهم داحرين • ومالوا الى
جرجان فتملكوها عليه معلنين من شعار العصيان • لابسين
عار الكفران • وبعثوا الى الامير ابي منصور منوجهر بن قابوس
وهو بطبرستان يستحثونه على الورود لعقد البيعة له وزفاف
الملك اليه فطار اليهم بقوادم العقاب استعظاما للحادث
بابيه واكبارا لما نفذ من المكيدة فيه • وطمعا في تدارك

الخطّ وتلافيه. فلما دنا منهم مضربه تواقفوا على طاعته
ان خلع اباه وابتزازه رداء الملك فلم يجد في عاجل الحال غير
المداراة ضبطا لما انتشر ورتا على ما استحر وصونا لستر الحشمة
من الانخراق وابقاء على سكر الفساد من الانبثاق. واشفاقا
على البيت من الضياع. وعلى الملك من التخطف والانتزاع.
وقد كان شمس المعالي لما سمع بنبأ القوم واجتماع كلمتهم على الخلع
عطف بمن معه من رجاله ومال الى ناحية بسطام ناظرا
ما يسفر عنه عاقبة التحزب. وينتهي اليه نائرة التغلب والتوثب.
فلما تسامعوا بمكانه حملوا الامير منوجهر على قصده وازعاجه
عن مكانه او رده فسار معهم اليه مضطرا او دافعا بالشر
شرا كالجمل الانف ان قيد انقاد وان انيخ على صخرة استناخ
فلما وصل اليه اذن له دون من يليه من اتباعه وحواشيه
اذ قام دونه من خاصته رجال يرون الموت شهدا دون
خذلانه. والروح وقفا على شكر احسانه. فلما وصل اليه
كفر طاعة وخضوعا واسال اودية الشؤون دموعا وتشاكيا
صورة الحادث. وتذاكرا حق الموروث والوارث. وعرض
الامير منوجهر ان يكون حجابا بينه وبين اعاديه وان
ذهبت نفسه ورأى شمس المعالي ان العارض قصار
امره وحمام عمره. وانه الاحق بوراثة ملكه وولاية الامر
من بعده. وسلم خاتم الملك اليه من يده. واستوصاه الخير
به ما دام في فسحة من امده. وتواضعا على ان ينتقل هو الى

قلعة جناشك متفرغا للعبادة الى ان يأتيه يقينه مسلولة
نفسه ودينه وان يتفرد الامير منوجهر بتعهد الملك قربا
وتقديرا وتقديما وتاخيرا وقدمت اليه عمارية على هذه
الجملة فانتقل الى القلعة المذكورة مع من رضيه لخدمته ومعونته
على تحري مصلحته وعطف الامير منوجهر الى جرجان فولي الصدر
الصدر وضبط الامر واخذ يداري القوم ترغيبا وتطميعا
ويسيمهم الاحسان جميعا ومنهم على جملة النفور خيفة الثؤور ما دام
شمس المعالي في فسحة البقاء وزمرة الاحياء وما زالوا في الاحتيال
عليه حتى فرغوا عن امره وسلموا كما زعموا من عادية شره
ولم يرض وهو في صوان الاثواب حتى كشفوا عن محياه ردا
رداه فطالبوا نفوسا حين عدموا شمس المعالي قابوسا ووارو
في مقبرة كان ابتناها لنفسه بظهر جرجان على سمت خراسان
وغدا الناس في معناه كما قال مهلهل.

نبئت ان النار بعدك اوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس.
وتفاوضوا في امر كل عظيمة لو كنت شاهد امرهم لم ينبسوا.

وعقد الامير منوجهر المأتم ثلاثة ايام على رسم الجيل في
حشو الرؤوس وضرب النفوس ورفض المنام وهجر الطعام ولما
قضى ايام التعزي نسي المقبور. واستونف على البيعة السرور.
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
ولما سمع القادر بالله امير المؤمنين بخبر شمس المعالي واستيفاد
قضاء الله تعالى به خاطب الامير منوجهر معزيا ومسليا ولقبه

بفلك المعالي مشرفا ومجليا وعزم الله له على الصواب في اختياره
والرشد في ايثاره ففزع الى السلطان يمين الدولة وامين
الملة معتصما بحبله معتصرا ابطله مستظهرا بطاعته مستبصرا
في مشايعته مستخشيا ردا عنايته متلافيا وهن المصاب بقوة
اشباله ورعايته • وانفذ عدة من ثقات بابه بمبار موفورة
ونفايس مذخورة • ورسايل على صدق الاخلاص وصفو الامحاض
مقصورة فصادف ما رجاه رغبة في موالاته • وحرصا
على تمهيد مرضاته • وتردد السفراء بينهما على رايه هذه الحال
وتوكيد عقدة الوصال • واحتكم السلطان عليه في اقامة
الخطبة على منابر ولايته • امتحانا لمصدوقة عقده في موالاته
وانفذ اليه ابا محمد الحسن بن مهران احد ثقاته بما راى اصحابه
من نفايس طرفه وكراماته فصادف منه قريبا مجيبا وسميعا
مطيعا وامر باقامة الدعوة باسمه على منابر جرجان وطبرستان
وقومس والدامغان والتزم في السنة خمسين الف دينار
اتاوة على حكم الطاعة والاخلاص علاوة واستدعى السلطان
على تقفية ذلك وقد عزم على غزوة ناردين انجاد حشمه بطايفة
من الجيل والديلم يحسنون حروب المضايق • ويعنون عناء
الكماة البطارق • فسرب اليه الفي رجل من خلص الجيليين
ان رابوا الوعور فوعول • او قصدوا السهول فسيول • وقد
امر بازاحة عللهم في اعطياتهم • ونصب لهم من يقيم اود
حاجاتهم • ويطلق مدة الحاجة الى غنائهم واجب ارزاقهم

واستحقاقاتهم

واستحقاقاتهم ولما استحق على السلطان بآثاره في القربة مزيد
الرتبة • ومساعيه في الطاعة قضاء الحاجة • انفذ ابا سعيد
الشبولكي المقدم فضلا وادبا • المحتشم حسبا ونسبا • لاقتضاء
مزيد الحال بوصلة تقوم الكفاة بخطبتها عنه والطاعة
باستيجابها له فنهض وخفارة الادب تهذبه • وكفالة الرفق
ما يذره وياتيه • ولم يزل ياتي الامر من بابه • ويستطلع المرام
من حجابه • حتى اسمحت قرونة السلطان لما استدعاه واوجب
الاسعاف لما توخاه • ولما انكفا الفاضل ابو سعيد وراءه
بصورة الايجاب • وما صادفه من ثمرة الجد للاطلاب
حشمه الامير فلك المعالي معاودة الحضرة مع القاضي بجرجان
وهو شيخ العلم ورواية الحديث ورضيع اخلاف التدريب
والتجريب لتنجز النجاح • وتاريب عقدة النكاح • فنهضا الى حضرة
السلطان مقيمين رسم الخدمة • وخاطبين ضم السدى
الى اللحمة فراى السلطان تحقيق مبذول العدة • وعصيان
سلطان النفس طاعة لرب العزة • وقلد للامير فلك المعالي
جلبابا من كرمه • وسمح له بزهرة الارض من نجوم ولده • واي
نجم كان في فلك المعالي مداره • لم يبعد داره • اي ومدار
النجوم الافلاك • وازواج الملكات الاملاك • وجرى من
الاستبشار باتحاد النفوس والديار • وصب النثار وصوب
المبار كالغيوث الغزار • ما ارخ به كتاب الدهر • ووسم
بذكره سابقة العصر • وعاد الرسولان بدرك النجح الموقوت

ولا السعدان يقترنان في الحوت وعندها تكلف الامير
فلك المعالي حرمة للقرى وكلمة بين يدي النجوى ما لا يبين
من رآه على اختلاف اصنافه • واغراب نقوشه وافوافه • ان
له همة الى قمة الجوزا مرفوعة • ونية على صدق الولا مطبوعة
ولم يبق احد من اركان الدولة وحواشيها والراتعين حول مراتعها
من لم يضرب بسهم من سهام اللطف ولم يشترك في البر المعقود
بالشرف لا جرم ان السلطان رعى حرمة قرباه وجزاه عما
سمحت به يمناه وافرد من قواد جيوشه وافراد رجاله بخلع
علمت جانب الملوك كيف شريطة الجود والسماحة بالموجود •
وتقضي المجد بعفو الرأي دون المجهود • فاما ما يجب دون
الصدف وياقوتة الشرف فما كان طال عهد الدهر بمثله
مجموعا في مكان ومحمولا من خراسان ولا غرو فالشمس تغني
البدر نورا والبحر يدع الخليج مسجورا • وقد كان الامير
فلك المعالي بعد ان استتب له امره • واشتد بمظاهرة السلطان
ظهره • دمر على اعيان عسكره المشتركين في دم ابنه صدع ذات
بينهم بوجوه الحيل وانواع العلل حتى اباد خضراهم • وسقى دما
الارض دماهم • واحتر ابن خركاش وهو القريب العاق • والنسيب
المشاق بالداهية الدهيا فانسل بانصابين سمع الارض وبصرها
تاباه الرعان والاباطح وتلفظه القيعان والسباسب ثم ماس
جانب الفرار طلبة هامة الماضي بالثار فهام على وجهه لا يقفه
تفيض بين تشريق وتغريب • وتصعيد وتصويب • وكان احد من

اثار

اثار ذلك الشر على شمس المعالي على ما تشاهدت به الاخبار ابو
القاسم الجعفري وكان صاحب جيشه فانحدر الى ابن الجيد كان
يرى كل صيحة عليه وكل حشيش بهما يمس اقوات جنبيه فامهله الامير
فلك المعالي زمانا حتى ظن ان له دون شؤون الآخرين شانا ثم
اطباه بتطميعه وترغيبه حتى اعلقه حبالة الاقتناص • وآيسه
من الطمع في الخلاص • وان لله حكما في امور عباده معلقة باماد
معلومة وغايات محدودة فليس فيها مستقدم لما تاجل ولا
بعدها مستاجل لما تعجل فاحتال ابو القاسم حتى انسل هاربا •
واعتسف البيد جانبا • وما زال على حاله واجبا له حتى وردنيسا
بطن وبعض الظن اثم ان انقطاعه الى السلطان يمين الدولة
على تعلج واخله وارهانه بسالف فعله وقابله مع ما تمهد في
ذات البين من عقود وتاكد من عهود • واشتركا فيه من طارف
ومتلود • نكل عنه ما يحق عليه من باس الله واستقامه كلا ان سوء
الفعل مخذول والقائل لا محالة مقبول وشر المحن ما اوحش
بالخلاص قبل ابانه • واستيفا مدة النجح على نجوانه • انه ليوهم
النكال ثم يعقب الهلاك كالهرة بطمع الفارة في الخلاص
حتى اذا كانت منها على غلوة لحقتها بعدوة لا جرم ان السلطان
لما انهى اليه صورة حاله • وما قبل ما يسمع بسوء نعماله ابو بردة
وراه في عقاله • ولقد احسن ابن الرومي في مقاله • شعر

الخير مصنوع بصاحبه فمتى فعلت الخير اعقبكا
والشر مفعول بفاعله فمتى فعلت الشر اعطبكا

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمكير

قد كان دارا بن شمس المعالي بعد استيمانه من جانب ابي علي محمد بن
محمود بن سيمجور الى الامير نوح بن منصور الرضي مقيما على خدمته
مقيما في نعمته في جملته الى ان فتح الله على ابيه جرجان وطبرستان
فانحاز اليه مستعينا بخدمته على خدمة غيره وصادف من الايناس
والايناك على ما اقتضاه حكم الابوة والبنوة ثم حدره شمس المعالي
الى طبرستان فاقام بها سدادا دون مخالفيه • وزماما على اوليائه
ومعامليه • واستنهضه منها على قرب بغية الغيبة لديه فاتاه وهو
باستراباذ يريه صحة اديمه • واستوا جديده بقديمه • فاحسن
استقباله وانزاله ثم دعاه في وقت اوثاب به فركب على قصد
مجلسه ثم عطف عطفة الليث الحادر نحو خراسان بين صياصي
تشكو الاراقم بينها ضيق المجال والمضطرب • وصعوبة المنساب
والمنسرب • واستصحب من وافقه ووافقه من غلمانه واهل الثقة
به والى ان عرف شمس المعالي خبره واستركب لاقتناصه عسكره
ما قد طار به الركض • وحالت دون منالة الارض • ولما شافه
حد خراسان رفرف الامنة عليه بجناحها الى ان ورد حضرة
السلطان يمين الدولة فقبله احسن قبول • ولقاه حسن مقول
ومفعول • وما زال يرفع منه تنويلا وتخويلا • وتفخيما وتبجيلا • حتى
اعتوره فضل الانبساط وعزة الانتساب بما هدم قرينه وهدم رتبته
واستوحش من عارض الاعراض • واشفق من رهق التغير والانقباض
فلاذ بظل الليل هربا • وبات يطوي الارض تقريبا وخببا • وامر

السلطان

السلطان بطلبه واتباعه في وجه مهربه فالحق حيث قامت الخيول
تعبا • ولم تجد السيوف عليه مضربا • فقر هو على وجهه ملتجئا الى
الشار المعروف بالشاه كالك بينهما في الصفا معمور • واصول
ودا بالوفا ما بوره • فلما استقر به المكان وخبر حاله السلطان
كتب اليه السلطان فاسترده وخوفه ان ابى عليه ما بعده فا
ضطر الى رده واسلامه عن يده وبقي في الحبس مدة يكابد بوسا
وشدة الى ان وجد فرصة الانفصال لعروق العقال ففارق
معتقله من حيث لم يطلع فيه احد ولم يكن ليغني عنه لولا المقدور
راي ولا جلد ○ وابت عليه لجاجة المحنة ان يتم خلاصه •
ويستتب له مناصه • فاعثرت عليه حتى اعيد في وثاقه وزيد
في ارهاقه • الى ان شرح الله صدر السلطان لاطلاقه • فانشاه
نشاة ثانية • وانبت ريشه قادمة وخافية • واعاد
حاله بالاحسان حالية • وبدع على ايدي الاصحاب عالية •
ووجهه لولاية جرجان وطبرستان معضودا بابي الحارث ارسلان
الجاذب وذوي النجدة من كماة الرجال وكفاة الابطال لولا
ان الامير فلك المعالي منوجهر سبق تمام الراي باظهار الطاعة
وعرض ما وراء الوسع والطاقة ولما حال لحرمة القرب
دون الاختيار عليه استرده السلطان الى حضرته مجرى يجري
العقل اركان الدولة واخدان العشرة لا يفارقه في حفلة •
ولا يزايله في خلوة • ولا يقعد عنه في وقت ركوب • ولا ينفرد
دونه بكوز وكوب • الى ان ورد الامير ابو الفوارس بن بهاء الدولة

حضرة السلطان منتجعة من كرمان لقصد عسكر اخيه ارتياده
مستظهرا به على معاودة مملكته • وارتجاع بيته ونعمته • فجمعهم
ليلة مجلس دارت فيه الكؤوس وطابت النفوس وجرى حديث
السلف والخلف واعراق من اعرق منهم في الشرف فنطق
دارا بما لو سكت عنه لكان اشبه بجو الحديث وحكم الحشمة ووقت
الاجتماع على رضاع العشرة • وحمله رمز الانكار عليه على قصد
المراداة • وركوب المحاقة حتى تادى به الامر الى ازعاجه عن
مكانه • واستحالته بغصة المذلة على سلطانه • وامر به في عدد
فردية العقال وحمل الى بعض القلاع وقبض على ضياعه فاجرت
مجرى الجوزيات تستغل اسوة سايرها الى ان سال الشيخ الجليل
الوزير في بابه فامر بردها عليه معونة له على مصلحة حاله
ومؤونة اعتقاله وذلك في المحرم سنة تسع واربعمائة

ذكر مجد الدولة ابي طالب بن فخر الدولة

قد كان فخر الدولة كتب الى حسام الدولة ابي العباس تاش
وهو بجرجان منحدره اليها عن خراسان على لسان الصاحب يبشر
بولادته • واجرى الله اياه له في الصنع له على كريم عادته • وكان
مما كتب وقد رزقني الله ولدا كنيته ابا طالب طلبا للسلامة
في مدته • وسميته رستم لانه من اسماء انصابه وارومته • فلما
اخترمته المنية بايع الناس مجد الدولة الامير التي قامت عنه
كانت اختا للاصبهبذ بفوريم وسائر مملكة الجبل وهي في منعة من
اهلها • وعزة من جانب ارضها • فتملكت على الديلم واستاثرت

بالامر والنهي

بالامر والنهي والحل والعقد وجرت بينه وبينها مناوشات
ومكاوحات ادت الى استنهاض بدر بن حسنويه اليه وامتلاك
الري عليه وجرت بينهم مناوشات افضت بالديلم والا باهل
الري نائبا الى بؤس وفاقة • ودماء مهراقة • وفتن ليس فيها قدر
فواق من افاقة • وعن كل قريب يعود الخلاف جذعا وحبل الصلاح
منقطعا فينتج عنه ابادة الرجال واستباحة الاموال وشرود
الصلحاء في البلاد • وضراوة السفهاء بالافساد • ولما عرض مجد
الدولة بالامر • وبما يتقدم على الدوم من شرار الشر • آثر
البر في الاعتزال عن سمة الامارة • وحمله الاعتراف لها بالطاعة على العقوق المفضي بمن بحث ولايته ورعايته الى خطة الاحتناك	عنه •
المتسفي بهم على خطة الاجتياح والاستهلاك فلزم البيت منفردا
بالكتب والدفاتر ومستضيا وجه الفضل بسواد المحابر وانفرد
اخوه شمس الدولة بولاية همذان وقرميسين وما والاها
الى حدود بغداد اذ ورث بدر بن حسنويه اموالا عظيمة •
طال ما حفظتها صدور القلاع مكتومة • وخفقتها خيوط
الاكياس مختومة • ولم يلبث الا قليلا حتى استغرقتها صلات
الرجال • واستنفدتها حقوق الآمال • شيمة له في التحقق با
لفضل والتخرق في البذل وقد كان ابن فولاذ حمر في دولة
آل بويه امره وارتفع قدره • وانتشر صيته وذكره • والتفت
عليه صناديد الديلم ومشاهير الاكراد والعرب فسال مجد
الدولة والكافلة بالتدبير ان ينزلا له عن قزوين طعمة

له ومن معه ليتفرد بولايتهما وجبايتهما ركنا من اركان دولتها
وظهرا من ظهور حوزتها • يذب عنهما بسيفه وسنانه متى دهاهما
خطب او دخن على نار رمتها حطب رطب وضنا عليه بها لضيق
رقعة الملك ونكو دره الدخل واوليا اليه بظاهر العذر
فقصد اطراف الري على جملة العصيان يفسد ويغير • ويقطع
دون اهلها السبل من نمير • ويملك عليهما ما يلي جانبه من قرى وضياع ع
وربع وارتفاع • الى ان استعانا بالاصبهبذ المقيم بفريم فاتاهما
في جراجة ضخمة من الجبلية اولي الباس والنجدة فناوشوه القراع
وصدقوا المصاع • وجرت بينهما في شعاب ملاحم استلحمت كثيرا
من الفريقين واصاب ابن فولاذ في ساقه نشابة اثخنته فولى
فيمن معه على سمت الدامغان حتى الحمها فورم الورث وعالج المرتث
وكتب الى فلك المعالي منوجهر يستمده على عسكر الري على ان يقيم
له الخطبة ويظهر الطاعة ويلتزم الاتاوة فامده بالفي رجل
يوزن آحادهم بالالاف وافرادهم باضعاف يرون الشرف فرضا
لمرمات تحت المشرفيات والتنزيب حقا على من حاد
عن التثريبات ووصل جناحهم بما اقتضى به حق انقطاعه اليه
واعتماده عن ظهر الثقة عليه ونهض نحو الري حتى اناخ بظاهرها
فاعادا الامارة • ومنع المايرة والمادة • وغادر الديلم بها
في ضنكة البلاء وضيقة اللأواء حتى اضطر مجد الدولة ومن
وليه لتدبير الى اشارة باصبهان فعقد له عليها وخلى بينه
وبينها استمالة لقلبه واستعادة من شره فطارت عند ذلك

نعرة

نعرة الخلاف عن راسه • وزحلت وحرة العناد من صدره واقبل
يروض عسكره عن رشاد وسداد • ويغل ايديهم دون امتداد
الى فساد • وصرف عسكر الامير منوجهر وزادهم بذكر حال صلاح
صلاح حاله عن رجاله • وعطف الى اصبهان خاطبا لمجد الدولة
على منابرها وذلك في سنة سبع واربعماية وكان نصر بن الحسن
بن فيروزان قد انقطع الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
واقام على خدمته الى ان جعل ناحية بيار وجومند برسمه فنهض
اليها واقام بها يستغلها ويتوفر عليه الى ان دعاه مجد الدولة
من الري فاعتسف البيد اليها اشفاقا من عسكر شمس المعالي
قابوس ومكايده وعيون رباياه ومراصده • فلما وصل اليها
عرف له حق قرابته • وتوبل بما اقتضاه حكم طاعته واستحماسته
وبقي هناك سنين يرجع اليه في الراي والتدبير • ويوثق
به في التقديم والتاخير • الى ان عثر منه على ممالاة لبعض
المخالفين فقبض عليه وحبس في قلعة استوناوند ومازال بها
محصورا • وفي مخلب الامتحان ماسورا • حتى عفي عما جناه ورد
ثانيا الى ما تولاه • ووافق ما به طمع الديلم بكار الهيبة لعدم
السياسة • وانفراد مجد الدولة في بيته بالدراسة • وتبسط
الديلم فيما شاوا من غصب وقطع ونهب وكبس ونقب لا يرتدع
منهم الا من اشعره الله المخافة • واودع صدره الرحمة والرافة
فانبرى نصر بن الحسن لقمع اولئك الضلال فاجتاح منهم فريقا
واوسع اخرى تمزيقا وتغريقا • فلما راى القوم ما دهاهم في

اصرابهم من حضرته واستيصاله • تجمعوا على قصده وقتاله •
واحاطوا بداره فداهمهم بخاصته مليًّا ثم انثنى عنهم منهزمًا •
وغادر ملكه في الدار منهوبًا ومغنمًا • وما زال يضطرب في محنته
الى حين مدته **ذكر بهاء الدولة وما افضى اليه امره**
قد كان بهاء الدولة وضياء الملة بعد ان فتح الله على السلطان
بسجستان راغبًا في موالاته • خاطبًا للمصافاة موثرًا المكاتبته •
حريصًا على مقاربته بحكم الجوار الواقع بين الدولتين • والصقع
الحادث بين المملكتين • ووافق ذلك من السلطان رغبة في
مثله من جهته لشرفه بنفسه وسلفه وما حيز لهما من الكفاءة
في الملك والملاءة في سعة الملك فسفر بينهما السفراء على الحام
سدى القربة • واحصاد قوى المودة • حتى خطبت القلوب
ولقيت بحبوب وتاحدت الحدود وتاكدت العهود وعندها •
احب السلطان ان يجعل المصافاة مجاهرة • والموالاة مصاهرة •
فانهض القاضي ابا عمر البسطامي شيخ الحديث بنيسابور الى
فارس النيته فضلا الوجيه محلا والامام علمًا وتحقيقًا والحسام
لسانًا فصيحًا ورايًا وثيقًا • وصادف من اجلال بهاء الدولة ○
واكرامه • واظهار التلطف عليه في مرامه • ما اقتضته
جلالة من اصدره • ومساعدة القدر له في كل ما قدره • ووافا
عليه منقولا من مجلس الايجاب الى متوسد الاكرام ومن راحة
الاسبال الى عاتق الاكبار غير ان بعيد طلوعه عليه ووافق
منه علة احدثها سوء المزاج بين الف الراحة والراح فاعياه

تجر

تجر المراد على العارض العائق وقد كان فخر الملك مقيمًا ببغداد
وهو الوزير والنصير • ومن اليه الراي والتدبير • فجشم القا
الى ما قبله لشفاه فيما يوجب صرف الراي اليه • وتاريب العقد
عليه • فاتفق مع وصوله استيثار فضل الله تعالى ببهاء الدولة
وانتقاله بروحه الى جوار ربه وبايع الناس ولده ابا شجاع ولقبه
القادر بالله امير المومنين بسلطان الدولة واستتب له طرف
الامر واعتدل عليه عمود الملك وجرى له الطير بالاماك
حسن الفال ولما عاد القاضي الى ما قبله لم يملك له من ذاته
جوابا بغيته وجوار اشغيه اذ كان دونه رسولا الى ابيه فصرفه
محملا من رسالته في زيادة الود والوفا بسالف العهد واستبرا
الخلوص بقاصية الجهد ما اقتضاه حكم الابتدا بعقد من الوداد
واستثمار الوفا على ظهر البعاد وقد كان الامير ابو الفوارس
اخو الامير سلطان الدولة بجريدة الجيوش لقصده • واستصفا
تلك النواحي واستخلاصها من يده • فنهض هو لمقاومتهم وكف
عاديتهم وقد دار بينهم حربا افنت الرجال الا اوشوابا واباحت
الارواح طعنا وضربا • واستمرت الكشفة باتباع الامير ابي
الفوارس فانقلبوا منهزمين واقبل هو نحو سجستان يوم حضرة
السلطان يمين الدولة وامين الملة ممتطيًا رجاه • ومستنهضا
كرمه لرده وراه • وقد كان انهى الى السلطان خبر اقباله فامر
ابا منصور نصر بن اسحاق النايب عن الامير ابي المظفر نصر بن
ناصر الدين سبكتكين بخدمته استقباله وتكلف الواجب من

ابزاله • وابزال من معه من طبقات رجاله • ونثر عشرة الاف
دينار له من خالص ماله فبلغ من ذلك مبلغا يشهد من كان شاهدا
بسجستان من قربها وطرابها ان احدا من ملوك هذه الافاق
لم يتكلف مثله لاحد من اولاد الملوك ولم يخل ان مثله سيسح
به تيار البحور فكيف اقطار الصدور واكتسب ابو منصور ره
بذلك لنفسه ذكرا اعقد بالنجم صفايره • واقاض على الشرق
بعضه وعلى الغرب سايره • ولما وصل الى حضرة السلطان
اوجب قضا حق مقدمه بالاستقبال • وتلقى عظيم خطره بالاجلال
وحمل اليه من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام •
والانعام • بكل ما ينتهي الى قبول الاكرام ما وقع عند الخاص
والعام موقع الاستعظام • ما خلا الهمة التي ترى الدنيا خارجة
عن ملكها • شعرة من ابشارها وصوفة من اوبارها • وغرفة
من بحارها • بل قطرة من امطارها • واقام عليه قرابة ثلثة
اشهر ضيفا لا يتميز عن الادنين ارحاما وشيجة • وانسابا قريبة
حتى اذا نشط للانصراف • والتمس معونته على عارض الخلاف •
ارتاح السلطان لما استدعاه فاعطاه فوق رضاه اموالا
احفت اقلام الكتاب • واوهت انامل الحساب • وانهض في
صحبته ونصرته واقامة خدمته ابا سعيد عبد الرحمن بن محمد
الطاى احد مشايخ بابه وافاضل كتابه في رجال قد تعودوا
النصر منذ خدموا رايته فلم يعرفوا وجه الانقلاب الا
بالانفال على الاقفال •

• تحملت صهوة اخرى شواكلها من طول ما حملت سببا على الكفل
وتوجه الامير ابو الفوارس منهزما في خاصته نحو كرمان لعلمه بها
من كان ولي عليها علما بعجزه عن المقاومة • وافتضاحه ان تعرض
للمحاكمة فملك تلك النواحي ملكه اياها من قبل واقام بها ابو
سعيد الى ان قرت تلك الامور • ودرت للجبايات الشطور •
ثم كر وراءه بمن كانوا اخص من سمة قيادته واتسق على ذلك مدة
من الزمان ثم جهز السلطان يمين الدولة وامين الملة •
وجوه الناهضين من اتباع رايته • في امر وسمه بعز عنايته
ان يقصد بما يوهم خلافا عليه حتى اذا عاودت تلك الجيوش
غزنة وانفرد الامير ابو الفوارس بالتدبير وارتاش بعد التحسير
سرب سلطان الدولة عسكرا ثانيا للمواقعة • واستخلاص
تلك المدن عن يده • فتلاقيا على حرب اشابت القرون
تحكيما لظبى الصفاح في مخارج الطلى وتحكيما لشبا الرماح على
موارد الكلى حتى تشعرت الارض من صبيب الاوراد • وتمغرت
الارض من رشاش الاكباد • وعندها زلت قدم الامير ابي
الفوارس فولى كسيرا لا يعرف قبيلا ولا دبيرا • وانتهى به
الركض الى همذان حضرة شمس الدولة ابن فخر الدولة فقضى
فيه حق القرابة اعظاما لقدره • واهتماما بامره واغتناما
بشكره • واستعداد النصرة واقام مدة على هذه الجملة حتى
استشعر او اشعر انه معوز ومقصود الى الامير سلطان
الدولة مردود فنفر نفار الابد من ضربة القابل • والوحش

من كهنة الكابل • وفارق مظنته قاصداً قصد بغداد وسنشرح
ان شاء الله بعد حاله وما انتهى اليه امره مما كان عليه اوليه
بتوفيق الله تعالى **ذكر ايلك الخان وما انتهت اليه حالته**
قد كان ايلك الخان بعد الكشفة التي انجحت عليه بباب بلخ
فركب ظهر جيحون وعاد وراءه يضطرب على نفسه غيظاً مما
دهاه واسفاً على ما اعياه ومازال يعاتب طغان خان اخاه ٥
ويستنصره خان على ما اومى من قواه وقوته مراده ومغزاه
والقدر له معاند والزمان مناكر ومناكد حتى طرحه الكمد
على فراشه ومجه عن قليل بطيب حياته فاشبعه التراب بعد
ان جوعه الحرص والاضطراب بهمة كانت معلقة بالاثير محلقة
على فلك التدبير • غير ان يد القدر فوق يد التقدير • وما
يصنع المرء بالجد اذا وافق الجد سافلة البير •

نهنه رحى تجري لها البوم اهاو ليس لها قطب اذا ادير بها
وقد ينهض العصفور كثرة ريشه وتسقط اذ لا ريش فيها نسورها

وكانت وفاته في سنة ثلث واربعمائة وولي مكانه اخوه فما لان
السلطان يمين الدولة وامين الملة ووالاه وهادنه متلافيا
بزعمه ما اخل به اخوه • وتودد اليه حيث ركب بخلافه
ذنوبه • وجاشت من جانب الصين جيوش لقصد طغان خان
وبلاد الاسلام من ديار الترك وسائر ما وراء النهر يزيد عددهم
على مائة الف خركاه لم يعهد الاسلام مثلها على صعيد واحد يريدون
ان يطفئوا نور الله بافواههم تحيفاً لما صرع اهله واوردهم

كالبورد المذي بجلة فاستنفر من خطط الاسلام حتى اجتمع اليه
من رجال الترك واحرار الغزاة والمطوعة قرابة مائة الف رجل
واستكت اسماع المسلمين من فظاعة ذلك النبأ الهائل والنبأ الما
فارتاعت له القلوب والتاعت النفوس وتناصرت الادعية
والذكور وسار طغان خان مستقبلا من اقبل اليه من جموع الكفرة
الفجرة وبنيات مقصورة على الاستقبال واستعجال الآجال
او ينزل الله نصره ويظهر حزبه تحقيقا لموعدهم على لسان نبيه
محمد عليه الصلاة والسلام حيث يقول وقوله الحق انا
لننصر رسلنا والذين امنوا والتقوا اياما تباعا على ملاحم لم يبدر
من فتق العروق وضرب الحروق وشد الخيول على الخيول الصوب
انواء امرصت دماء ولمع بروق او مع سيوف وظلمة لبال امره
دهم براك وفي كل ذلك يتولى الله عباده بالايد المتين والنصر
والتمكين حتى وثقوا بالصنع المستبين • وطلوع النجح مشرق
الجبين • وتلاقوا اليوم منصوص عليه على فيصل الحرب فشد بهم
لها نطاقه • وادار على الفريقين دهاقه • فاما اعداء الله فسكروا
سكر الشموع جوابه الحدود بالخدود والبوائك تصبت عليهم
من لدن زلاج جبين الشمس الى ان دلت سراجا وهاجا وكادت تقصر
على قمم الرؤوس تاجا • واما اولياء الله فانتشوا نشوة طربوا معها
للضرب فوق الهام والعبث بطلائع الحمام لاجرم ان الله حماهم
ونصرهم واواهم واظفرهم • فغادروا من جماهير الكفار قرابة مائتي
الف عنان صرعى على وجه البسيط عن نفوس موقوذة ودرس

منبوذه • وابعد عن السواعد مجذوذه • تقرى للضباع بل جعلى
للسباع والوحوش الجياع وافا الله على المسلمين مايه الف راس
غلمانا كالبدور واللولو المنثور والجواري كالحور العين والبيض
المكنون وسوايم غصت بها اقطار البيدا وضاقت عنها اطراف
الدهنا وشرد الباقون وراهم تشلهم السيوف شل الانعام
وتختطف ارواحهم بايدي الحمام • وتطايرت به البشارات في
ديارات الاسلام • فنضرت له الوجوه وضحكت القلوب وعم السرور
وتوفر الحبور والشكور • وتباشرت الدور حتى القصور والخدور •
لطفا من الله تعالى لدين ارتضاه • ووعدا ان يصل بيد التاييد
قواه • ولم ينشب طغان خان بعد ان فرغ من هذه الحروب العظيم
باسها الشديد مراسها ان استاثر الله به فنقله الى جواره وبواه
مبوا الصديقين من دار قراره ختم له بالشهادة وحتم عليه
بالسعادة وورث مكانه اخوه ارسلان خان ابو منصور الاصم
صنوه في النقية • وتلوه في الامور الالهية • ثبت المقام في دين •
الاسلام لا تعرف له جاهلية • ولا تنقم منه عنجهية ولا عجرفية
يقيم الصلاة جماعة ويفترض العدل سمعا لله وطاعة • وعمر
الحال التي كانت بين طغان خان اخيه وبين السلطان يمين الدولة
اظهارا للمصافاة واستشعارا للمواخاة • وايثارا للاشتراك
على تصاريف الاحوال • وخطب السلطان اليه والى اخيه الملك
كريمة له على ولده الامير الجليل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة
وامين الملة فاحسنا الاجابة واعتنا القرابة وتردد بينهما السفرا

في ذلك مدة على جملة التهادي • ورضى الكل باقتسام الايادي
الى ان حقت الحقيقة • وتمت العقدة والوثيقة • وانهض السلطان
من اخادمهم من ثقات بابه لنقل اليتيمة الكريمة بجمهور وديعة
تشاح عليها ملكان هذا صدر الملك وذاك ملك الترك تختص
بها الشبل من الليث والوبل من الغيث والبازي من البحر والصباح
من الفجر الامير الجليل ابو سعيد مسعود بن محمود يمين الدولة ○
ونقلت الى الحضرة ببلخ وقد صحبها من فقهاء تلك الدولة واعيان
رجالها من يعدوه ايمة المشرق والمطوقها ذوا المعاني لبديهة
واللسان على ما الحمت الحال بين الجنبين ورفضت الحشمة في
ذات البين • وامر السلطان اهل بلخ قبل الوصول بعقد الاذين
وتكلف التجميد والتزيين فبلغوا من ذلك مبلغا لم يسبق فيه
الوسع مذ حون • ولا من الرسم مذكور ومسطور • وراى السلطان
بعد ذلك ان يرفع من قدره فعقد له على هراة سرة مملكته
ونواحيها وسيره اليها بعد ان وصله بمال عظيم بعد ذخيرة
ويوسعه تجملا وزينة فنهض اليها راشد السيرة حميد السيرة عادل
الطريقة فاضل الخليقة خليقا بالملك على الحقيقة وذلك في
سنة ثمان واربعمائة **ذكر الامير ابي احمد محمد بن يمين الدولة
وامين الملة** جملة ما يمكن الافصاح والايضاح عنه من حاله
وذكر خصايصه قول القايل • ان السري اذا سرى فبنفسه
وابن السري اذا سرى اسراهما   قد جمع الله له من الميل الى خصايص
الادب والسعي لمعالي الرتب ما دل على انه ابن ابيه شوفا سمعت

على النجوم شرفاته • وكرما تعرفت لاهل الفضايل عرفاته • فانه
خرج من حضن الكفالة خروج الابريز من جمرات السبائك والهلال
من تحت الشعاع المتشابك • لم يعرف له طول ايام الايفاع غير
الارتفاع الى اليفاع • تصرفا على كرم الطباع وتقييدا للماثور
وبذلا لما بالسماع لفطنته بذ الطباع • وارتياضا باداب الثقافة
والمصاع • حتى اذا نزع بداه برد الحداثة • ولبس خداه طوق
الشهامة • راى السلطان ان يوفيه حق النبوة • ويوتيه
شرط المروة • ويجذب بضبعه الى حيث اقتضته الفراسة فيه
واستدعته العناية والرعاية له فزوجه كريمة الامير ابي نصر
الفريغوني والي الجوزجان كما عقد للامير الجليل وهي التي تجمع الى
الاصالة جلالة • والى الكفاية كفاءة • والى النعمة همة • وعقد
له على اعمال الجوزجان كما عقد للامير الجليل ابي سعيد مسعود
على هراة وهي التي وليها آل فريغون وهم الذين حكوا في العز
افريدون • وفي الهمة المنجنون • وفي الغزارة والسماحة جيحون •
وولى ابا محمد الحسن بن مهران كفاية امورهم وولاية تدبير
فبرز البهار والسيف بيد الصايل • وهمى على اهلها همي السحاب
الهاطل واحياهم بندى العدل الشامل • وعدل في العطف
عليهم بين الايامى والارامل • فعلقته قلوب الخاص والعام ○
النفوس موونة الاستخدام • ولما راى السلطان حميد اثره
ورشيد بخبره ازداد شغفا باثاره • وحرصا على اصطناعه ○
وايثاره • فلم يخل من جديد انعام • ومزيد حفاوة واكرام ه

وسياتي

وسياتي بيان خبر الاخوين الجليلين في موضعه من بعد باذن الله
وتوفيقه **ذكر التاهرتي الرسول الوارد من مصر**
قد كان السلطان يمين الدولة وامين الملة مذ شحذ الله عزيمته
لغزوات الهند محييا لسنة ابيه • ومقتفيا نهج اثاره ومساعيه ه
ناظرا على طريق النظر وسبيل الجدل عن سنن الاسلام والبدع ه
المعترضة عليها في سالف الايام • استبصارا منه في الدين واستظهارا
على قمع الملحدين فقرا الكثير وسمع التاويل • وتتبع البقاير والدليل
وعرف الناسخ والمنسوخ والخبر الصحيح والموضوع وتلقن من
اصول الدين ما لم يستنجز معه في الدين بدعة • ورأى كل ما يخالف
ظاهره نكرا وشنعة • والقي اليه ان في غمار الرعايا بخراسان
اقواما يبيحون مذهب الباطن المنسوب الى صاحب مصر ظاهره
الرفض وباطنه الكفر المحض • بتاويلات موضوعة تؤدي الى
رفع قواعد الدين • ودفع معاقد الحق واليقين • وابطال معالم لم
الشرع وتتبع احكام الله بالرفض والنقض فامر بوضع العيون
عليهم والصاق الطلب بهم وعثر على رجل كان سفيرا بين المذكور
وبين اوليائه والملبين لندائه يعرف القوم بسيماهم واسماء بهم
فنص على عصابة منهم مختلفي البلدان والاوطان فحصلوا الى
الباب ورجموا تحت الصلب بالاحجار ولم يزل يفعل مثل ذلك
بامثالهم • ومن كان يخرج له ذكر بالقايهم • حتى التقطهم حجارة
الرجم والركض عن بساط الارض وقد كان الاستاذ ابي بكر محمد
بن اسحاق بن محمشاذ زعيم اصحاب ابي عبد الله بن كرام غير الفضل

كبير المحل يذكر ابا الديانة الوافية • والامانة البادية والخافية
واليقظة على الفرق الغالية والبدع الخافية • فوافق راي السلطان
على اجتياح من ركب ثنيات الطريق • وتقدم في العدول عن مثل
تعارف النعم مساعدة التوفيق • ونبه على عدة زعموا انهم ضلال
ولهم في فضول وهذر المحال مجال • فسلكوا في اصفاد الاخرين
ونصبوا عبرة للناظرين وزاد ابو بكر فيما تقرب به من ظاهر المحاماة
على دين الله • والمراماة دون حق الله • وتطهير بيضة الاسلام عن
كل ذي ريبة بعيدة او قريبة جنة اطمعت فيه الرجال وامالت
اليه الآمال واية جنة وضع الله عليها طابع الدين فهو في جوار
النجم علو مكان وسمو شان وكفاك بها فخامة ما ورد في الخبر
المروي ان الله قال للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فا
تعبيه او فاستخدميه واتفق بعقب ذلك ان طلع رجل من ديار
العراق ينتسب الى شجرة العلوية يذكر انه رسول صاحب مصر الى
السلطان يمين الدولة وامين الملة بكتاب تحمله وبرز ودع
فورد نيسابور يمد لا بسبب النسب ويمد لسانا بصلف الشرف
فاستوقف الى ان انهي الى السلطان خبره • ووكل الى ما يرد
من امثاله صدره • ونهض من بعد ذلك الى هراة ممتدا الى الغزو
فامر برده الى نيسابور لتقرير ما تحمله على رؤوس الاشهاد • وبمراى
ومسمع من كل حاضر وباد • صيانة لخاص مجلسه عما عسى ان يضاف
اليه من احالة • وستر تحت رسالة • فلما ردوا القهقرى وفتش
عما صحبه عثر على تصانيف الباطنية • واغاليط في الشريعة الحنيفية

اصح

اصح منها في الاسماع خباط المجانين ووساوس المبرسمين لا يوجد
في محصول ولا يوجد في معقول وناظره الاستاذ ابو بكر
ابو بكر على ابوة من جهة مرسله تفاوتت فيها الفاظه فلم يوجد
له على نار الامتحان ثبات • ولا الى وجه التحقيق وجانب التمييز التفات
ومار البصر احماسا لاسداس الى ان تبين له انه قد اخطا
في تحمل تلك الرسالة • وحرم التوفيق في تقلد تلك السفارة • فهم
وقضى الله ان اشخص الى حضرة السلطان فلما وردها استحضر
مجلس حفله وقد غص باعيان الاسلام ساداتها وكبرائها وقضاتها
وفقهائها وعلمائها وزعمائها وهناك الحسن بن طاهر بن مسلم
العلوي ومن قصته ان جده مسلما لم يكن في الطالبية من اولاد
الحسين الاصغر رضي الله عنه بناحية مصر اوجه واثنه منه
ولا اغنى واقنى منه فلما استقر معد ابو تميم المعز بمصر خطب اليه
بعض بناته على ولده ابي منصور الملقب بالعزيز وسبب ذلك على
ما قيل انه وجد في دار رقعة فيها •

ان كنت من آل ابي طالب فاخطب الى بعض بني طاهر
فان اراك القوم كفوا لهم في باطن الامر وفي الظاهر
فامر من سفه خوزية بعض منها البظر بالآخر

فنسبهم الشاعر الى انهم الخوزية بالعسكر لان كورها خوزستان
وهي ام محمد بن عبد الله بن ميمون فاعتل مسلم عليه بان لا واحدة
من بناته الا وهي في حبالة وتحت عقدة تعاديا من اجابته وتحرجا
من مصاهرته فلما عرف امتناعه ذهابا بنفسه عنه وترفعا بنسبه

ث

تما

وضع عليه يد الاستقصاء بعد ان اودعه الحبس سنين وخبطه
خبط العشواء في الظلم والبسه عن فضفاض الغنى غلالة العدم
وهلك من بعد على يده فقال قوم غيّب عن محبسه فما يدرى كيف
صار امره واين جعل قبره • وزعم آخرون انه هرب من الحبس
على طريق الحجاز فاحتضر في الطريق وعند ذلك لجأ طاهر ولد
الحسن المذكور الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم متأثرا
على اهلها ومعه ابن عم له يعرف بابي علي بن طاهر وهو ختنه
على اخته فلما مضى طاهر لسبيله ورث ابو علي مكانه من الامارة
الى ان نحو به وورثه ولداه هاني ومهنى دون الحسن لاستضعافه
اياه وتفوقهما بالحال والمال عليه فرحل هو نحو خراسان ملتجئا الى
السلطان يمين الدولة وامين الملة في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة
فلما ورد النيسابوري برعمه رسولا اصغر الشريف بالحسن شانه ووضع
فيه لسانه وابى ان يكون له ثبات على وجه الرياسة لذوي انتساب
الى شجرة النبوة • وادعى عليه فساد الدين • واستحقاقه ضروب
الوهين • فخلى السلطان بينه وبين ما يستخيره لنفسه ودينه فيه
فقام الى جدة بضربة عرفته في مرو الروذ • وقد كان القادر
بالله امير المؤمنين قد كتب الى السلطان يمين الدولة وامين الملة
بما تأدى اليه من خبر الرسول وما يقتضيه الدين من التصلب عليه
وتقدم بالجد في الانتصاف للاسلام والمسلمين منه فلما تم امره
بما تقدم ذكره انهى الى مجلس الخلافة صورة الحال وكعم الشغب
افواه العذال • فقوبل من القبول بمقتضاه • وجوزي الخير على ما

اتاه ونوخاه • فكان مثل النيسابوري كما قيل •
ومن يشرب السم الزعاف فانه حقيق بانياب المنايا النواهس

ذكر الامير ابي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه وما ختم به امره الى ان ورث السلطان مملكته ٥

قد كان ابو الحسن علي بن مامون لما ورث اباه مامونا مملكته
وقد كان استضاف خوارزمشاه الى الجرجانية خطب الى السلطان
يمين الدولة وامين الملة احدى اخواته تقوية لعقد الحال
وتسدية للحمة الوصال • فاوجب اسعافه بما استدعاه استكفاء
اياه وتوخيا لرضاه وزفت اليه من خطبه • ووصل باسبابه
سببه ودر التهادي بينهما حتى صارت الديار واحدة • والاسرار
لغير الاخلاص جاحدة • وعبرت الحال على جملتها في الانتساج
والامتزاج الى ان قضى خوارزمشاه نحبه • ولقي بانقراض الاجل
ربه • وورث الامير ابو العباس مامون بن مامون مكان اخيه
وولي ما كان يليه فكتب الى السلطان يسأله ان يعقد له على شقيقته
عقده على اخيه من قبل فهو تاليه في الطاعة • بل اتم اخلاصا
وثانيه في القربة • بل اشد اختصاصا فشفع السلطان فيه دواعي
الكفاءة • واستجد للحال رونق الطراءة • وعقد له عليها عقدا
اخلطه فيه بنفسه • وفرغ له فريقا من قلبه وخلبه • ومال الامر
على جملة الاشتراك والاشتباك الى ان دعا السلطان دواعي
الاختبار الى سومه اقامة الخطبة باسمه وانهض رسولا يتنجزه
العمل بما يقتضيه ظاهر حكمه فصادف ذلك منه حرصا على الاجا

وانتبرا ضابحق الخدمة والطاعة • ثم انه عرض الحال فيه على من
حوله من اعيان اشياعه واتباعه فاظهروا انفارًا واصرّوا واستكبروا وا
استكبارًا وقالوا نحن اتباعك واطباعك ما سلم له الملك عن الاسر اك
فاما اذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف على العواتق
خلعًا لك وعليك علينك وجهادًا فيك فعاد الرسول الى السلطان
بما رآه عيانًا • وسمع بغيًا وعدوانًا • واحسّ القوم بحموة الذمر من
وراء جرائمهم على ولى نعمتهم بالقول القطيع والرد الشنيع وذابعيهم
في الامر بوسيد بيالتكين البخاري صاحب الجيش فاوجسوا خيفته
وتوامروا على الفتك به غيلة • ومازالوا في التدبير عليه الى ان
دخلوا عليه ذات يوم على رسم السلام • فاذا هو صريع كاس الحمام
ولا يدرى كيف قتل ولا من اى وجه اليه قد وصل • فبادروا
بالعقد لاحد ولده وبسطوا ايدى الاصفاق على بيعته وعلموا
ان السلطان يمتعض للحادثة • ويقصد قصد الانتصاف للوارثة
فتحالفوا على مقارعته ان غزاهم في عقر دارهم • وجزاهم على سوء
آثارهم • ولما انتهى الى السلطان خبر صنيعهم بولي نعمتهم وهو
ثم شقيقته وكاى حقيقته ازعجته قوة الحفاظ للانتقام من
اولئك الغدرة الفجرة والمرقة الفسقة فجاش لمناهضتهم على
حمية مسجورة • وحفيظة على ابتغاء مرضاة الله مقصورة • وكانت
سعادة ايامه قد لقنت اولئك العتاة البغاة ما اتوه استحقاقًا
للنقمة • وبراءة من العصمة • وتمهيدا للعذرة قربا وبعدا الى استخلاص
مملكة كانت الى عز ابا لبنة بازعة ولباب الامال برفق سياسة

قارعة

قارعة • وجر الجحافل كالجبال سائرة والبحار زاخرة • حتى اناخ
بعقوتهم • مستعينا بالله على قتالهم واستنزالهم الى مناهل آجالهم ه
وشاور صاحب الجيش الخوارزمي عامة قواده في ركضة على طلا بع
السلطان بيانا بعضهم بانياب الحديد • ان لم يسلمهم للتشريد
والتبديد • فطارت تحت حوافي الليل حتى انقض على ابي عبد
الله محمد بن ابراهيم الطائي وهو طليعة السلطان في كماة
العرب حتى انفض الكرى رؤوسهم • وشغل برد الصباح نفوسهم
واختلط البعض بالبعض ضربا بالسيوف القواصل • وطعنا بالرماح ج
الذوابل • وطار الخبر الى السلطان بركض القوم فزحف بجيوشه
الى معترك الحرب وثبتت الخوارزمية من لدن طلوع الشمس الى
ان حمى وطيس النهار جاهدين في القراع • مجاهدين دون المساع
والرباع • يظنون ان يظفروا وقد غدروا بمن رباهم في حجور
الانعام • وآواهم من يدى الاكرام • هيهات ان الغدر
قلادة منظومة احد طرفيها عاجل العار • وثانيه آجل النار
ولم تشرف الشمس على التكبيد حتى اصحبت الخيول ثم الفيول ه
رجالا حكوا جبالا لا بد قصفت اصلابهم وانتهبت اسلابهم وفلقت
بالسيوف هاماتهم وبضعت اجسامهم وانهزم الباقون في حمو
الغياض على شاطئ جيحون والصوارم من ورائهم تخطف اذ واتهم
حتى اخذوا وقيعها قتلهم الطلاق صداقا وآسا سر زهاء خمسة
الاف حقن الله دماءهم عبرة للنظار • وعظة لامثالهم من الغدرة رع
الفجار • وركب البخاري ظهر الماء موليا في الهرب ومعتذرا

خلاصه من العطب ولم يدر ان بعلة السوء تجزيه • واقدامه
على ولي نعمته يرديه • وان حافر البير لاخيه ساقط لا محالة
فيه وجرت في الزورق بينه وبين بعض اصحابه منافرة حملته
على الاستيثاق منه وبعث الملاح على المعسكر بوجه الزورق
فلم ينشب الاسيرا • حتى حصل في يد السلطان اسيرا • واحضر
السلطان بمجلسه في سائر القواد المأسورين بسالة وآباهم
عن استحلالهم دم صاحبهم من غير داعية • واجترائهم عليه من
غير وطأة عاتية • فردوا جواب المستبسل المستقبل واما النافون
فسقط في ايديهم لا يدرون ماذا يردون وامر السلطان
بضرب الاعواد والجذوع تجاه مقبرة صاحبهم ابي العباس مامون
بن مامون خوارزمشاه وصلبهم اجمعين عليها مع عدة منهم ممن
اتهمهم بالدم وعدهم معه الناكبين عن قصد السبيل وامر
بالكتابة على جدران تلك المقبرة بان هذا قبر فلان بن فلان
بغى عليه حشمه • واجترأوا على دمه خدمه • فقيض الله له يمين
الدولة وامين الملة ابا القاسم محمود بن ناصر الدين سبكتكين
حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية
للعالمين وامر من بعد بالاسرى فوضعت الاغلال في اعناقهم
يقادون الى غزنة دار الملك فوجا بعد فوج حتى اذا حصلوا بها
وقد امتلأت بهم العيون • وغصت بهم المجالس والسجون • من
عليهم بالافراج وفرض لهم في جملة سائر الحشم والاجناد ووضعهم
موضع امثالهم من ديار الهند ربايا يحمون اقطارها • وينفضون

عن

وينفضون عن عيون الخبث مسالكها واطرافها • وولى خوارزم
حاجبه الكبير ابا سعيد التونتاش فاقام بها فاسما نجوم الفساد
وفاقئا عيون البغي والعناد • الى ان نضب عامهم • واذعن للطاعة
اقوامهم • واستقرت تلك الاسباب وذربت الاجلاب وذلك
تقدير العزيز العليم

ذكر فتح مهرة وقنوج

ولما فرغ السلطان يمين الدولة وامين الملة من مهم خوارزم
وقد اضافت كاحدى اخواتها الى سائر ممالكه الموشحة بآثار
ولايته • الموشعة باصباغ عدله ورعايته • راى ان يختم
صحيفة العام بطالع الاستتمام اجماما للركائب والركب
وتقليبا للراي الغزو بين جوانح القلب • فعدل الى بست كالشمس
قد جنحت للشمال وجاوزت نقطة الاعتدال فالدنيا بها
حواشي المطارف وعواشر المصاحف او عقود المخانق او نهود
المعصرات العواتق يدبر اعمالها • ويروي فيما صار احمالها
الى ان اذن الله في معاودة غزوة منشئا سحاب الفكر في غزوه
تحقيق اعجاز القران بما تضمنه من وعد الله المنان في اظهار
دينه المرقوم بسيد البشر • ومولى البدو والحضر • محمد تاج
الانام وسراج الظلام صلى الله عليه وعلى اله خيرة البررة
الكرام • على الدين كله وان اسخطت نفوس وضرعت خدود
ورغمت معاطس وانوف وبعد ان كانت الشقة (المسافة البعيدة) قد بعدت
عليه وعلى اعوان دين الله السائرين تحت رايته بنور هدايته
اذ كانت الهند قد تحيفت من شواها واطرافها سبيا وانتهابا

وملكت على اربابها سهوبا وشعابا فلم يبق الا ما اجنه ضمير
قشمير ومن دونها قياف تقصر عن كل عزيف وصفير وتضل
بينها وفود الرياح الا بخفير واتفق ان حشر اليه من اقاصي
ديار ماوراء النهر الى ان اقصى حدودها زهاء عشرين الفا من مطوعة
الغزاة وقد وضعوا سيوفهم على عواتقهم محتسبين للجهاد ○
مستديمين في ذات الله عز وجل للاستشهاد يخطبون الجنان
بصداق الارواح ويسامون الغفران بحدود الصفاح فحرك
من السلطان تقديرهم وذمر نفوس المسلمين تكبيرهم واقتضى
رايه ان يزحف بهم الى قنوج مسيرة ثلاثة اشهر سير الركائب ع
وهي التي اعيت الملوك الماضين غير كشتاسب على ما يزعمه المجوس
وهو كبش اقرانه وملك الاملاك بزعمهم في زمانه فثار وبين
غزنة دار الملك وخطة قنوج مسيرة ثلاثة اشهر سير الركائب
القود والجوانف السود واستخار ربه وسار وهجر النوم
والقرار واستصحب من مجاهدي انصار دين الله واعوان حق الله
رجالا لا يقتحمون اشداق المنايا شوقا الى السعادة بالشهادة ○
وحرصا على الموعود من الحسنى والزيادة وعبر مياه سيحون وجيلم
وهند راهو واراوه وبيت وسلند رسالما في سالمين وهذه
اودية تجل اعماقها عن الاوصاف وتمنع اطرافها عن الاطواف
مهما تعجز عوارب الفيول فكيف عواهل الخيول ويذهب
ثقال العبور فكيف خفاف المطايا والظهور صنعا من الله
لمن والاه وعززه روحه في استدامة رضاه ولم يطأ مملكة

من

من تلك الممالك الا اتاه الرسول واضعا خد الطاعة ضارعا
في الخدمة كنه الاستطاعة الى ان طاح جنكي بن شاهي سمهي
صاحب درب قشمير عالما بانه بعث الله الذي لا يرضيه الا الاسلام
مقبولا او الحسام مفلولا فاظهر العبودية عن حاضر التوفيق
وضمن الارشاد في الطريق وجعل يسير امامه هاديا ويجوز
واديا فواديا كلما انتصف الليل آذن بالمسير خفق الطبول
واستوى اولياء الله على ظهور الخيول يتجشمون تعب الركض ○
والسلوك الى ان تجنح الشمس من بعد للدلوك حتى استظهروا
ماجون لعشر بقين من رجب سنة تسع واربعمائة وما زال
يفتتح الصياصي والقلاع مبنية على ربود الجبال وحروف
القلال بحيث تالم مسالع الاعناق متى شخصت اليه نواظر
الاحداق الى ان ساقه قلعة برنة من ولاية هردث وهو
احد الداتات اعني الملوك بلغة الهنود فاطلع على الارض
اطلاعه ومن نموج بانصار حق الله تعالى مسومة من فوقها ○
الترائك ومن حولها الملائك فتزلزلت قدمه واشفق
من ان يستباح دمه فراى ان يتقي الاسلام باس الله وقد
شهرت حدوده ونشرت بعذبات العذاب بنوده ونزل
في زهاء عشرة الاف منادين بدعوة الاسلام متقادين عن ولاية ده
الاصنام فحقق الله ميعاده واحسن بفضله اسعادهم واسعا
نعمه واستدام الوجيف به بعد الى قلعة كلجند وهو من اعلامهم
الشياطين واعلام اولئك الملاعين يدل على الملوك بعتو

افتعش وبرنوا الى القروم ربطرف اشوس قد قضى في الكفر
معظم عمره وغنى نصيبة الملك وبسطة الامر عن تجشم بيضته
وسموه ولم يقصده احد الا ارتد عنه مفلولا وعاد عقده
عنه محلولا عزة حال وكثرة مال وقوة رجال وعدة افيال
ووثاقة معاقل وحصون ومنعة عن مطامع الايام ومطامح الوهم
والاسلام مصون فلما راى السلطان قد قصد قصده من
وجرد لمجاهدته جهده وبث خيوله وخيوله ورا غياض لو
ربيت بافراد الابر لا تقتها الارض باوراق الشوك والشجر
واغرى السلطان به بعض طلايع جيوشه فساروا اليهم خرقون
تلك الآجام خرق الامشاط منابت الشعور بل الاشافي مغاور رغ
السور واعرضت للسلطان طريق من فوق القلعة المذكو
فلم يرع اهلها الا البحر الاخضر والله اكبر والسيوف لا تبقي
ولا تذر فثبتوا للجلاد مستقبلين وتواصوا بالمنايا مستبسلين
والسيوف تاخذهم من فوق وقدام وتبضعهم ما بين لحوم
وعظام وحملاتهم بينها اتصال الكعوب وضربا تهم تتوالى
توالي الغيث المصبوب غير ان الله منزل ذي الباس الشديد
هو الذي اذا شاء قطع واذا شاء بنا واتسع
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع احيانا مناط القلايد
فان نالت من اوليا الله فلاجر الاستشهاد وثواب المعاد وان
نبت فلاعجاز القدرة واظهار العبرة وليعلم ان الحكم له في
كل محذول ومعصوم ومحزور ومقصوم وظلت المخاذيل ينتاسون

بينهم

بينهم وقد عانوا اسيوفهم نابية وسيوف اهل الحق عليهم ماضية
وحملاتهم واهية وحملات اهل الدين اولي نائبة ما هولا من
جنس الانس ولا من زمرة البشر هيهات ان ومع الحديد يحز
في الجبال ولا حيلة في هولا الابطال حتى اذا اشل لهم تخص
الطغيان في صورة الخذلان تواصوا باقتحام ما وراهم من
زاخرة المياه يظنون انها تقيهم باس الانتقام وتحميهم كاس الحمام
ولا يرون ان الكفر لا يهدي سبيله وان الله يردي كثير
ما ينجي قليله لا جرم ان صفائح الماء وافقت صفائح الدماء
فاوسعوا اقتلا واسارا واغرقوا فادخلوا نارا ولعل عدد القتلى
والغرقى يزيد على خمسين الفا اصبحوا طعما للنسور والضبعان
واقوانا للتماسيح والحيتان وعمد كلچند الى قناة فاهلك بها
عرسه ثم كر فالحق بها نفسه واغنم الله السلطان مائة وخمسة
وثمانين راسا من الفيلة الضخام مضافة الى سائر ما اطرد عليه
حكم الاغتنام من نعم الله الجسام وقسمتها الراجحة بالاقسام
ولما وضعت تلك الحروب اوزارها وحلت له الغنائم ازرارها
عطف عنانه الى شط البلد الواقع عليه اسم المتعبد وهو بهرة
الهند بطائع ابنيتها التي يزعم اهلها انها من صنيع الجان دون
الانسان ابداع اساس وسقوف واحجار اوساط وحروف وفي
ما يخالف العادات ويفتقر ورا بها الى الشهادات بل المشا هدات
بلد ابتني السور من صم الصخور قد شرع بابان منها الى الما
المحيط به موضوعة ابنيتها فوق شواخص التلال صيانة لها

ضية

عن مصابّ السيول من الماء ومقارّ غيوث السماء وعن جنبتيها ألف
قصر شبيه بسائر الأبنية في الوثاق مشتملة على بيوت أصنام قد
هندمت مفاصل أعوادها بمسامير تساوي سطوح البناء • وتواري
ما وراءها من الجزور وتحت الخفاء • وفي صدر البلد بيت أصنام يحكي
أخواته أو أحسن ويجري مجرى أضرابه بل أتقن لا يهتدي الكتّاب
بأقلام الدواة • ولا النقاشون بأطراف الخامات إلى أمثالها
تحسيناً وتزويقاً • ونقوشاً تختطف الأبصار بريقاً • وكان فيما
كتب السلطان به لو أراد مريد أن يبني ما يعادل أشباه هذه
الأبنية لعجز عنها بإنفاق مائة ألف ألف درهم في مدة مائتي
سنة على أيدي عملة كملة مهرة سحرة • وفي جملة الأصنام خمسة
من الذهب الأحمر مضروبة على قدر خمسة أذرع في الهواء منصوبة
قد ألقمت عيناً واحد منها ياقوتتان لو سيم مثلهما على السلطان
لابتاعه بخمسين ألف دينار استرخاصاً ولم يستشن فيه دركاً
ولا خلاصاً • وعلى آخر قطعة ياقوت أزرق رياً من رونق الماء
ويربو إليها بتزن أربعمائة وخمسين مثقالاً وخرج من وزن
قدمي أحد الأصنام المذكورة أربعة آلاف وأربعمائة مثقال
وكانت جملة الذهبيات الموجودة عن أجرام الأشخاص المصوبة
ثمان وتسعين ألفاً وثلثمائة مثقال • وزادت الفضيات
منها على مائتي قطعة لم يمكن وزنها إلا بعد التفصيل والعرض
على كفة المعايير وأمر السلطان بعد بسائر الأصنام فضربت
بالنفط والضرام • وجعلت سقوفها مواطئ الأقدام • وسار

من

من بعد ذلك نحو قنوج وقد اشتق الفأل له من تصحيفه فتوحاً
وعدّ من الله صنعاً ممنوحاً • وخلف وراءه معظم العسكر تطبيعاً
لراجيبال ملكها في الثبات لخفة الزحام • وتقبيحاً له فعل اللقاء
صورة الانهزام • إذ كان أمراء الهند على غلب رقابها وقوة أسبابها
وأصحابها أطواعاً لرأي قنوج اعتزازاً بمكانه • واعترافاً بفخامة
شأنه • ولم يعبر على قلعة من قلاع تلك الرباع إلا وضعها بالأرض
وعرض أهلها على الإسلام أو السيف وحاز من السبايا والنهاب
والنعم الرغاب ما يعجز أنامل الحساب • ووصل ثامن شعبان إلى قنوج
وقد فارقها راجيبال حين سمع بإقدامه فراق من لا يرى الهزيمة
عنه عاراً • ولا يعد الفضيحة به شناراً • وعبر الماء المسمى كنك
وهو الذي يتواصف الهنود قدره وشرفه ويرون من عين الخلد
في السماء مغترفه إن أحرق ميت منهم ذرّوح فيه بعظامه وظنوه
طهرة لآثامه • وربما أتاه الناسك من بعيد فغرق نفسه فيه
يرى أن ذلك ينجيه وهو في العاجل يرديه وفي الآجل يصليه
ويخزيه ثم لا يمسه ولا يحميه وتتبع السلطان قلاع قنوج فإذا هي
سبعة موضوعة على الماء المذكور بالبحر المسجور وفيها قريب من
عشرة آلاف بيت للأصنام يزعموا المشركون أنها متوارثة منذ
مائتي ألف سنة إلى ثلثمائة ألف سنة كذباً وزوراً وقولاً موزوداً
وعندما لا عن سنن الهدى وكفوراً • وبحسب قدمها كانت عبادتهم
لها وإجهاشهم بالدعوات إليها • وقد شرد عنها أكثر أهلها
خفة الأيم والسيم • وحلول النكير بالهمم الصم البكم • فمن بين

ناج اغانه بجاوه وثاو ثواه • ولم ينجه من سيوف الحق ارضه ولا
سماؤه • ففتحها كلها في يوم واحد ثم اباحها لاهل عسكره نهبا هبوتها
طلقا وحلالا • وبنا وبو نهاو قما وادلالا • وركض منها الى قلعة
منج المعروفة بقلعة البراهمة وهم احيا لقاح وعتاة مالهم عن ه
الفساد في تلك البلاد براح تمثلوا للقراع اشباه العفاريت
مارجة والشياطين ماردة او مارجة حتى اذا اعوزهم الثبات
واعجزهم النجاة وعلموا ان ليست بالمسلمين طاقة • وان دماهم
لا شك مهراقة • نهاووا من غرفات الجدران وشرفات
البنيان على شبا الرماح وظبى الصفاح • استخفافا بالنفوس الارواح
واستسلاما لامر الله المتاح لا جرم ان السيوف اشربت الارض
دمائهم • واطعمت النسور اشلائهم • كذلك المنايا اضحت من خطب
اليها لم ترد له ردا • ولم تجد من نكاحه بدا • واخذ على تفيئة ذلك
نحو قلعة آسي وصاحبها المعروف بجندبال بهو احد ابناء الهنود
وارباب الجنود ولم يزل داسعة بالملك وسعة في الملك فعرض
له راي قنوج منازعا • ومادة الحرب مكاوحا ومقارعا • فلم يرد
على ان اتعب اولياه • ونكل على الجنة وراه • وقد احاط بهذه
القلعة غياض متكاثفة كاعراف الجياد • ومتداخلة كاشعار
الجداد • لا يستجيب لا فاعي منها للرقاة • ولا يستنير البدر عندها
للسراة • قد احاطت بها خنادق حجرات الحفائر فسيحات الدوائر
احاطة الثور بالثريا فما له عنها انفراج ولا لها دونه انعراج
فلما شعر المذكور بزحف السلطان اليه في كواكب دولته ومواكب

جملته

جملته فقد قلبه فعقد الجدار • وحس نبضه وكان رحب الفار
ورأى الموت باغرا فاه • فلم يملك الا ان يوليه قفاه • وامر بقلع
قلعته من اصولها وتعويرها على من بهم ابقاء تعلوها وبقي آثار ع
بعفاريت نصاره ينهبون ويغنمون ويقتلون ويأسرون حتى
علم الكافرون انهم الخاسرون وكان الجند ولي يرى ان اعوانه
من كماة القواضب • وحماة الاشاهب ورماة الكتائب • حتى راى عسكر
السلطان بين تلك المشاعب • وآثارهم بالقنا والقواضب ○
والقسى المواطر كالسحائب علم ان ضرب اللاعب خلاف ضرب
الثائر الغالب وقوس الحلج غير قوس الناشب ولما فصل السلطان
امر جندبال واداه في نهوبه الدا العضال عطف على جندرا ی
احد اكابر الهنود في قلعة شردة وهو يظن بنفسه ان القابل ه
بعنبه بقوله ••

• عطشت بانف شامخ وتناولت بيدي الثريا قاعدا غير قائم

قد ذهب بها عزا ان يعطي غيره مقاده • او يبالغ غير النعزز
عادة • وكانت في غابر الايام بينه وبين بروجيبال مناوشات
تحاجش عن حوط الرقاب قد امت حتى استلحمت رجالا واصطلمت
ابطالا • ثم قام دست الحرب بينهما فاضطرا الى التوادع والتكاف
حقنا للدماء وصونا للاطراف وخطب بروجيبال ابنة ابنته على
ابنه بهيمبال استدامة للالفة واماطة للفرقة واستدفاعا
للفساد • واستبقاء للسيوف في الاغماد • وسرح ابنه اليه على
تجره عقد الوصلة • وشرح الاتشاج في اللحمة • والاشتراك

في البيت والتعمية • فلما حصل الحصن في يده جعله تحت قدمه وقبضه
وطالبه بعوض ما ذهب له على يد والده • فعجز بروجيبال عن
نصرة قلعته واقتناص بيضته واستخلاص ابنه من اسار محنته غير
ان المنازعة لم تنفك بينهما قائمة الى ان طلعت رايات السلطان
على تلك الحدود وسفر صنع الله في المقصود وبعد المقصود فا
ما بروجيبال عن نصرة قلعته فلحق بهوخدير احد المتحرزين بحصانة
المعاقل وحزونة المداخل وخشونة المواقل طالبا بهمته ○
واعتياضا بعزمته على من هم باقتصاص اثره واما جندراي فانه
استعد للمدافعة واحتشد للممانعة اعتزازا بوثاقة قلعته
ولو ثبت لاقلعته • واذا لالامتعته ولو وقف لاختلعته • فراسله
بهمال بان محمودا ليس من جنس اكابر الهنود وآمرا رجالهم السود
ان السلامة من مثله تغتنم • والجيش باسم ابيه تنهزم • وقد
راينا من كان اقوى منك حكمة واعلى كلمة لم يقم امام لضوبة من
ضربات حدوده • ولم يقف نهضة من نهضات جنوده • فان
اردت الافتضاح فشانك او الخلاص فعض ما استطعت مكانك
تعلم ان الحق الذي قد نصحه • وانه ان خالف الحق فضحه • فسرب
اثقال دوابه له وخزائنه وامواله نحو جبال تناغي كواكب
الجوزاء واكام توازي خد الارض عن عين السماء • ورنى بوجه
مقصده ولم يدر اين سار • وفي اي الاقطار طار • امتطى الليل
ام اقتعد النهار وكان عرض النصيح المظلوم في تهريبه وتغريبه
اشفاقه من حبالة الاقتناص فيسلم من كلمة الاسلام ما سيم اعمامه

واقاربه

عة

واقاربه من قبل حين اضطروا الى الاستيمان والاستسلام فلما
احاط السلطان بتلك القلعة واقتحمها على حصانة قواعدها ومبا
مراقيها ومصاعدها وتوسع بهما في علف كثير • ومال على اخلا
اضافه خطير • لم يمسه الموجود • وقد فاته الكافر المقصود
وضاقت به الارض دون طلبه • وانتزاعه من يد مهربه فا
قتص اثره ركضا نحو خمسة عشر فرسخا بين منابت اشجار تصك
الوجوه فتدميها • ومساقط احجار تصدم الحوافر فتحفيها • ولحق
القوم ليلة الاحد لخمس بقين من شعبان وهم يطوون مجاهل
الارض هبوطا وصعودا • ولا طي التجار بحضرموت برودا
اواهاب الى اوليا الاسلام • وابنا الصلواة والصيام • باقتضا صهم
وادراع لباس الظلام في اقتناصهم • ثقة بالله الناصر لدينه
القاضي على الكفر بتوهينه • فكم من قتيل هنالك قبل ان يمسه
حر الحديد • واسير تقيد قبل يد التقييد • فاما الاموال فما
تت حجبا دون الارواح • ويستزادون حد السلاح وحر
الجراح • لا يعبؤون بها او تشتفي النفوس من غروة الكفار وعبده
الشمس والنار • وظل الاوليا يتتبعون طرايح المخاذيل ثلاثة
ايام تباعا انفالا واغتناما • وحلالا بعد ان حرمها الكفار حراما
واما الفيلة فمن بين مقهور ومردود • ومنطوع بالعود الى
السلطان محمود • لطفا من الله تعالى يتيح له غنايم الاموال
حتى يسوق اليه بهايم الافيال • لا جرم انها سميت خداي اورده
شكر الله على انعام ما بمسك الا بالمقابح • ولا يملك في المراتع

الا بان يحمل الخوادع ، ان يأتي طوعا فيهجر الاصنام ، ويخدم الدين
والاسلام ، ولقد احسن من قال ،

قل للامير غدوت حتى قد اتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عندك قربا وبعدا
لو شئت اعطاك النجوم حوين في التربيع سعدا
او سار في افق السما لانبتت زهرا و وردا

وبلغ ما رد من خزائن السار بالهارب ذهبا وفضة ويواقيت
محمرة وفرائد مبيضة قرابة ثلاثة الاف الف درهم فاما السبي
فالشاهد على كثرة عدده ، ووفور مدده ، ووقوع الاستيام على
الواحد منهم ما بين درهمين الى عشرة دراهم ذلك فضل الله الذي
ذخره لايام السلطان يمين الدولة وامين الملة وهو المليء له
بتمام الثواب يوم قيام الحساب ، فالحمد لله خير معبود ومحمود
وله الشكر على ما اقر به عين محمد صلى الله عليه وسلم بمحمود

ذكر المسجد الجامع بغزنة

ولما عاد السلطان يمين الدولة وامين الملة على هيئة النصر
الموكل بفتح الكافر المغتري ، المكلل بسعدي السما الزهرة
والمشتري ، الى دار الملك بغزنة وقد كاد ان يغص فسيحها على
عدد الارقاء ، من العبيد والاماء ، حتى استفرغت عليها اكياس
التجار الضاربين اليها عن نوازح الديار ، ونوازع الامصار بخش
ماوراء النهر الى مرابع العراق ومبادي الاشراق فيها ما خلط
بيضهم بالسود ، وعدل في التمليك بين المسود والمسود ○

ل احتاج ان ينفق ما افاء الله عليه من انفال الاولياء لغلف الاعفا
في عمل من يشيع حدواه ، ويرتع الى امد الاحتساب مغناه ، وقد
كان اوعز باختطاط صعيد من ساحة غزنة للمسجد الجامع اذ كان
ما اختط قديما على قدر اهلها حيث عدت من رقعات البلاد
نحوطه دار وسطون مزار فوافق عوده من مضربه حصول المراد
من تقطيعه وتوسيعه ، واقامة الجدران على تربيعه فصبت
بدر المال على الصناع ، كما صبت دماء الابطال يوم القراع
لبنا ونصب للمسار فيهم احد الزعماء بحضرته فهو يطوف عليهم مطالبا
بصدق العمل ، ومعاتبا على مراكز الخلل ، حتى اذا توسدت الشمس
قلة الجبل اقام السن الموازين ناطقة بالانصاف ووازنه
بالجزاف فيسمون بين اجرين عاجل ، على السلطان منقود ،
واجل على الرحمان موعود ، ونقل اليه من اقطار الهند والسند
جذوع توافقت قدودا وتناسبت قدودا ونحافة تركاتها
الا استودعت ارحام الارض لامر معلوم ، وتحفت باعمارها نبوم
محتوم ، فجاءت ولا الحق كمالا ، ولا الجدل استقامة واعتدال
تبنى عليها الملاسة والسداد ، وكان بها صمما فهي لا تضيق
ولا تكاد ، وقد فرشت ساحتها بالمرمر منقولا من كل فج عميق
ومضروب سحيق على تقطيع التربيع اشد ملاسة من راحة
الفتاة وصفحة المراة وعقدت عند منتهى الابصار طاقات
كما تقطع الدواير على نقط المراكز فلو عاش سنمار لعد في جنبها
معد الواهن العاجز فاما الاصباغ فطالع روضة الربيع ○

ضاحكة الثغور باكية الجفون تستوقف الابصار وتقيد النظار ر
واما الذهب فحسبك به ان صناع الرصافة قد عزت عليهم
الحقاق وصح لهم تكليف ما لا يطاق وليس بصفائح الزرياب
فقط لكنه ضبات الذهب الاحمر افرغت عن صور الاصنام
المجدودة والبددة الماخوذة فطفقت تعرض على النار
بعد ان كانت الهة الكفار وتضرب بالمطارق بعد ان
عبدت بالخدود والعنافق اوليس الذي ينفق على جدران
مساجد الله عزة للموحدين وغيظا على الملحدين اتم سماحة
واكرم راحة ممن يفرغه معبودا وينصبه للنفع والضر مقصودا
نعوذ بالله من ريب شوائب عار وهو محتاج الى شعار وجزى
الله عن الاسلام ملكا هذه فعاله واعماله وابهان الروح
والممنوح في سبيل الله دابه وآدابه نعم وقد افرد السلطان
خاصته بيتا في المسجد مشرفا عليه ملعب البناء موسع الفناء
متناسب الزوايا والارجاء فرشه وازاره من الرخام كدرت
عليه الظهور حتى نقل من ارض نيسابور وقد احيط بكلي
رخامة مرتبعة محراب من الذهب الاحمر مكللا باللازورد
في تعاريج من الوان المنثور والورد من يرها بعينه يقل
بلسانه لاستحسانه لان لهذا الاستاذ ممتعا بيتا به الا
من راى مسجد دمشق فراحه مراه وشاقه النظر حتى تناه
وقضى بان ليس يوجد شرواه دونك هذا البيت تلزمك
المثوبة وينعكس عليك القضية ويثنيك ان الحسن بعض

صفاته

صفاته والابداع احد سماته وانفال الهند من خدم نقو شه
والهمة العليا قد طمحت لعروشه نعم وامام هذا البيت مقصو رة
بتعاريج عليها منصوبة تسع ثلاثة آلاف غلام متى تهيدع للفرض
احدوا اماكنهم منها صفوفا واقبلوا على انتظار الاذان عكوفا
واضيف الى المسجد مدرسة فيحاء تشتمل بيوتها من بساط الارض
الى مناط السقوف على تصانيف الائمة الماضين من علوم
الاولين والاخرين منقولة عن خزائن الملوك نقوا واعين بلاد
العراق وبلاد الآفاق حتى افنوها بخطوط كفرائد سموط مصححة
بينها ذات التقييد وعلامات التخفيف والتشديد بيناتها
فقهاء دار الملك وعلماؤها للتدريس والنظر في علوم الدين
على كفاية ذوي الحاجة منهم ما بينهم جراية وافرة ومعيشة
حاضرة وقد اقتطع من دار الامارة الى البيت الموصوف
طريق يفضي اليه في امن من ابتذال العيون الطوامح واعين
الرجال من بين صالح وطالح فيركب اليه على فور سكينة وسمو
طمانينة حتى يقضي المكتوبة ويقتضي الاجر والمثوبة فاما
سائر دور الحجاب وقصور القواد فما تنوق بحقائق الانفاق عليها
الا من اتاها اعتبارا وشاهدها اختبارا فيرى ملء الاباطح
ابنية تشرف على الهضبات شرفاتها وتكاد تغترف من نهر
المجرة غرفاتها وناهيك من بلد يحتوي على مربط الفيل
يشغل كل منها بسياسته وما يربه دار كبيرة وخطة وسيعة
ان الله تعالى اذا اراد عمر البلاد وكثر العباد وهو على ما يشاء قدير

ذكر الافغانية

ولما قضى السلطان وطر غزوة القنوج بغزنة واقبل الخريف
بشفيفه وسجا الوقت بخاصر ريقه وقد كان طوائف من الافغانية
المستوطنين قلل تلك الجبال الشوامخ والرعان البواذخ تعرضوا
بفعل القطاع لذنابى حواشيه منصرفه من غزوة قنوج اغترارا
بمناعة اماكنهم وحصانة مساكنهم وتطنيبا لجهالة افعالهم والبنا
بمناكير اشغالهم ورأى ان ينتقم منهم بركضة تنيخ عليهم اوكارهم
وملاجيهم وتخضب بدماء النحور رحاب جبالهم فعزم على ما دبر
وصمم على ما قدر ووزى بنهضته نحو احدى اوطار نهضته
ثم ركض عليهم في خاصته ركضا صبحهم في مراقدهم فلم يشعروا
الا بحد الصفاح على برد الصباح ضربات تقطف الرؤوس
عن النحور وتنزع النحور على الحجور كما قال ابو تمام

صرعى الى مصرع كان جلودهم طليت بها الشيان والعلم

فالهاتهم اتمت عليهم الرقود والت طلقة الا تعود
او تشهد اليوم الموعود فكم من حشو فوق الاعلام ورؤوس
تحت الاقدام حتى اذا استلحمت السيوف اجسامهم ولم تستبق
الا اباهم وابناءهم كف كف الاقتدار وعلا ذروة العز
بالانحدار وعادت تلك الوعور سهولا وكان امر الله مفعولا
وعطف الى غزنة بملا الراي بين ان يشتو بلج سيحانا
ولغار السنة في القرار مستبا وبين ان يركب نية بمنيته
في غزوة تقشع باقي صبابات الكنود عن ديار الهنود بجهوا اعلى

من كان يضرب بذنبه في مضربه كالوزغة المستحنة لا تلبث ان
تموت فابت عليه حمية الاسلام ان يشيع على القعود جريضه
او يستبقي في مكامن الاغماد بيضه وثنى عنانه نحو الهند في رجال
يرون تمني الشهوات صهوات الخيول وتصوى اللذات ملا
الفحول ويجتزون بالظهور اسرة مرفوعة وبالاكوار
وسائد موضوعة وبالسموم رياحين مقطوفة وبالاجن الطرق
صهبا موصوفة وبالعرق السائل ماء ورد وبالقسطل الثائر
نثار عنبر وفتات ند وبالليل سكنا وقرارا وبالنجوم ندامى
وسمارا لمن يمنه نسب فان اباهم المشرفيات بواتك والزاعبيات
بواتك واعمامهم القسي جوازع واخوالهم النبال نوازع
وما زال يخوض انهارا هائلة هائجة واودية هادية لم
تضمن قط عن غرقاها دية وعين الله ترعاه في كل مسعى يسعاه
حتى اقتحم مغارات اولئك المغاوير ولج ديارات اولئك المدابير
فظلت رزايا الفيل يضجون بالويل والثبور ضجيج النوق
رواجع من بيت الله المعمور وما زال السلطان يستبيح من امن
واطاع ويفضح من اظهر الامتناع بعد ان اصاب غنايم
لا يضبطها حساب ولا يطعمها اماء ولا ارباب حتى انتهى به
المسير الى ماء يعرف براهب غابر المخاض حمي القرار كالخضخاض
يبتلع الخف والحافر ويقتلع الدارع كما يقتلع الحاسر فاذا
ببروجيبال من تلك الجيرة في رجال كالصقور وافيال تحت
الاديم قد اخذ من فاجي الركضة حذره واسند الى زاجر

النهر ظهره • ورام ان يمنع السلطان عبوره • ويشغل عن اقتحام
الغمر جمهوره • حتى اذا اكتحل الليل بقاره تردى في ذمة استتار في
مرور ومروان على حماره • فلما علم السلطان ذلك من قصده
وراى استعداده واحتشاده لصدمه • امر بالاطواف فهيئت
للعبور واهاب الى عدة من غلمانه للركوب فامتثل الامر
ثمانية منهم يبتدرون العدوة القصوى • ويلتزمون كلمة
التقوى • فلما راى بروجيبال استقلال الماء بهم رماهم بخمسة
من الفيلة المجففة • وفوج من رجاله المصففة • فاراد الله تعالى
ان يحقق قول نبيه الامي الامين • ورسوله المؤيد بالتمكين
حيث قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فالهم تلك العدة
ان استوقفوها على اثباجها حوز الاطواف هاتيك الاحقاف
وعوز الها بعد في وجنات اولئك الضلال بعجزة لم يسمع بمثلها
قبلها ثمانية بحزع بسلاحو تدفع فيلة وخيلا ونفذ من لفظ السلطا
عند عيان ذلك البرهان ان فاك من قدر على الساحة • فليتعب
اليوم للراحة • فخاض الخاصة ومعظم عامته خائضين • ولصعب
الماء رائضين • تارة يسبحون بالاطواف • واخرى يسترجون الى
الاعراف • حتى قطعوا النهر سالمين لم تتشعث لهم جنبة • ولم
تعطب لهم جنيبة • ولم يذهب بحمد الله سبيبة • وحمل السلطا
بهم وقد نزوا الى الظهور حملة تورطهم بين عقير سكران
من عقار الخدود • واسير حيران من اسر العدود • وطريد

نخاف

نخاف وضع القواضب • وقتل بمرأى النجوم الثواقب • وصار ما
حصل في الوقعة من عدد الفيلة مائتان وسبعون ثقال
الاجسام كثقال الغمام وصار الكافر هزيما لا يملك عزيما • ولا
يقدر تقديما ولا تاخيرا • وقد كان السلطان قبل ان لقي
الكافر • والبس جوشنه الدروع والمغافر • اخذ فالا من كتاب
الله تعالى يهتدي به عاقبة ما ينويه فخرج له قوله تعالى عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
فلما حقق الله وعده • ونصر بفضله جنده • طمن على نفسه
ان يفي بواجب عمله عند لا يرقد الانام • وغزوا ابو تيد الاسلا
وشكرا يقيد الانعام • لا جرم ان الله حافظه وحاميه ومصيبه
به اغراض آماله وامانيه • والذي يدخره له من ثواب المعاد
اربح مقادير وارجح مكاييل ومعايير

ذكر ابي بكر محمد بن اسحق بن محمشاذ والقاضي ابي العلاء ○ صاعد بن محمد وما انتهى اليه امورهما بنيسابور

قد كان ابو بكر من موقا بعين النباهة في صدر زهد الدولة
لمكان ابيه من الزهادة وضمه للاطراف على العبادة واقتفا
نهج ابيه فيما كان ينتحله وينتحيه وكان الامير ناصر الدين في
سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف والتنزه
والتقشف ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين واعيان
المتعبدين فحلا ذلك في قلبه كما حلي بعينه والمجاهد في الله
تعالى محبوب وقد يكرم اهل الشفاعات من له ذنوب ○

واستمر السلطان بعد على وتيرته فى ملاحظتهم بعين الاحترام
وايثار طوايف الكرامية بالاكرام • حتى قال ابو الفتح البستى
فيما شاهده من نفاق اسواقهم •

شعر

• الفقه فقه ابى حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام •
• ان الذين اراهم لم يومنوا بمحمد بن كرام غير كرام •

وانضاف الى هذه الوسيلة القوية والذريعة الالهية انه
لما تورد جيوش الخانية خراسان عند غزوة السلطان ناحية
المولتان قصدوا نيسابور على ابى بكر احتياطا لانفسهم من شيعته
واحتراسا من غامض مكيدته • ولا تقاوه فى جملتهم حين طلعت
رايات السلطان عن مغاربها • وامضت سيوف الحق عن
مضاربها • الى ان وجد فيهم فرصة الافلات • والسلامة على
من تلك الآفات • فاعتد السلطان ذلك له فى سابر موابه
واوجب له حقا بالحظة بعين مراعاته • ونبغت من ارباب
البدع الباطنية على ما نبا مست به البلاغات والله اعلم بما
تحته الضماير والنيات فيام وافقت تصلبا من السلطان
فى استيصالهم • وتعصبا لدين الله تعالى فى احتياك امثالهم
تحشروا من اطراف البلاد • وصلبوا عبرة للعباد • وكان ابو بكر
احد اعوان السلطان على رايه حشرا اليه • وتصويبا للراى
عليه • فصار البرى كالسقيم مذعورا وعاد المليو فى عارض
الخطب شورى وراى الناس ان يفته السم القاتل والسيف
القاصل فنحوا له بالطاعة • وفرشوا له خدود الضراعة

شله

وانعقدت

مة
ع

وانعقدت له الرياسة فى كبسة الصوف وخطبة الخاصة والعا
بعين المرجو المخوف ووجدت خاصته سوقا للاطماع بعلة الابتدا
فاستربوا الناس واستفتحوا الاكياس من اطمع منهم بمكاس ذى
نفسا دمعتقده • او بعطى الجزية عن يده • وضربت على هذه الجملة
سنون لا مطمع لاحد فى تبديل شكلها • وتحويل فادح الحال عن اهلها
ولا علم بان الزمان متغير الاحوال ضمين • وبالخلاف على صورة
المعتاد رهين • ومن صبر على الايام راى الرفيع وضيعا والضليع
صريعا • وشاهد على سموم القيظ صرا كالحا وصقيعا • واتفق
للقاضى ابى العلا صاعد بن محمد ان حج بيت الله الحرام سنة
اثنتين واربعمايه وهو الامام المرموق والفاضل الجزل والبازل
الفحل قضى اكثر عمره على الخط اليقين من ثمر الدرس والتدريس
تتطفل عليه الاعمال فيا باها وتنصب اليه الاغراض فيرى
الخيار فيما عداها • ومن حاز شرف العلم لم يشتريه ثمنا قليلا • ولم
يعدل به خطا وان كان جليلا • فلما حصل بدار السلام انهى
الى القادر بالله امير المومنين خبره فى حج بيت الله الحرام فوصل
بمقتضى حقه فى الاسلام • من واجب الاثرة والاكرام وظاهر
التوقير والاعظام • وعضد بالكتب الى السلطان فيما يفرد
من حاله فى مهمات اوجب الاحتياط شرحها على لسان مقاله فلما
عاد من وجهه شخص الى حضرة السلطان بغزنة فعرض ما صحبه
وقرر ما تحمله • وادى من حق الامانة ما التزمه ونها الاستاذ
ابو بكر محمد بن اسحاق تجرى فى مجلسه ذكر الكرامية واظلامهم

القول بالتجسيم وتعريض الله تعالى على ما يليق بذاته فأنف السلطان
لهدم الشعار من مقالهم • والعوار من محوي جدالهم وندبا ابا
بكر سائلا عنه • وباحثا عن صورة الحال منه • فانكر اعتقاد
ما نسب اليه • واظهر البراءة عما اجلب به عليه • فسلم مع الانكار
عن مس العتب والانكار • فاما الباقون فان الكتب نفذت
الى العمال في تقديم الاستقصاء عليهم فمن اظهر البراءة عن قوله
الشنيع • واعتقاده الموجب للتبديع • ترك وشانه من عقد المجا لبس
للتدريس وتشرف المنابر للتذكير ومن اصر على غواه ولم يختر
لنفسه سواه جعل مثواه عليه حصيرا • ورد لسانه دون
الفضول قصيرا • وخلع السلطان على القاضي خلعة لائقة
بجلالة قدره وزخارف نجوم • ورعاية امير المومنين لحقه
وايثاره بتمهيد امره • وصرف كلاهما على جملة الاعيان والتفخيم
على اعين الناس ولم يزل غصة قول التجسيم ناشبة في صدر ابي
بكر يصارع الايام على فرصة المكافاة بها الى ان استتب له الامر
في عقد محضر على انتحاله مذهب الاعتزال وتخرج خطوط قوم من
الاعيان سلكوا فيه طريق المساعدة • او تنفسوا به عن وغر
المنافسة • فخط ما لا يطاق رآه دخيل • وهم على سر النفوس
نزيل واحتيل في عرض المحضر على السلطان استفساد الصورة
فوقع التدبير موقعه من الاحفاظ عليه ورأى ان يبحث عن
صورة المرفوع في اخفاق من صوره • او ابطال من زوره • فما
نهض قاضي قضاته واحد ثقاته ابا محمد الناصحي من لم يشركه

احد في

احد في اصطناعه • والجذب الى العلاء بباعه • فانه استخصه على
طراوة شبابه بخلتين قل ما توجدان في قرح الانسان فضلا عن
احداث الفتيان والشبان وهما العلم والورع اخوان • ودونهما
الدر والياقوت والصحة بالكفاف من القوت وافعده
بغزنة دار الملك للتدريس والفتوى واصباح الناس من
ساطع نوره في التقوى حتى اذا ابهر كماله • وطمح بالفضل مكانا له
ولاه القضاء على القضاة في عامة ديار مملكته ثقة بقوته
وامانته وورعه ونزاهته • فتولاه بنفس كصفحة الشمس طهارة
ونقاء وروضة الحزن دبجتها السماء عشاء نعم وامر بان يستحضر
القاضي ابا العلاء صاعدا وابا بكر الاستاذ في وجوه الرتوب كونه
واعيان الشهود ويطالب باقامة الشهادة على الدعوى المذ
على رؤوس الملاء من غير محاشاة • او جنوح الى مداهنة ومحاباة
فقابل الامر بالامتثال • وتجافى عن حرمة العلم لحشمة الملك
وهيبة الجلال • وسال ارباب الخطوط عما عندهم من قصة الحا
وجلية المقال فاما ابو بكر فانه اراد ان يتلافى باعي الخطب
وزعم ان الاشتراك في رتبة العلم احدث بينهما منافسة نازعا
معها مذهبي التجسيم والاعتزال فلا يصح ما نسبني اليه ولا تقوم
مادة عينه عليه واما الاخرون فمن جار على حكم المساعدة في
المحاباة والمهاودة ومن حاد لتمام الاحتشام في التصريح
واطلاق الدعوى باللفظ الفصيح مكاشفة عدت الشهادة
الى التعصب وجاوزت حد المعلوم الى التغضب وسمى كذلك

وجوه اهل الرأي حتى كادت تثور فتنة لولا هيبة السلطان
اجحرت الالسن الطوال ● وضربت على النفوس البطان والاغزال ●
وتلطف قاضي القضاة لعرض الحال ● وتقرير صورة المحال ● واتفق
ان تحين الامير ابو المظفر نصر بن ناصر الدين في مجلس السلطان
فرصة القول في باب القاضي ابي العلاء فنبه على سمته وسيماه ●
وانبأ عن ورعه وتقواه ● والتمس على سبيل التلطف ان يقع
تلافي الغضاضة به وتدارك المهانة عليه بحرك من تصدى
لمكاشفته ● وتعرض لاستفساد مكانته ● فتوثب السلطان
فيما قال ● وحدس ان صاعدا اجل من ان يعتقد الاعتزال ●
وامر باشخاص من انتدب لمراغمته ومقابلته ● بما اقتضاه حكم
وقاحته ● واستخلص القاضي (اي ابعاد) قرارة بيته فلم يكن يبرز الا لفرض
يقضيه او علم يمليه مجتزئا بالله تعالى خدم عن غيره ● ومقتنعا
بما ادره عليه من خيره ● ورأى ان بقية العمر اجل من ان
تضاع على القيل والقال ● وخدمة فضول الامال ● ومزاولة
ما يصم قدر العلم بالابتذال ● واستناب له ولدين كالفرقدين
او الشعريين ابا الحسن وابا سعيد شريكي عنان في المروءة
والفتوة ● ورضيعي لبان في اوامر النبوة واحكام ايات الله
المتلوة في قضاء المواجب واحتمال النوائب فعفي له عن حقوق
المناصب ● وفرغ لعلم النظر والقياس ● وحظي بمثل ما ابا عنه
ابو الفتح البستي من حاله بقوله ●●

● قد جمع الله اربعا لي هن عزي وحسن حالي ●
● بلاغ علم مساغ شرب رفاغ عيش فراغ بالي ●

نعم

نعم واطلق تمادي الايام على نباهة ابي بكر وارتفاع مكانته
واتساع حشمته ومهابته ● وانبساط ايدي حاشيته ● في اموال
واعراض اهل ناحيته ● واستمرار العناد بينه وبين اعيان
الاشراف في حربه السنن الجمهور بحضرة السلطان بما طبع
من حاله ● وبغي من خرج خباله ● اذ لا لا بما عيله ● واعتمادا
بزعمه على ما سبق العلم به من خلوص ضميره ورشاد سبيله ●○
فتداركه الحال مدة من الزمان مديدة محافظة على الصنيعة
من الانتزاع ● والعارفة من الارتجاع ● وابقاء على المحل المرموق
في الله من ان يلم به انحطاط ● او ينحل له رباط ● حتى اذا جاوز
الاحتمال حده ● وامتنع المستزاد بعده ● عقد السلطان
رياسة نيسابور لابي علي الحسن بن محمد بن العباس وقد كان
جده في دولة آل سامان مجدودا في جملة الاعيان والثناء
مغدوا ولدوا واثره فيما بين اثار الرجال محمودا ● ووافق ابوه
ايام السلطان اول مقدمه خراسان وانتصابه منصب
اصحاب الجيوش بها لال سامان فانجل خلقا مما على مناسبة
الشباب ● وعرف السلطان له حق الخدمة والاصطحاب ● غير
انه اغتبط في شبابه فعاد كما بدا وكل امرئ يوما مداه الى
الردى وكان يصحب ابا نصر احمد بن ميكال بقرابة واواصر
مستحابة فنشا في جملته نشاة المقبل وخرج خروج القدح
ابن مقبل واحدث له شكر النعمة وصفو الخدمة ادبا وهمة
فلما مضى ابو نصر لسبيله انهى الى السلطان حاله في كيسه

وذلاقته وظرفه ولباقته فاستحضره لتحبيره فوافق ولي
النظرة قبولا وظرفا بمرود الاعجاب مكحولا وازداد على طول
الخبرة وفاقا وعلى سوق الخدمة نفاقا فنما نمو الانشاء
اصلحها التدبير ولقحها التاثير والماء النمير حتى سمت به
المراتب والذوايب وتوجهت اليه الرغبات والرغايب
وقابلت حشمته حشمة ارباب الجنود وسادات الاقلام
والحدود وكان غرض السلطان في عقد الرياسة ان يجمع
به بين ما انعقدت له بداية الحالة والتعبد وسابقة التورع
والتزهد فقدر ان الذي حظي به معقود بالدين فلا يستميل
الى حطة ولا يحاق ابدا المستهلة ويرجع به الى ما يوجبه حكم
التقية من رفض المراتب العلية والمطامع الدنياوية فلما
وردها ساس اهلها سياسة لو عاش ابن زياد لعاد على سياسته
بعين استزادته فخفت عليه حتى صرير الجنادب وسكن حتى
دبيب العقارب وهدأ على شغب المراتب وسكت حتى ذوي
المذاهب وكانما اقبل به شفيف الشفا فلكل سامته اوهامته في
الوجار انجحار وبالمغار استتار

لقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه
ها ان هيبة السلطان من التي حطمت الكماة وحطمت الاقاليم
فلو وكل بعض همته برواسي الجبال لاصبحت منسوفة او بطوامي
البحار لعادت منزوفة فما خطر خطية بيته بباغي الرشد هو
نائبة وبمجيء عندها عن قصد الصواب نبيه او نابيه ومن

احمق

احس

احسن في جنب ما له من عون القدر وحكم الفلك الدوار
على البشر وابى الله ان يخمد على حر المريد شهابه او يمدح على
سعي المحول ذهابه وتطرق الرئيس حواشي المقصود بشرع
منهم بعض ما اخذوه رشى واحتبسوه ثروة وكسبا ثم نقلهم
الى بعض القلاع عبرة لمن اكل بالله واظهر الزهد ولم يتوكل
على الله وهم بصاحبهم فاخذ حذره وازجى من دونه
ستره ولم يقصد السلطان قصد استئصاله ونفضه
عن فضول ماله فترك من وراء الحجاب على قدم الزهادة في
وغصص الفطام عن العادة وعطف من بعد الى جماعة الاشراف
العلوية ذوي الاقدار العلية فاشعرهم ان حشمتهم بالطا عة
موصولة وحرمتهم بلزوم القصد وترك تعدي الحد ۞
مكفولة فتلقوه بالاجلال وقابلوا امره بالامتثال علما
بانه ظل الله فما يغني منه غير الانقياد والميل على الغلو
للاقتصاد واستخلف على الرياسة عند الشخوص الى الحضرة
ابا نصر منصور بن رامش وهو يضرب بقرابة الى السلطان
الا قطعها عليه صيانة من تعيير الكرام وتثريب الرجال
عند ذكر الارحام فطوع له قياد الاحرار والاشراف من
الكبار والزمهم ان يخدموه بكرة واصيلا ويختصوا بطاعته
جملة وتفصيلا فمن ورم انفه دون طاعته شريفا كان
او مشروفا نفي عن بلده وعري عما تحت يده فتخصص اليه

الاعناق • واحدقت بغنايه الاحداق • واستتب له رياسة
لا عهد لاحد بمثلها من روساء خراسان الا ابا عبد الله العتبي
فانه بلغ مثلها ولكن على غرر شديد وعز عتيد وباس شديد •
وخدم وعبيد • ومال ينادى على العباد والعفاة هل من مزيد •
وفرش في زمانه بساط العدل فتواعدا الاحباش الاحفاش
كرجالات الثروة والرياش اشتراكا في الانصاف • ونفقت
سوق الاحتسابات لدرر فوق الاكتاف • فمن بدعة مرفوعة
وريبة مخفوضة • وحدود على الحق مقامة • وعيون دون
الفضول نائمة • وبطلت معها الحانات والمواخير • وخرست
العيدان والمزامير • وركدت الحان النايحات والسكارى •
واستوى في الانجحار واللياذ بما ورا الاستار عون النسا
والعذارى • فاما شوارع البلد فقد كانت منذ بنيت نيسابور
فضاء لا يكنها غطاء • ولا يظلها دون السما سماء • تخرقها الاعا صير
تارة وتردغها الاهاضيب اخرى فاما التراب مسارا • ○
واما الانداء فثلوجا وامطارا • ولم يفطن احد من ملوك خراسان
واصحاب الجيوش بها لاحتسابها باخواتها من ديار خراسان
تسقيفا لها وتنسيرا وتنظيفا عن الاقذاء وتطهيرا • حتى ورد
الرئيس ابو علي وطالب اهلها به فلم يمض شهران حتى سقفت
بخو الشكاك سقوفها • وقامت على دكاكين الاعواد حروفها
فمن بين منقش ومزخرف • ومدبج بالاصباغ • ومفوف تتفتح

منها

منها فرج بقدر ما يملى ضيا النهار على الابصار • دون ما يوسع
لدرور الغبار • ولا يمكن لدرور القطار • وخمن البصرا قدر
العمارة ماية الف دينار عن طيب النفوس وفضل الكسوب لم
يكلف احد عليها ولم يستكره دون المال فيها بل عمهم المبا هاة •
وشملهم المباراة • فانفقوا موفرين ومستبصرين • ولا نفسهم
على العجز دون المراد مستقصرين • فمن يشوق تاسعا او عاشرا
لبس بادنا او ثانيا رد الى الكاهل قذاله • وترك على شكل النظر
اشكاله • فيالها من شكل شاخص نحو السماك والسكاك • ورايد
فلكا ثانيا على الافلاك • ولما عاد الرئيس الى الحضرة وقرر
حال ما تولاه من عزله ومولاه • ووافق هوى السلطان
ورضاه • فصادف تقريرا وتمكينا • واحمادا واسعا مستبينا
وسنورد شرح ما تجدد من هذه الاحوال ان اراد الله تعالى وتيسر

ذكر الامير صاحب الجيش ابي المظفر نصر بن ناصر الدين ابي منصور سبكتكين

قد كان السلطان يمين الدولة وامين
الملة لما ملك خراسان • واخلاها من شرذمة آل سامان •
عرف له موالاته اياه وهجرته فيها اسماعيل بن ناصر الدين
اخاه اعظاما لحق الكبر واعترافا بواجب الفرض فولاه نيسابور
منطقة اصحاب الجيوش الاكابر على وجه الزمن الغابر سادته مكا
من قبل اذ هو سايس الجمهور • ومدبر هاتيك الامور • ومن وضع
اخاه موضعا قد سدده قبل بنفسه • وراه اهلا لبعض قدره
فقد بالغ في البر والتوقير • وخرج من عهدة التقصير • فولّيها

سنين عدة حميد السيرة كريم الفعال في سياسة الرجال ٥
وجرى على يده من حميد الآثار في مطاردة أبي ابراهيم المنتصر
عند ركضاته • وكفاية ما كان يطرأ من معرته وشدائده
ما تقدم شرحه ثم رأى السلطان بعد ذلك أن يجمع به شمله
ويصل بمشاهدته حبله • فاستدعاه وأهلّ به سبيحه ○
ومغزاه فلم يزايله بعد ذلك • ولم يفاصله في حالتي حله
وترحاله • وكان يراه في مقاماته أول سيح بروحه في المحاماة
على دين الله • والمراماة من دون حق الله • ووافيا اياه بمهجة
نفسه أن كثف زحام • أو عظم على حوزة حق الله استلحام •
شفقة يجيش بها حمية القربى وشجنة من الرحم الدنيا
وكان ينصر مذهب أبي حنيفة اعتقادا • ويرى الاستمساك
به رشادا • فأمر بمدرسة بنيسابور في جوار القاضي صاعد بن
محمد وانفق ما لا يحصى في ابتنائها • وحبس حبائس على من آواها •
ودارس بها مبالي العلم في ذراها • فبقيت تذكرة عنه تغتدى
بالعلم وتراح • ويثنى عليها الامساء والاصباح • ولم يتهم السلطان
منه طول أيامه قولا محالا • ولفظا دون الصواب مستحالا •
ولا شكا أحد من الكبار له جانبا • وفعلا لاشتقاق الرؤوس على
الأتباع مجانبا • وقضى الله أن خانه الشباب ولما استوفى
نفس بأبي الأمل منه بدء • فلحق بالواحد الغفار ان الكرام ٥
قليلة الأعمار وكتبت في مرثيته رسالة سلكت بها مثاني ذكره
فعلت إذ كان في ضمنها ما يفي بشرح حاله وتقرير بعض خصاله

وهي

آه من حسرة على الأرباب ومن شقوة بغير أسباب
آه من مضجع الأمير المفدى فوق فرش الحصى وفرش التراب
نصر بن الأمير ناصر دين الله صدر الحروب والمحراب
صاحب الجيش درة الشرق تاج الفخر غوث الكرام والكتاب
نعيا يا ساسة الرجال يا سادة الفعال يا أعيان العلوم يا اخوان
النجوم يا شيوخ الاسلام يا عيون الكرام يا أحرار الزمان ○
يا أنصار السلطان • نعيا الى كل حي يعافي الكرم أحل ربع الفناء
أتدرون أي ركن انهدم وأي حد انثلم وأي عقد انفصم
وأي سوار انفصم وأي روض ذبل وأي نجم أفل وأي
بحر نضب وأي طود تحصب وأي خطب نزل وأي نضير رحل
والله نصر بن الأمير الجليل ناصر الدين بن الأمير بن الأمير والشهاب
بن الأثير والبحر بن النضير والجبر بن النحرير والعنبر بن
العبير مرخ الملك وعفاره وسور الدين وسواره • وركن
العز وغراره • ونور المجد وعراره وغارت به بحيرة الأدب
التي استعذبتها الشفاه • وضلت قبلة العلم التي ولّيت
شطرها الجباه • وعريت دوحة الكرم التي خبطتها العفاة
وجفت طينة الفضل التي خدمتها الكفاة • وطلقت كريمة
البر التي درّ عليها الوحيد • وغذى بها اليافع والوليد •
وأجليت عليها فواضل النهار • وحليت عليها عواطل الأسحار
واقشعت سماء شام أبناء الدين بوارقها • وخان أحزاب الكفر
صواعقها • فلا نار ولا ماء • ولا خوف ولا رجاء • فأضحى بسه

جيب الزمان مشقوقا • وذكر الحدثان مشوقا • وبناء العز منقوضا
ولواء المجد مخفوضا • ودمع العين مسفوحا • وطرف الاسلام
مجروحا • واقبل العلم في صورة المفجوع وبزة الخشوع يقرمط
خطوه • وينفث الى اهله شكوه • معرفا في صعدا انه دب
لها جوامد الدموع • وتنفك عليها لواحب الضلوع •

فلو غير المنون اتاه اهوى اليه اخوه بالبيض البواتر
يمين الدولة الملك المرجى صباح الدين مصباح المفاخر
ولكن القضا له مضاء يذل لعزه مضر به المناخر
الا يا صاحبي سمعكما الي ان كنتما مسعدين وجامعين الي كلتا اليدين
اكما بلي نصر وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
ويا قبر نصر انت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر نصر كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى نصر مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا

غيره

لئن جاز للموت ان يغصب الامير نصرا الفقد ساغ لي ان اغصبها
معنا وابن معن من شقيق ملك الشرق وسابق جمهور الخلق
والقاعد من همة الفرقد بين على الفرق • سلطان الزمان
يمين الدولة وامين الملة من دانت لعزه القروم • واستكانت
لهيبته الترك والروم • ففي بعض خصاله الف معنى لم يرق

اليه

اليه معن بهمته • ولم يلق له ذكرا في ديوان نعمته • نال الحظوة
من سلطان زمانه باتفاق اذا الحرب قامت على ساق • ودارت
كؤوسها بين جاثر وساق • وقد نضح ابن بيان في جوده • وفضله
بالسخاء عن موجوده • ثم لم يتعرض لخط قط صيانة لفعاله •
ولم يعترف عليه من بعدها بان يعز رجاله وجماله • ان الامير
نصرا اورث العز اباه • ولم يخدم مدى العمر الا اخاه • ولم
يثنه غير فراغ الاكياس عن شغل المواهب • وفلول الاسياف عن
قراع الكتائب • وقطيعة الدنيا في صلة الرحم وعصيان الهوى
في طاعة السلطان ولي النعم نشا بين القرآن والتفسير •
والايمان والتذكير • والعلم بالصلوات والصيام • والفرق
بين الحلال والحرام • ويحتذ الورى بطرف العنان • وسن
العلى بحد السنان • قد اقتسمت ايامه شرائط السلم باسمة
الثغور والحرب ظاهرة البسور • فاما المغافر والبواتر •
واما المحابر والدفاتر • واما المحاضر والمنابر • واما القناطر
والمساطر • فيوما في جحيم الغضب • ويوما في نعيم الادب • ويوما
بين ظلال السيوف • ويوما بين معاني الحروف • رفيقه اذا
احتمى رمح او فيعة • ونديمه اذا اجتبى حكمة او شرعة • فكم
في ديار الهند له من وقائع انطقت الحديد واخرست الوليد
وسكرت البنوق وفجرت العروق • وغادرت بيض الرباع في فحمة
الليل • وخضبة الجزبي عن بهلة الكحيل • وكم في نوادي
الفضل له من محاسن تلثم اطرافها الكلم • وتعشق اوصافها

الامم • ويسجد لاعقابها الحكم • ويأوي الى برد ظلالها
الكرم • قد غيبت بذوب العقول عن صفو الشمول • وتخلو
المقال عن كعب الغزال • وتعوزا البراهين عن نزه الوباجين •
فالخليل على ذكره محشور • وكان سيبويه من طيب نشره منشور •
وايمة الهدى عليه عكوف • وملايك العرش حوله صفوف •
لم صحيفة للذكر منشورة • من اجزى باقلام العدل مسطورة
ولا لغو فيها ولا تأثيم الا قيلا صوابا وحديثا كخالص التبر
مذابا • نفس عليه الدهر مكانه ان الدهر غيور • وعلى
عقايل الزمان جسور • فصرعه كيادا للنظار • واضجعه عنادا
للاحرار • شاغلا عن الجود يمينه • وعن السجود جبينه • وعن
الذكر لسانه • وعن الغزو سيفه وسنانه • حتى اذا كان يطمع
في انتعاشه واستمكانه • وتدوين على معيار الفدا باضعاف
جثمانه • فجعه بروحه الطاهرة • ونفسه التي لم تغذ الا
لنعيم الاخرة • فنحى عن العمر انضر ما كان غصن شبابه • وانطقه
فصل خطابه • واكرمه عود نصاره • واحفظه حوز ذماره •
واوثقه بالدنيا دار قرار • فكم هنالك من استار مهتوكة •
ودموع مسفوكة • وجيوب مشقوقة • ورؤوس محلوقة •
وصدور ملكومة • وخدود بنعال السبت ملطومة •

رمى الحدثان نسوة آل حرب • بمقدار سمدن له سمودا •
فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •

حتى اذا نشر رداء الردى عليه • وقربت حمولة البلى اليه

تنازعه

تنازعه اكتاف الرجال • كما تنازعته قبل ظبا الآمال • وكان الشمس
تبكي من حثو التراب • والارض غرقى في دموع المصاب • والآذا ن
موقورة من رفع العقاير والابصار • مخطوفة من نقض الغداير
وقد غدت الوجوه مسفورة للنظار • والجموع محشورة للاعتبار
والعيون تبكي بهموم تجري سواكبه • وجمود لا تندى مآقيه
وودت زهر النجوم لو صادفن لبلا مدعوى وبلا • وتناوحن
على المصاب جيلا فجيلا • فاما الليل فقد احسن فيه من قال
وان ركبا الارتجال •

لقد بكت الليالي في دجاها لموت القرم مصباح الانام
فاشخاص النجوم الزهر مما تجشم من مدامعها السجام
وبطل هجير كل انسان ثاكل ساير وسار الى موقف الوداع حاير
من كان مسرورا بموت اميرنا فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه بالصبح قبل تبلج الاسحار
يخمشن حر وجوههن على فتى عف الشمايل طيب الاخبار
قد كن يخبان الوجوه تسترا فاليوم حين بدون للنظار

فانا لله وانا اليه راجعون من شعوب تركت القلوب
شعوبا • واوسعت الاكباد نقوبا • وكظمت النفوس كروبا
وسخنت العيون غروبا • ونضحت الوجوه قطوبا • ونثرت
قنا الاصلاب انبوبا فانبوبا • وسارت بشخص العرصه الى
فرضة البلى فريدا وحيدا لم يغن عنه جوده • ولم تجد عليه
جنوده • ولم يقاتل عنه قبوله • ولم يناضل دونه نزوده • وكهوله

خلا انه فادح ذكا مآثره كما فاح حيا كبا بمجامره وهبت
على عرشه الرقاب كما وهبت حين اثقلها النعم الرغاب
فليس بسيم المسك ربا حنوطه ولكنه ذاك الثنا المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه اصلاب قوم تقصف
اباديل العفاة من بعده ما حالهم وما فعلت به آمالهم لقد
انفصم والله حبالهم وانقطع دون هاتيك الموات حتمهم حبالهم
كاني بهم غادين على سدة كانت بالابواع تتشبك وتلتزم
وبالافواه تستلم وبعتبة ركبانها تتمسك وبخدمة اركانها
تتنسك قد اقفرت فلا باب ولا بواب ولا حجاب ولا حجاب
يسلون اين الامير وما فعل السرير واين الحاجب والوزير
واين المنادم والسمير وما هذه الوحشة المستطارة والغبرة
المثارة والظلمة الساجية والغمة الشاجية يقولون
ركب الامير يزور اباه ويحيي بالسلام محياه ويقضي بنذر
الاعتكاف على ثراه ويعتذر من هجرة طال عليهما مداه
ها انه الركوب فبئس المعاد يقولون بمعاده والى الله
المعاد الم يروا اعواده بالامس مهدودة وعروشه بعضو
وجياده مهلوبة وسروجه مقلوبة وايامه مجموعة وايدي
بيامه فوق الهام موضوعة هنالك نادوا ابثورا وعلموا
انه الحق مقدورا وعقدوا دون حاجبه الحق مناحة وندبوا
عين الورى ادبا وفصاحة وكرما وسماحة وافعالا كما ابتغى
الصريم وابن زكية الكليم مغداه ومراحه يعتبون على الجنا

وقد

وقد غدوا في بيض الثياب اشرع السواد وقد كذب الحداد الان
لنوح ما كنتم اليه ترعتموه هلا خالفتم الرسم للوجوب ولبستم
لبسة المنكوب ووقفتم وقفة الحجاب للسيد المحجوب
يا قوم لبس الثوب زينتكم وقد فجعتم بمولى كله كرم
ردوا عليكم جميعا فضل لبستكم ان الحداد على المفقود ملتزم
فتطفقوا انما تشدون بينهم عشا على الزمان وندبة للفضل والا حسان
يا دهر ويلك ما فعلت فقد غدا بك كل ما يخشى الرجال سليما
من ذا الذي يرجو فناك بعد ما غادرت نصرا في التراب رميما
من كان اعذب شيمة وسجية والذ مكرمة واطيب خيما
ومن العجائب والعجائب جمة ان لا تلام وقد غدوت مليما
يا دهر ما لك طول وقتك ترتعي روض المعالي بارضا وجميما
يا دهر ما لك والكرام اولي النهى ماذا يضرك لو تركت كريما
لئن سر الامير اباه بلقياه وشفى غلة لوعته وصداه لقد ساء
اخاه بان عدم مثواه وافقد مصبحه وممساه وقد وكل من بعده الى
نواهش الارض ولواحس التراب قواه لكنه ما يصنع وسبق القضا
احد وحكم السماحة لا يرد ومن قبله ما قد اصيب
ومن قبله ما قد اصيب نبينا ابو القاسم النور المبين بقاسم
وخبر قيس بالجليلة في ابنه فلم يتغير وجه قيس بن عاصم
وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر ام تسلو سلو البهائم
لا در در الموت من وقاح وقرن كفاح ما انشب نابه الا افترس

ولا انجح مطلبه الا انهن سوا عليه الملك المحجب والسلطان المغلب
والفقير المستضعف والسوقة المنتصف ..

الا نعش هذا الموت كيف ارتقى الى حمى قصره العالي المنيع الجوانب
فمر على تلك القنابل والقنا وجاز على تلك القواضي القواضب
عجبت له والموت ليس بمعجب وفيه اذا افكرت كل العجائب
لعمري لقد جراه حين غزا على نهايات الثغور واعيان الكتائب
وفتحه فتح الحصون وانها سوا في المراقي سامیات المراتب
ونصره بالفتك في غزواته ورمي الرزايا وافتراض المصائب
وكر عليه شدة الليث وانثنى كطوف يحول السو حول القرائب

ومن عجيب الامور في حكم المقدور ان اخترم الماضي برد الله حفرته
ونور غرته حتف انفه على خطاره بنفسه في تقحم الحتوف واغراضه
للشهادة بين الاسنة والسيوف كخالد بن الوليد حين وفي اجله
اذ قال لقد وردت الحروب منذ عقلت فما في بدني مغرز ابرة الا
وفيه جرح ضربة او وخز طعنة وها انا اموت ميتة الحمار وان
الحكم الا لله الواحد القهار . او كلاما يشبهه اما ان خالدا لم يدر
ان سيف الله لا يقتل بالسيف وكذلك القتل يرنوا الى موت
الشباب من خصايص الحتف وان الله تعالى لما جعله اكرم النفوس
مناقب فيض له محمد الامور عواقب وقد فرغ ابن الرومي من هذا
المعنى مجود وبيض وجه البرهان بما سود ..

ان لم يكن ظفر الهيجا منيته فاكرم الترب بذوي غير مخضد
اما ترى الغرس لا يذوي كرايمه الا على سوقها في سالف الابد

في ساير البلد

لبسة

لبسة السيف قوم يشرفون بها لبسوا من المجد في غاياتها البعد
عز الحياة وعز المجد ما اجتمعا اسنى واتى لبيت العز ذي العمد
موت السلامة للانسان يعلمه وانما القتلة الشنعا للاسد
لم يعمل السيف ظلما في ضرايبه فلم يسلط عليه سيف ذي قود

ولعمري ان الرزية به قدس الله روحه لقاطرة العموم ومتشا طرة
بين الرجال على العموم . غير ان القاضي ابا العلا وسائر شيعته
والشاربين من زلال شريعته او فوا من الاحزان افساطا . واشد
على مزود الاشجان رساطا . فقد كان عرف الله تربته طهر ظلا
ممدودا او شرابا مورودا او كهفا مقصودا . ولوا على نصرة الدين
معقودا . ولولا ان الله سد ثلمة المصاب وخلة الاكباب بملك
الشرق وسيد الغرب وحجة الله في الارض سلطان الزمان امين
الدولة وامين الملة اطال الله بقاه . وحفظ على الدين بهاه
وسناه . ففي بقايه عوض عن كل شاحب وخلف من كل غارب
او حازب . لا تسع القول في عظم هذا النعي وفقد ذلك الشهاب
المضيء والنقاب الالمعي . غير ان النعمة بحمد الله فيما بقي ضافية
اللباس نامية الغراس ناضرة الاكناف كافلة الاخلاف فلا
زال فضل الله عليه عظيما . وصنعه لديه جسيما ولطفه كريما
ولا خلف عنه الزمان يتيما . والهمه الله فيما عراه راجحة الصبر
وعرفه فيما غزاه فاتحة النصر ولقاه ملك الوهم مواتي تخرط
الدنيا في سلك ملكه . وتترها بحق الوجوب في قبضة ملكه ..
ورحم الله ذلك الامير العديم النظير والجليل الفقيد المثل والبدل

رحمة تبرد ضريحه • وتعبق من روحه وريحه • وعرف له مساعيه
في الذب عن حوزة دين الله والسعي في سبيل الله • والقرض من
ماله لأولياء الله • وعوض الله المشايخ السادة عما دهاهم
فادهاهم ثوابا يحفظ عليهم دينهم • ويثقل في موقف العدل
موازينهم • وجعلنا من المستعدين ليوم الدين ان حكم الله يفرق
الجفل والخلق فيها شرع • والآخر للأول تبع • والحمد لله على
كل حال • والصلاة على نبيه محمد وآله خير آل • **ذكر ما انتهى**
اليه امري بعد بلوغ هذا المكان من شرح
اخبار السلطان من قصد الوزير شمس الكفاة وانتعاشه
حقي الخدمة والموالاة قد سبق في اول الكتاب ما سبق لي
الى الامير ناصر الدين سبكتكين انار الله برهانه من خدمة وتمهيد
عهد من مزايا الت ودمته وعرست اثناء ذلك في التقرب الى الوزير
شمس الكفاة والتكفل بما اراه • والتجرد لما ارضاه • وما دجوت
على الايتام ابراق سحره • وايناق نور دمثره • بعد ان صادفت
من آثار رعايته ما لم يكن يليق الا بهمته • وما نشأ من كريم المجد
في ضمان ذمته • فرأى عند وصولي اليه • وعرضي موضوع الكتاب
ومجموعه عليه • ان يسميني بالتقليد • ويسيرني الى كنج رستاق
على البريد • وعليها فرعون تون ابو الحسن البغوي شيخ ظاهره
نور وباطنه ديجور • ومنظره متن السيف ومخبره ردة الزيف
واوله مستور العاشل واخره قرون السنابل • فامتنح موذي
عليه باستهانة لم تناسب حشمة الامر ولا حرمة الاقلام والمحابر

يومهم

يومهم من جانب انه منعوت • ومن آخر ان الحقد موروث • وقد
كذب ان الرعاق من مشبع الشريب بحالك • ووارثه محبات الاولاد
كلالك • وما علمنا ان موالاة الابناء معاداة الاباء • وان والدا
يكاشح ولده ويطوي على الذا الذين معتقده • حتى يباغض
من وافقه او عاهده • وضرب على وجوب عقد الموالاة بدع
وسامني خيانة الذين بمواطاته على كبائر تعلق الرقاب • وتوجب
في عواقبها العقاب حتى علم ان مثلي لا يقر على الباطل • ولا يرضى
باستكمال الباي والاراجل حتى كاد ان يعرفني في دردوره
ويتيه بي في تيهوره • واحال واكال وحرش على الاسواء
الاسال • وابى الله بعلمه بعباده الا ان يخونه بكيدته
وينكشف عن افواه الزور وابطال الغرور فصيدته • ولما
ايس عما رامه • والبس دون ما جرد له اهتمامه واعتزامه
عرج على استنزال شمس الكفاة بسحر التمويه • وعرض صورتي
عليه في معرض التشويه • موهما اياه ان لي صغوا الى بعض
من ناظره يوما على رتبة المقابلة • او وازنه بمعيار الموازاة
والمماثلة • علما منه بان حلمه لا يستخف الا بهذا التأويل
وان رأيه لا يستنزل الا على مثل هذا التخييل حتى نفذت فيه
رقيته • وعملت في استنزاله حيلته • فتشربت حقدا او لا
الارض من صوب العهاد • والكف من وشم السواد • والصبغ
من صبغ الفرصاد ولون الجساد • وعلم الله اني لم اكن لأضمر
الزعفران
كدرا على صفاء • او استر حسوا في ارتغاء • او استبطن غمصا لصنيعة

اوطمًا على عين شريعة تنبري من نكب عن نهج الوفاء • وعتب دون
فرض القضاء • وودع حق المنعم المثيب وردّ الحجر على قرارة القليب
ونرجئ عما قلدنيه بقدمه من اهل جرجان لا يعرف الرشد من الغي
ولا الظل من الفيء ولا النشر من الطي ولا النقد من الليّ
ولا الاثبات من النفي ولا جرجان من الري شوهة توهه
قد صنع من طول القناة وزرقة البراة وليقة الدواة وصفا
الصفاة • وتجدير الصحف بالعشرات طالما جرى على العثون
تشمما للتراب وتكففا للحصا في الجراب وتصرفا على المكس
بالصروف • وتهجيا للالف نقطتين من بين الحروف • وطفق
بعد بر نصح لكنة عجمية في شعر كشعره الموصوف بوتاد الصوف
مستميحا كل صراف واسكاف وعطار وبيطار على صفقة الاولى
اذا السلعة قايمة والحلة رايمة والشيخة مطوحة والنحلة مانوح
وعبر زمانا على هذه الجملة في الوقاحة والوقاحة ثم انتجع خراسان
ببضاعته المزجاة توافقت على النظرة الحرفا فبولا • ولبست
من عزا العطا غرة وحجولا • فلما تعقبها المتأمل علم ان خرق
الانفاق ضيع المال واورث الوبال فاستمل مخذولا • وغودر
في بحر شعره مرذولا • الى ان غرّ شمس الكفاة عن نفسه فآ
حاره على ونفذ معه مكيدة البغوي الغوي الى تقصد فيه
من المكروه في الروح دون ساير المنوح بما لولا مكان الامير
الاجل ابي سعد مسعود بن يمين الدولة وامين الملة وفضل
احسانه واستنقاذه اياي من لجوات شدايدهما باحد علمانه

لتراقي

لتراقي الخطب الى ما يعز تلافيه • ولقلق رهن الحماه بما فيه •
ولو كنت علمت من سيرة البغوي قبل ما عرفته بعد لاستعفيت
من جواره • واحترست من مساقط احجاره • لكن السراير بعد
الله لا يكشفها الا الاختبار •

والظلم في خلق النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وقد كتبت الى جماعة الافاضل في ذكر المذكور وشكواه وتعريض بمجاياه ما هذه نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

لجماعة ارباب الصناعة • وعصابة اعلام الاصابة من مبادي
الاشراق الى اقاصي العراق من محمد بن عبد الجبار المعروف بابي
النصر العتبي رسالة تخص كل باد وحاضر موجود • وتعم كل
لاحق مولود ما سمع للحمام اذان • واطلق على الكفر عنان • وشيم
في سبيل الله حسام • واقيم على كتاب الله نقط واعجام • سلام
عليكم ما راق شارق منصوب • وارار بارق مسكوب • ودرّ
على الابساس حلوب • وكر في حومة الناس قارح يعبوب سلاما
تمتد على تهدئيات السحر قضبانه • ويتم على قناة المسك
والعنبر اردانه • اما بعد فان الله تعالى جعل بالرابعة
التي تبلج للسارين صباحها • وتبرج للناظرين وشاحها
معدّ له القدود • موردة الخدود • مصغرة القرون • منوعة
الشؤون • مغلقة العوارض • مذبحة المعارض • مخضبة الاطراف
معطرة الاردان والاعطاف • متناسبة على صادة ابتداء تقتضيه
حكم كرمه • او ابتلاء لاثارهم في جنب نعمه • نعما فايدها

شوم الجد لان • وسابقهما لوم الكنود والكفران • تخالط ابناها
مشوهة المطالع مشفقة القنازع • مروقة المكاسر • مقلعة
المشافر • مغولة المعاري • والمحاسن تصرفهم بين اخلاق
مذمومة • واخطار مثلومة • واعراض مكلومة • وافعال بعاجل
العار وآجل النار محتومة • وقد تستحيل النعم باعيانها نقمًا
منكورة • كما تستحيل المحن على اربابها منحًا مشكورة • نطبعا
على طوق المكان • وترغوعا على عادة المقصود بالاحسان • كالجيب
يعطر من نوافح الندود المعطرة • والجويد فور من روائح
الحشوش المعتبرة • والمزن يسقط على عرصة الروض فتولية
طهارة ونضارة • ويهبط على فروع الكلب فيعد به نجاسة
وقذارة • والماء القراح يسقي عروق الشجر • فيقضي عليها
باختلاف الثمر • يقبله كل منها على ما كتب له من مرارة وحلاوة ق
ومرارة • وحرارة ولطافة وكثافة • يسقى بما واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل قدرة من البدي الاول والابدي
الموجود في الازل • وان شر خلق الله نفسا وشيمة • واخبثهم
قدرا وقيمة • من تضيفه صنع الله ريان من نما الطلاقة
نشوان من صهبا اللباقة • ضنان من علل السماحة • مبسان
في علل الراحة • حتى اذا حط رحله • وخالط بالبشر الخصيب
اهله • قراه من بوس الخصال وعبوس الملال وضرة الاستبدال
ومصرة الابتذال ما يطير واقعه ويهيج وادعه ويبس وده
وتعفر علته ولوده فيرحل في سواد الحداد شاكيا سوء الجوار •

وحفرة

٢٨٤

وحفرة الزمار وذلة المقدار • وغلظة الاجما والاصهار • نابيا
على ثنية الوداع صلبفه متمثلا بقول الشاعر •

• بنعمة الله لا نعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام •
• لا يليق الغنى بوجه ابي يعلى ولا نور بهجة الاسلام •
• وسخ الثوب والعمامة والبرذون والوجه والقفا والغلام •

ولولا ان العقاب تبع للخطيئات وان الناس على الاعراض محمولون
في حكم الاعتبار ونص الكتاب • وان مجاز الشعرا غير حقايق الكتاب
ك لادعيت غضب الله تعالى على نعمه حين ابتلاها بمجاورة الانذال
وزواها عن مظان الاستحقاق من كرام الرجال • غير ان المقصود
فيهما الكرامة وقد قابلها بالاستخفاف وكان عقله في جوارها
بغير الانصاف اولى بان يقهره عاجل الغضب ويصهره آجل
اللهب • فكم من وارد ماء اشرقه بميره • وقادح زند احرقه
سعيره • وشاحذ حد قطع به وريده • وراكب جواد قصم عليه
جيده • وقد تختلف مواقع النعم من اربابها على شبههما من
صارف البنة • ويليها ممن يا لت بسوء اختياره وقبح آثاره عليه
عنبن فالاحداث فيها احسن حالا واوزن حصا لا من الكهول الطا
في الاسنان • والشيوخ الكالبين اشطر الزمان • فليس من
فرح وحنك وسبر وسبك واخذ على وجه الاستبصار او ترك
كالغر لم تلقحه هواجر الامور • والغمر لم يردعه زواجر الدهور •
والغفل لم تدربه الحادثات باحوالها • والمهر لم ترضه الرجال
باثقالها • وقد يعذر الناري في طول الجهالة بالشباب الذي

هو طليعة الحِمام وشريعة الشهوات واللذات وان سائس العقل
لم يضرب عليه عقاله • وصقل التجريب لم يحكم على شبيبته صقاله
وان الرأي برعومة لا يفتقها كرّ الجديدين بعد ريثما ورد وشمس
تطلع ثم تغور • وموسم زمان تغوق فيه النور والنور • وان
الشباب شعبة من الجنون • وان قلم التكليف مرفوع عن المجنون
والحدث الغرّ كالبهيمة جرحها جبار • وعجمها دون جنايتها
اعتذار • فما بال من خلع لباس الحداثة • ووضع جلباب الطراوة
واجتلى نهار المشيب عيانا • وافنى ثلث عمايم الوانا •

سوداً داجية وسحق مفوفاً واجد لونا بعد ذاك هجانا

وحان له ان يصحو عن قهوة البطالة • وينزل عن صهوة الاستطالة
ويبكي لضحك المشيب براسه • ونصول الانقاس عن قرطاسه
وتمشي الوني في عظامه • وتعود الهوى به عند قيامه ۝
واضباحه على خمار ندمه • واقتصاحه بعثار قدمه • وتدابرها
الله عليه باتساع محجته وانقطاع حجته وابلاغ النار اغنامها
لالتقاطه واختطافه هادياً عن صراطه مستحيراً العمى عن سبيل
الله والصمم دون امر الله خبطاً في ليل الخبال • وخطباً في جبل
الضلال • وزجوعا في حافرة الخسار • وولوعا بمفاجرة الاثار
وجلاداً في شطن العتو والغلو • وابتاً الا على النفس الامارة بالسوء
فلا ودّ الشيب مشوباً بدنس العيب ولا نورت اقاحي العذار
الا على مكارم الافعال •

فاقبح ما اجتلاه الطرف يوماً صبا الشيب في حلك الخضاب

نعوذ

نعوذ بالله من غضب الرحمن • وختمه العمر بطابع الخذلان ۝
وتعريضه المشيب لما يهتك من استاره ويكشف من اسرار ويمحق
من نوّاره • ويحرق من نور ثماره • وعصم اقمار الكرام ذوي
واحرار الانام عن مصرع الغوي ابي الحسن البغوي ذلة الاحيا
وسلة الافعال وجراب المخاريق وجرداب التخاليط وعقرب
التضريب • وبلمع الاكاذيب • وشبه التدليس وزيبق التمويه
ومرآة القريب • ومقراض المغيب • وآفة الجود • وخزانة الموعود
وحرباء الالحاد • وكيماء العناد • وينبوع النفاق • ويعسوب الشقا
وصنعة العقوق • وفارة الفسوق • وثعلب الخداع • وخنزير
القصاع • وكلب الهنات • واسود الخبث • واسد التراب • وخرضة
الاندال • وفرصة الجبال • وسكين الارحام • ومنزل الدم الحرام •
ولعل بعض من تصفح هذه الالفاظ منسوقة والاسجاع مجموعة
ومفروقة قد يظن بها ركوب التهتك في حلبة الاقتدار ۝
وعصيان القصد في طاعة الاهجار • اذ لا لاستنصاص البلاغة
واعمالاً لمقراض السفاهة بالفصاحة • وحذوا على غرار الشعراء
في استعمال المجاز • واغفال التحفظ والاحتراز • وانكار الا التقيا
هذه المساوى السود في شخص قد شرى على نصاريف الزمان
وجرب واكل على طبع احواله وشرب ولم يعلم ان الله جل جلاله
اذا خذل من شاء من عباده لم يبق منه الا حما مسنونا • وجلداً
على اخلاط الفساد مغطونا • وعلى شك خاصرة الشك عن واضحة
اليقين بالافصاح عما ابهم والاصباح على ما اظلم • تحذيرا

لغفلة الانام • وتبشيرا لشاكلة الاستعصام • وتنبيها على منزلة
الاغترار بظواهر النعم والانخداع لظواهر الاحاظي والقسم
فكم من صبيح يروق العيون نوره • ويروع النفوس مشهوره
قد قطف عنا بيد دروس • واراق بارق عروق وفر
المنايا عن غصن من الاثبات زروق • ومن شهاب كما خط
بالابنوس كاتب • اوحل عن معقود الكواكب • يتسوق في
الابصار ضياء ممدودا • وبها بافق السماء معقودا • قد زمته
من طار بطواره • وسمته من رام التحيز في جواره • وكذلك
الذي يلي بغرة الناظر بمجرده • ويفتر عن عقيق الورد من جده
ثم هو الداء المجلوب لمن خبره • والسم القشيب لمن فكر واعتبر •
ولولا ان قصد الشريعة ان يسمح بجبرها على العموم • ويكافئ
بين الكافة في فضلها المعلوم • اباحة للكتابة التي هي قيد
العلوم • وصيد الحكم المشوبة في الرقوم • لقلت لله در سيبا
العجم • ورفعة اقدار الدواة والقلم • حتى عنسوها دون ذوي
الاستحقاق • وحذروها الا على الكرام العتاق ••

• لله در انوشروان من رجل • ما كان اعرفه بالدون والسفل
• نهاهم ان يمسوا بعده قلما • وان يذل بنوا الاحرار بالعمل

فما كل بخيرة لها كفاءة في مناكحة الاداب • وملاءة في مناجرة
الكتاب • ولا كل مسك يصلح للمسك وعاء • ولا كل ذرور يصلح للعين
جلاء • واضيع شيء عقد في نحر خنزير • وحد بكف ضرير وخط
تحت قبير • ونقش على بنان فاجر شرير • ها ان المذكور معتقد

الاحرار

الاحرار بخراسان ذناءة همة وقماءة قيمة وخساسة معقول في
وخصاصة معقول نشأ في بيت الفضل والنعمة ونما على فرش
اللين والنعمة فرقت عليه تمائم الشباب وعبق به نسيم الادب
فاصبح مخيلا للصوب لصوابه في افعاله • جديرا بحكم الانجاب
في امثاله • يظن به وبعض الظن اثم ان الفرع الى الاصل نازع
والغيث للغيم مضارع • ولا علم يقضي بان النار تصفو عن رماد
مائل • والجمر تطفوا على عكر سائل • حتى اذا ايفع وايع حملته في
يد الة الطباع • وحبالة السبع تحت يد الطباع • على عقوق
ابيه سعاية به الى السلطان فيما يحويه • وابتغاء اله باملاكه
واملاك ذويه • فاستملك عليه قبل الاستحقاق ما له وقصر محاله
واحال حاله • وفجع به امه وكانت عيا له • واجره دون ما اقتنا
على كبر سنه وضعف اساسه • واشتعال المشيب براسه ورسوب
قذى العمر آخر كاسه • فطفق يمتري الشؤون دموعا • ويقتضي
اجل الكتاب غصة وجوعا • ويزجي مطايا الاسحار بين برد
الياس وحر الانفاس بدعوات لم ترجع بجانبها الا بقاصمة الظهر
وحالقة الدين لا حالقة الشعور • وعطف بعد على من طلعت
عليه شمس الدم • ورقت عليه اغصان فوائده • فنخبهم تحت
السلم • وفرضهم فرض الحلم • وعركهم عرك الادم • وقشرهم قشر
القلم • فعادوا اعرى من الصخر محصورا والسيف مشهورا والعصى
مخبوطا • والدجاج على السفود مربوطا • كل ذلك بين يديه
ونصب عينيه • حتى اضمرته الارض بزيما للزفرات كظيما بالحسرات

غرقا في العبرات شرقا بما الحياة وعقد على ما لحظته بكنج
رستاق عقداً اشترى به اهلها واخذ يطيبهم بما يريهم من سداد
السيرة • ورعاية حق الجيرة • ذريعة الى استمكالهم واستصفاهم
دون حوايبهم واموالهم • وساغ عدة من شيوخ شبانهم • ببعض
ما لزمهم استمالة لهم على بوسا مغرورين • وضعفا مضرورين
وساسهم بعد الاحكام عليهم في التراضي بين عامته والنواحي
بطاعته عقد الوثايق عليهم بتصحيح ما لك من ضمانه بتكسره • وجران
حق من عقده بتحتره • حتى اذا استتب له ما اراد • واستوى
عليهم الحق وناد • وضع عليهم يد الاستصفا بعلة حاصل وباق
وحاير ونايق فاخذ ما وجد من صامت وناطق وصاهل وناهق حتى
اذا ارب كل من ذي يديه وبار غير اطلال الضياع والرباع عليه
رام استنزالهم عنها طواعية وكراهية فمن اهيك منهم فرصة
الخلاص على التظلم تماداه فاوهاه وعواه طلبه نعراه سبقه بمحضر
العصبة القايمة بالافك في خفارة التوفير وكفالة التزوير
فارتد على عقبيه خزيان قد سال به السيل واشوان طاف به
الويل وناح عليه النهار والليل • فاما ان يزول على كرب وقلق
واما ان يزول على غيظ وحنق • حتى استخلص الضاحية والضا
واعتصر البادية والكامنة وغادر الضياع حشين • وتشرد عنها
الزراع عزين • واخرس الثغاء والرغاء وانطق الهام والاصداء
وطم المنابع والمشارع • وحمى المراعي والمرابع • فلو ملك عصافير
الهوا ويعافير البيدا لاستكرههما على طعوم الفوايض • وحقوق

الملاجي

الملاجي والمفاحص • قد تحاماه للاطماع ولا مداخل الكهوف
ومفاتح الولايج الجوف • كالحوت لا يرويه شي يلمه يصبح ظمآن
وفي البحر فمه • وما بها التجريب لولا احتياج الممالك نحو عده
واستحلال حرام الملك بر توعه • كانما عقد على الدهر حلفاً لا يحور
واتخذ عنده عهداً يصونه • وتحاماه من دونه مؤونة • وجهات
انها مظالم حديدات الشفاير • ومغارم ثقيلات الغواير • هي
ومصايد طالما خفقت فخاخها • وضربت عليها الشامات
رخاخها • ومطاعم ظاهرها الاذى وباطنها السم وان من
الربيع ما يقتل حبطا او يلم • نعم واقام سوق الفسوق خاصة
وعامة • واباح حمى الفجور بطانة وحاشية • ملتوماً بسمة
الشطارة • ومستمطراً بقية الجارة • ومضاهياً بنوس المجوس في
حنث الالحاد • ووصلة الاخوات والاولاد • بلا غاتمة ثقات
خدمه • واديه على وجه الاكبار جيران حرمه • وربما ارادوا
له في السر ملاماً • وراموا من تحذيره حدود الله وتخويفه عقاب
الله مراما • فما يزيدهم على ظاهر بين عاهر بين تحدق الجراد ما
لها اجفان تواريها ولا اهداب تقيها تصلفا بركوب الاثام
وتكلفاً بمحظور الحرام • وانما اثبت لفظ التكلف قطعاً على ما
سمعته من بعض مشايخ الادب عمن سال ابا حاتم السجستاني عن
قول النبي صلى الله عليه وسلم ابغض الاشيا الى الله شيخ زان وعايل
مستكبر وفقير فخور وزعم ان القياس يقتضي كون الشاب
الشديد الفحلة القوي المنة ابغض اليه من الشيخ المعفوف

المعفوف

والمعصر المنزوف فقال هو بنا على قوله صلى الله عليه وسلم ابغض
الاشيا الى الله التكلف فابغض الشيخ الزاني لان فعله تكلف
وتقدمه استكراه للطبع وهو تخلف كذلك هذا الخرف
المتكلف والشره المتورع تدقضي شبيبته اقتراف المحارم
واجتراف المآثم حتى اذا وضح القتير ورزح المسير وانحل المرير
وارغ ماء الصبير ابت عادة السوء ان ترحيه من عقالها وتعويه
عن سربالها وتضحيه عن فضالها وتربه الا على شعب الاران
يوم فصالها

لا تعودن يا اخي عادة تخزي بها ضربا من الشين
فعادة السوء اذا استحكمت شر على المرء من الدين

هذا ولم يرض بالعقوق الذي وسمه فوشمه وسخم وجهه وحممه
ورداه بالخزي وعممه حتى قطع على رؤوس الاشهاد رحمه
وقتل في الشايع المستفيض ولده وكان لحمه ودمه فلو كان
كاجدادا ولاد السوقة في اطلاق لهم بين الجدع والخلوقة لكنه
الحمر بما العهاد والزبد بذوب الشهاد والاثمر يوشف الرضاب
والملك بشرخ الشباب والامن بطعم الوصال والحلو بطيب
الحلال والعفو ببشرى النوال والعيش بموت العذال
وشمس الجنوب بريح الشمال عشق الادب قبل ان عقدت عليه
تمايمه وزينته دون الاحضان روايمه فجاكا لقدح هذا
اوله النصل المطار وحدا اسفله الريش الظهار وناهز عشرين
من سنه يرى الخليل في جنبه خليلا وسيبويه كليلا وعبد الحميد

رديدا وابن العميد عميدا ان خط فنقش العيد على ايدي
الكواعب الغيد وان لفظ فعقود الزرد منظومة وافاحي
البطاح مزهومة ولولا ان اباه اغتبطه دون مداه لخلف
من آثار بنانه وخلف من انوار ابداعه واحسانه ما يفضح ما
الورد في تصعيده وعصير الخمر من عناقيده لكنه لم يغن
الا نذرا ما لمحته العيون حتى اختطفته المنون فقامت
نواعي المجد يندبنه جميعا ويبكينه بجعا وظللت من بينهم
صريعا انشدهم واله القلب وجيعا

قد كان لي في رايه وذكايه اشراط صدق ان يموت سريعا

ولقد ضمني واياه مجلس بعض اركان الدولة اليمنية فاتفقنا
ثاني اثنين من بين الحضور على شافي الهموم وتذاكر العلوم
وتناشد ابيات الكرم واللوم فما كان الا ان حمي المجلس بنا
وعقر الشرب بعقاره حتى انحل عنه عقال اختياره وانفتحت
له اقفال اسراره فغرق في بحر الدموع عينه والقى الي
ما دار بين ابيه وبينه بفور ما نشا عليه من خدمة الادب
والاستغنا بعصام النفس عن عظام النسب على طاعة من
ولد في حجره والبروز على حكم امره وزجره وانه حين
ملك امره وعرف من طلة جمره وانفرد بتدبير معاشه
وتوفير نعمته وفراشه كما نهض باملة معونة ابيه ببعض ما
يستحقه بررة الابنا على الابا فلم يوده على ان زاحمه في اربه
عن ابيه وحال بينه وبين ما كتب الله له من حقه مطاوعة

لم يفوا عقد عند نداق عسيلته واذاقه ذبيلته فخلاه عمهما
تدبير دابنته وناصيته وولاه ترتيب حاشيته وغاشيته
وحكمه في عرضه وله وسائر ما تحت يده • فاجحد ذلك الفاضل
دون نعمته • وانعدم دون الاستمتاع بلحمته • وجعل كل من
يعتزي اليه منفوما ومقدوعا • ومن يعتريه ملطوما ومصفوعا
حتى اضطره صراخ البائس والحاح الافلاس الى قصد شمس الكفاة
لاستماحته • وابتجاع ندى راحته • فحين علم ابوه المعتوه
تخييمه على شاطي الاقبال • واستعلاءه على مواطي الآمال
ندب الفكر لاغتياله • واسهر الليل لاقتناصه باحدى حبائله
وحباله فدس اليه ما ساغ وذاع • وشحن المسامع والبقاع
من ذعف له نقيعا • غادره على فراش المنون صريعا • وانتقل
غير بعيد الى جوار الله ودار كرامته مشتكيا به فوق سماواته
ومستصرخا ولي العدل ومالك الحق على ظلامته • ومختصما
حول العرش الى يوم قيامته • وحدثت عن قهرمان بيته وقد
عاد الى ابيه السفيه بما كان استفضله عن رواتب نفقاته
واقتطعه دون عوارض حاجاته • استظهارا به على حوادث
النوب • او اشفاقا على معالي الرتب انه وآخر من رفقائه
انفقا من جملة المال قدر ما قطعا به المسافة اليه ووضعا
في اكياسه نحو ما بين يديه وكان جزاؤهما منه ان وضع الدهق
عليهما حتى استغرق مليكهما • وانتزف صليبا لعظام بين جنبيهما
ثم قصد بهما في روحيهما اشفاقا على صورة الحال ومستودع

خ على

المال

المال من هتكة الاذاعة • وفضيحة الكشف والاشاعة • لولا
قا انه اعتصم بالاستبشار دون صاحبه موعدا بما تحاماه • ومنهو
باستيراز ما واراه • ولم يرض بالارث وقد حازه من مستحقيه
من قراباته وذويه • حتى قطع سباط المطالبة على كلالته
ومواليه وهلم جرا الى شنيعة له سجزة في الحجاب معتسة
دون الخطاب خلافا على الله في حكمه واجتراء عليه في فرض
الاسلام وحتمه واستحقاقا لولغ الالسن في دينه المجروح
وعرضه المفضوح وعقده المحلول وسره المعجون بالغلول
تعرضهم ذكرا ناعما بسوء من بالك وجديد وطارف وتليد
اغلالا عليهم ببقايا اخرجها المتوفي على ضياعه ونمى تحت
استغلاله • وفي ضمان مزارعيه وعماله • ولم يستثن من جملة
رم الداخلين عليه رحمه الله لتسليمه غير موسوم بحريمة ومكذوب
بعصيمة • ومنفوض عن ذخيرة وكريمة • ومغلوب على ما حواه
من ضيعة او تيمة وزاوية المقصورة المهجورة تشكو اليه
بلابلها خضوعا • وتمري عليه مكاحلها دموعا • ضيقا بما دهاها
من اضاقة • وابدعها من الم التسبب من فاقة • وتسأله
سؤال المضطر ان يملك عليها ما ملكته ارثا • ويحوي ما حوته
عتقا وحدثا • مصانعة له دون ما اطلقه عليها من
ايدي الجنود • واخاف الترك والهنود • فهز في وجهها
صخرا بما تشوفته من نظره • وقلقا لما خصعته عليها من ورق
الصيانة عن شجره • وجعل من بها في جواب التلطف والتألف

باحد من مولّلة القراع • واشد من ململة القلاع • فعل من
لا تكفه حرمة ولا تكنفه رحمة ولا يرق عليه رافة ولا تخف
اليه في ذات الله مخافة • ولا يثنيه عن وجوه الناس حيا
في ذروة عوزة تنالها الايدي الطوال فلما اياسها
الاعراض اخذ ركة الامتعاض وآلت طلقة مصورة لبن لم ينته
عما لم يقصد بمثله والذ ذات خدر وكريمة ورأس ستر لتهتكن
الحجاب • ولتطرحن الجلباب • ولتحثين على فرقها التراب
منطلقة الى حضرة السلطان في ايضاح ما وارته الجدر
منه وطرحته المجاملة عنه وكتمته ضماير الاستغاق فيه
وطسته ذيول الهوادة فيه دونه فقال المجنون لا حجبه
وهو معه في باديه اغلق على هذه القحبة الوزها فقد ابطرتها
الفضول وانطقها دالة الاحمال فما ندري ما ذا تقول
هذه والله حمية الابطال في حماية الذمار • ورعاية حقوق
الحرم الابكار • رحم الله ابا الفتح البستي حيث يقول

لي جارية حين عرسته تلعن ابن عم
خلو الله الى الناس للغيرة عن غم

ولما فرغ هذا الفاضل عن هلاك ولده • ووراثة ما كان
تحت يده • واعتصار المظلومة عن بلالة حالها وعلالة
مالها ندب اخاها لصلبه وهو عجزه اولاده • ومن يرجوه
مثله لمعاشه ومعاده • للتقبل بمعاملات ناحيته احتيالا
عليه في الحاقه باخيه • واقتطاعه دون كفافه يتصرف

فيه

فيه فلطف واعتذر واعترف بالعجز عما قدر حتى اذا اعياه
التلطف ولم ينفعه الا التصرف مدرقته لربقة التقليد
وكبر سبعا على طارف الملك والتليد • وما ان تجني كل ولود
وترود • ويحوي كل بكي وثرور • حتى نضب المال الا قليلا •
وعصب ريقه الا بليلا • فطفق يعيره بعجزه وتضجعه • ويبكته
على خرقه وتضييعه • وامر فجمع عليه ما لم يثبته سمع ولا بصر •
ولم ينسه نجم ولا شجر • ولم يطلع عليه شمس ولا قمر • وسبب عليه
لا علاج الهنود • وغلاظ كفار ملم السود • ما لا اوسى الا من
طاقته • واتى من وراء فاقته • وحرسهم عليه بتقطيع في عاجل
موزون • وترغيب في آجل مضمون • حتى اوهنوه شدا وايثاقا
واثخنوه ضربا وارهاقا • ووضعوا عليه في بعض ليالي دهقا
استمر به الى الصباح السافر • حتى لم يبق منه غير فاقرا الطاير
علموا انه مظلوم • وان لا نجا عليه في ربهم المدخول وشركهم
المجذول لقرم ولوم • فقضوا ابدا بما يهمه لاعنين اباه ومن
ام ارضعه ورباه واطعمه بعد الله وسقاه • وما ظن الا فاضل الكريم
بمن يوفي رحمة الكافر الفاجر على قساوته • وطبع على قلبه
دة وغشاوته • بمن يزعم انه والد يحنوا على ولده • وبعده فلذة
من كبده وبضعة من روحه وجسده • كل ذلك طمعا في اجتناء
مال واستضافة حال • فصار امرها الى محق وزوال • فلا رحم
الله كل جان في العقيدة جاف المكيدة قاسي الفؤاد • جاس حمى
الاولاد • ان للآباء فروضا على الابناء • وللابناء حقوقا على الاباء

فان يكن من فرض الوالدان لا يقتص منه متى قتل ولده فقطع يده
بيده فمن حق الولد ان يطاع الله في صلة رحمه • وتقوى الاقدام
على روحه ودمه • نعم ولما ان خف عن الباس كربه • وانجلى
عنه وصبه اسرى الى جانب الامير ارسلان الجاذب في زجه
السهم المارق متقيا به عارض الباس • ومستبقيا روحا معلقة
بخيط الياس • فآواه وقبله • ونشر عليه جناح رحمة له • وكتب
الى اركان الدولة في بابه بما ابطل عليه سعاية ابيه • وغل
دونه نكاية قصده وبحبته • وحاذر الفاسق المارق فتضاحح
بآخر ولده كما افتضح من قبله اردى الله صداه وقبح اباه فلم
يزل يلقاه بشعوذة المخاريق • وبرقشة التزاويق حتى اغرضه
ما لا سد به يتخر باسه • وردمعه تدوي انتعاصه وشماسا
كابن المقفع حين استقرض السجان • واستوجب الامن والامان
فلو نفس عن منافس فتوقه ومنافخ جلده وعروقه لا تنفخت
جلا تنجز كل صابغ وصواغ • وتغلب بين الوحوش دواغ •
وما زال هذا المذكور يخلف به السرج والكور الى ان قدم
شمس الكفاة وزير السلطان يمين الدولة وامين الملة من
الري مسوفيا على العمال بقايا الارتفاعات والاموال
سنة ثلث عشرة واربعمائة فجنح اليه لابذا بكنفه وعائذا
بواقية الكرم • ورائبة الايتام من شرفه ومفرا حالة في الظلم
الذي ضرسه بحر به • ومحبسه معص الملحاح غارب بعيره
وموطئا لسانه فراش التقية طاعة لله في لزوم الاحترام

وصيانة

١٩١

وصيانة للعرض من شوم المداهم • الى ان حشرت مطالبة
العمال اياه الى مثواه من باب ولي نعمته ومولاه فكم ضرع اليه
فما نفع وخشع فما نجع وتلطف فما اقصر واستعطف فما سمع ولا
ابصر حتى اذا عارضه التردد بحجابه • وكلمة الياس من وراء
نقابه • باح على شمس الكفاة ببعض تلك المخاريق • وصب عليه
جرعا من الوان تلك الاباريق • واشعره ان صنيعته لم تنجم منه
لفا الا جاحدا للايادي • مكافيا بمساويه من البدا الاعادي • نحا
بكريمة الحفاظ في مواليه ببراهين كاسطع الصباح السافر
ع اوسنا النهار الباشر • مقرظة بصحايح الاقوال مشتفة بصفا
الافعال فلولا كرم يحذي بجنانه • وعجن على مسكه وبانه
لرجمه رجم العفريت وضربه بالنفط والكبريت لكنه راى
ان يضم عليه طرفي بساطه • ويستبقي محتوم سره بين خرزه
ورباطه • تقيدا بما لشفاعة المشيب وتفويضا الى ما وراه
من الاجل القريب • وانما غالمن سمع او نظر او روى او خبر
بما تناهبه الآفاق من ذكر شنيع معايبه احداث ولومه ⊙
مكتسب وفضله ميراث • ولما تسامع اهل عمله بما ركد من
ريحه وظهر من رغوة صريحه تبادروا الى مفصل الظلامات
صارخين كما تتفوق في الجوبات الاعداد وجمهور رعية الشعب
جميع البلاد • واختلفوا في المظالم فمن قائل هتكت حرمته •
وآخر انتهكت حرمته • وثالث انتهبت ثلثه • ورابع طلقت
عليه طلقته • وخامس قتل على التعصب اخوه وابوه • وسادس

حدبرت على المعروف بشرته ونفض فوه • فمنهم من وصل بالانفا
ومنهم من حذر رفيقي على باس الانصراف • ورأى شمس الكفاة ان
يسلك به شعب المجاملة فامر بصرفه على نيابة مساويه
وصد عن مسامع السلطان خبايث افعاله ودواهيه • واضمر
بذا الظلم عن شريف ناديه • فعاد المذكور وراه محذولا
منقولا • واراد الله ان يقضي فيه امرا كان مفعولا • ولما راى
ان قد صحت عليه افعاله • وضحكت منه حيلة وادغاله •
وان الابليس قد مضغه حين اطاع عبدا مملوكا في معصية
خالقه ووصل شهوة الفجور في قطيعة ولده • وعمر اطلال
ضيائه بخراب آخرته وثبت به وثوب الثائر الموتور والكابش
المسعور زجر ماحاله على الفسوق ووفاه من ثمن الاستلذاذ
بسلعة ذلك السوق ورأى ان صنيعه ذلك بجبه بسمة
الامة • وبقية بال الابلسن الذاته • فاسترد ما نحله
من صداق • ورجع عليه بقيمة ما اشتريه من حاجة اشداق
وعراه عما اعطاه • بعد ان غراه فامتطاه • وبطحه للبساط
بعد ان اضجعه لوطي اللواط • سيد الامة جوده طالما
امتصها بثغره وكنسها بعارضيه • وفداها بنفسه وابويه
ودفن عليها احد ولديه • هذه والله الجود لاما يحكى عن حاتم
العرب • وروي عن سادات بني عبد المطلب • فلله الله من رضي
بها لنفسه سيرة • وخباها على شاسخ الاحقاب كنزا وذخيرة
انه وذات الاستار ببطن مكة لا اذل من وابغى خفية

مقلوب

١٩٢

مقلوب • واذل من طامح في شويطه مصلوب • ان كان اراد بما
اتاه ابقاما فهلا ذاك والولد حي • وفي اليد من ملك الحياة
شي • الان وقد سبق السيف العذل • وقد فعل القضا ما فعل •
او زدا وقد نصب المأوشيما وقد اصبحت السما • وغبرة وقد
سقط الجدار • وستره وقد ظهر الشوار • هيهات هيهات
لظن حايل • وراي فايل • ذابل ورد ما سايل •
• ايتها النفس جزعا ان الذي تحذرين قد وقعا
واحال مفترش لذته ومعتصر شهوته للانقطاع الى بعض
كبرا الامرا • فقبله واواه • وانتزعه من قبضة مولاه • مراغمة
كونه بنار اضغانه • وشويه على جمار عمومه واشجانه • فلا
حميم ولا قريب • ولا ولي • ولا حبيب • ولا والد ولا مولود • ولا
عابد ولا معبود • فاما الشرع وطريقه والدين وحقيقه
فجيء هلاله ان في وضوح هذه الحال على شوه احكامها
وسفه احلامها لغنية دون شرح الحال • ونشر بمجاو تبليغ
لسان المقال • وتفصيحها غير ان التقرب الى الرسول المصطفى
الابطحي المجتبى صلى الله عليه وعلى اله لقوله اذكروا الفاسق
بما فيه يقتضي التنبيه على مخازيه تلخيصا لخفايا نكره وخبايا
وتشكيلا لاصلاح خبثه ورزاياه • ليعلم الافاضل اني حاولته
على البريد قريبا من سنتين فلا والله ان تصعب لاحد ان به
في المسجد الجامع للمريض الا يوما واحدا ابيضه العفو وكفضه
البكر فما ادري اخطات به خطاه • ام اتجاه عذر يخوف عقباه •

وتجاريا حديث الصلاة فقال يمازحا وما صدقك الا مازح او
سكران قام بعضهم وهو يسعى يوم جمعة للفرض وقد نودي
للصلاة فقال له صاحبه مكانك ان اربعة من خير البيوت ع
لخير من اثنين من عمل السوق وقد كان من طريق التجوز مسببا
للتاويل على وجه التملح ولكن من هداك قبله فترك العبادات
بسبيله • فلا عبد بعناد • ولا ورض كما يقتضيه العباد • تحالك
له به عين اليقين بالالحاد • وتلقي اوامر الشرع بالعناد ۝
واظن قول العلام الواصف مولاه انه ليعرب في الشتم ۝
ويلحن في الاعراب ويصلي من قعود ويتنفل من قيام ينحى الى
صورة حاله • ويأوي الى مقصورة جنته وضلاله • فجلت
احواله عيوب • ومعظم افعاله ذنوب ۝

يصلي فيخفض اركانه ويثني فينصب سيقانه
يخاطب بالكاف اخوانه ويشتم بالراي غلمانه
ويكفف للشر اكمامه ويسحب للاثم اردانه

ومن نادرة البلد اعتقاده الاعتزال على وعيد الابد ثم لا يتقي
محظورا ومنكورا ولا يستبقي عملا مبرورا • ومنكرا من القول
وزورا • هو طمع بمشهدي في مال رجل كان انقطع اليه منذ
زمان فاغرى به رقيبا له كقضيب من الآس سيان بعلته
فتكه بامته اذ هو صنيع على حد الذ العجز صريع • ولقيته
استعدا الامير الاجل ابي سعيد مسعود بن يمين الدولة عليه
ونجوا الامر في معنى الانتصاف اليه • فتنبه ذلك الامير ۝

الالمعي

الالمعي السيد اللوذعي على غامض كيده • وباطن حيله في صيده
فامر بالكتاب اليه في تعرف الحال • وتجنب جانب الاحتيال • والانتداب
لاعداء الشاكي على خصمه • وابقائه حكم الله في امته • فلما احس
الخوذلة المحتال ان حدسه قد قال وظنه استمال • وسعيه
الى الثبور قد مال منع شهود الزور ان يصدعوا بالحق فيما بذلوا
من خطوطهم ترغيبا وترهيبا فرفضوا القول • وادعوا على مستملهم
الغول • ومال المزور الى التوسط عن ارش المستباح دمها على
ماتي درهم قيمتها خمسة دنانير فلم اذ رايته نخلة وقفت بان دية
الامهات على هذين العقدين فما في الاسلام له ذكر معلوم • ولا
في الفقه باب مرقوم • ولا عند اهل الكتاب امر مختوم • ولا في
ديار الشرك رسم مرسوم • ولا في فطر العقول كان تنزل عن
امهاتها مقتولة بهذا الوكس والثمن البخس ولا الخنا بيض او القرود
او نطقت ترضى عن اضعافها بمثله وكم قد قلت انها ليست
دية تؤدية • او ودية بل هي دية نسمة مسلمة • قد حقن الله
دمها الا باحدى ثلاث نصا عن رسول الله صلى الله عليه رب العالمين صح
وسلم وعلى اله وصحبه اجمعين فهل يستجيز الترخص في هذه
الاحكام • الا مستخف بدين الاسلام • اما ان المحكوم عليه
لم يلتزمها الا نفرة قومت مائة وعشرة فقال المجموع ۝
المخدوع تالله لا رضيت بهذا الغبن • ولا شربت الدم الحرام
باللبن • وهم بالرحيل في امر الفتيل فاغتيل فلم يدر اكلته النار
ام شربه الماء • فالتقطته الارض ام اختطفته السماء • فلله مما

من دمن هنا هدرا ● وشخص فهدا غيلة وسخرا ● والله الذي
السليم والعقد الحكيم ● والامر القويم ● والسمت المستقيم ● هي
والمبالاة بما وراءه الجحيم ● ومما يزيد ادام الله عز المشايخ فضوحا
ويجلي هذه المقدمات وضوحا ● ما كانت الاخبار تتشاهد
به من استحالة عقد الاشفاق من لواحق جناياته على سلطان
زمانه ● ورعايا عمله وسكانه ● حسب ما ينسب اليه من ضياع
وعقار ● وباغ ودار ليتناهب ذكره الاسماع ● ويتقاصر دونه
الاطماع ● حتى اذا ما خلا جوه ● واستقام على ايقاع المراد شدوه
ندم على ما فعل ● ورجع فيما بذله فصل بالفسخ كل ما اجمل ● فكان
هذا البلاغ يقرب نازح من الامكان ● ويبعد اخرى حتى اعيى
شخص العيان ● ونابت شمس البيان عن القمر وذلك حين بعث
السلطان يمين الدولة وامين الملة قاضي قضاته ابا محمد عبد
الله بن محمد الناصحي الى ديار خراسان ليتدارك امور الاوقاف
وانتزاع ما اقتسمته ايدي التسلط والاختلاف فوجه اليه
خليفته وانا حاضر ● والى حقايق ما يرد او يصدر ناظر ● ما نفور
عنده من احتجانه ما يقارب مائة الف دينار عن اوقاف وضع
عليها سمة التملك وسومة التغلب والتحجر كاعتيافها افواه
اربابها دون التظلم بوعد دونه رقراق السراب ● ووعيد
عنده فواق الرقاب ● حتى درج عليها قرن بعد قرن آيسين عن
الانصاف ● وخلف من بعدهم خلف قانعين من دونه بالكفاف
فاوحى اليه بانعام الاستقصا على حكم امانة القضا فقام بنفسه

مطلب
ابو محمد الناصحي قاضي القضاة
في زمن السلطان محمود وغيره

وقعد

وقعد ولا برق وارعد ما لا عظيما من تحت اضراسه ● وحذره
الافتضاح ان يعوض لمراسه ● وكان قصاراه ان يسكن ويسكت
وخشي اسوة امثاله العنت واحضر الرجل طواعية للشهود ●
وعقار بيت الفسوق والمورود ● وعقد بمشهدهم وعلى شهادة
ذا بين بوقفه على ما يملكه والطلاقه على وجه الله جميع ما امسك
يزي بما فعل ان الشيخ بما تحت يده من قليل او كثير ● وذهب
وعقير ● براءة عن الطمع في مال الغير موقوف وعوض الى
الى وجوه القربات مصروف ● فلم يتراخ الامد على هذا العقد
الوثيق ● والخذلان المشبه بالتوفيق ● حتى قال لي وهو يشكو
لوزير شمس الكفاة ● وسماعه اباطيل السعاة ● ما هو الا ان
احل عقود املاكي هذه على طغوة الى العراق وسايلنا خراسان
واهلها وتاليتنا فراق الميلاد ● ومسأة الطارف منها والتلاد ●
فقلت انا لله وانا اليه راجعون من شيخ هذه نقيته وما
لفظ به على وجه الاستحلال ● وغيظ العجز عن املاك الرجال ●
هذا ومن فضل سماحته واساحته فيض راحته ان كل
من ساكنه في حلته على عمل ليده او مال يجتنيه كاله ما شيا جزافا
ووزنه بتذبيرا واسرافا ● استحقاقا لشهادتهم له بجوده
ويجزفه حذوا الكرام بموجوده ● حتى اذا افضى الوطر منهم
وملك بسطة الاستغنا عنهم ● تتبع عليهم ضبابات القدور
وخلالات الثغور ● وقمامات الاطراف وصواحات الاصواف ●
وجعل المطعوم في زنة الذهب المصون ● والمشروب في قيمة

تمم

الجوهر المخزون والدرهم الواحد قنطارا • وحد بثاني و او بن
الشرق قطارا • سحابة من حسنات رومته • ورسب على دمنة
جرثومته • فيصد رعنه العابل او المجاور الامل مغبونا مدة
مقامه • موضوعا في شرابه وطعامه • مفجوعا بما اقتناه عابر
ايابه • مخدوعا عن شهادة خبث صحيفة آثامه • وقد خص
على فرجيه بكلتا يديه يبارزي في عدوه السبيك وينادي
لبيك اللهم لبيك وليست هذه من آثاره • يا عجب من كون
اخباره • وسدول الاستار دون اسراره • وقصور يد الانتقام
من معقد ازراره • غيران لكل شي اعمدا • وابى الله ان يفلح
الظالم ابدا • الا ان المال يعز المذل ويحقن الدما ويجمع
الاهوا • ويدفع القضا • ويستر العوار والعورا • ولقد بالغ
ابو الفتح البستي في النصح حيث يقول • شعر
اشفق على الدرهم والعين تسلم من العيقة والدين
فقوة العين بانسانها وقوة الانسان بالعين
غيران المال متى سلب الجمال • واورث الفل والقال وبال • ولا
الدين مطلوبا • ولا الذنب مكتوبا • والانف مجدوعا • والبنان
مقطوعا فبقبح الله الاعراض متى دنست الاعراض والاموال
متى لطخت السربال • والاملاك متى اعوزت الاوراك • والحرايب
متى ابدت المعايب فاما موايد ومطاعمه فخذوها باسناد
اليكم كما انفصمت الاصابع وانشقت الكعوب القوارع
انه يغدو مع صغير العصافير على الطعمة من نواحشاه كما حشى

الدقيق

الدقيق جرابا • واثقل الرصاص كعابا • فما هو الا ان يذر
قرن الشمس على صلابات الجدران حتى كان ولا دا البقر تلحس
فواده • وكان الظليم يدعي فيه ميلاده • فيتغذى بالفوك
سنة وعادة • وبما يجانسه من عمل السوق شهوة وارادة • حتى
اذا طفح كالدلو لمن متح كف وقبض الكف على فم لا يطير داجنه
ولا يمشي دون الجذب بكاجنه • فاذا انتصف النهار او كاد •
والتحف الحربا الاتحاد • دعا بطعام اليوم وهو المتكلف وما
بقيم رسمه التصلف فاحتبى من كل حلو وحامض • وامتلا من
كل بكر وفارض حتى يخشى عليه في الصفاق من الانشقاق
وفي العروق من الشوق فيظل باقي النهار يشكو امعا معوية
وخلا خابية خاوية • حتى اذا اجنحت للاصيل • وهم الطفل على
الليل بالتطفيل • اعيد عليه الطبايخ والغروف وحشر اليه
القراطف والقروف ثم يوتي لمبيته بلفايف كالاضابير
مطوية • والطوامير مختومة ومحشية • وربما تعار بعض ساعات
الليل فينادي بالجوع • ويلاقي الطهارة بالقنوع • فيحاش عليه
عجالة الوقت من مستودعات البسابيق • ومطحنات الطيور في
الغرانيق • فيتجدد عليهما من غير قيام • ويتسحر منهما لغير صيام
طعام لا يشركه فيه غير الملايك حاضرة • والكواكب من
محاجر الظلما ناصرة • فما الارض وهي الغاية في النقام في
والالتهام وهو النهاية في الاستفاف والارتشاف بابلغ منه
لولا فنا آزاده • ولا با جوع لولا قضا نفاده • ومن نادر ابزه في

وقف

المعاقرة انه يكتب ضمنا في التنقل من الصبوح الى الغبوق
والتردد بين الفجور والفسوق فان نشط للتنزه تبوا مقاعد
الاكتاف كما تعود مقاعد الاحقاف فهادى بين اثنين حرصا
في جلدة شيطان وجيفة في سورة انعوان قد نجم بينهما
بنوح العمل للرماك بل صنيع الذاهبين بالضحاك وربما بقى
في التمارض سنة او اكثر شفقا من تكلف الخدمة لولي النعمة
وتجشم المسير الى باب الوزير فيوسوا على الغلالما لا وعلو
وجوه الاطبا واصحاب الانبا فوقها خفافا وبدا اثقالا
وليس هذا الاحتيال باعجب من اكتسابه الزمانة على انتاج
الطباع وشموس النفس دون الاصغا اليها فضلا عن القرار عليها
فسبحان من خلق النفوس اطوارا وجعل من الهمم انجادا واغوارا
هذه من اعيان مساوي هذا الفاضل العاطل ولو سردت
امثالها لطال الكلام وعال الابرام ووراها من دقايق
الظلم المذموم والدغل المكتوم وثقل الحنو والذل
المتلوك بلعاب اللوم ما يربى على دقايق الابراج واجزاء
جواهر الامشاج والصغاير على الاحرار كباير كما زغب الشعور
على الايتام غداير ولقد احسن ابن المعتز حيث يقول
خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى
ومما اقتضى التنبيه على معاير المذكور ومعايبه والعلى عن
شمط عقايصه وذوايبه مقابلته صنايعي في عهده ايام آل
سامان وبعدها في حق قضيته وعهد رعيته وعيب طويته

وسيّر

وسيّر اخفيته وشغل كفيته وبرّ اوليته بان كاشفني المودة
جمعتني وولدي المعتبط ابا المظفر رحمة الله عليه بعداوة
لم يرح لعظيم سيلها صفاة ولا لبهيم ليلها قضاة وذلك لانّ
شمس الكفاة قد بنى لمجاورته وتمنى لي جرا بمعاشرته
مكافاة على خدمة دولة السلطان يمين الدولة وامين الملة
باليميني في شرح اخباره ومدح مقاماته في عديده وانصا ر
فما زال ينبرى اليه عن نميمة كقطار ديمة ووقيعة
كسراب بقيعة على علقي دون ما ينصبه لي من شرك في هجة
من مخترك تموبها له اني لحقه كافر وعن فرض محبته نافر
والى مرموق بعين الكفاة في استحقاق صدر الوزارة مايل
وفي شعب الاختصاص به والانقطاع اليه سايل اكذوبة
لم يخلق الله لها راسا ولا ذنبا ولم يضرب لها وتدا ولا طنبا
ودمنة لم يهتد دمنة لتسوير حوافرها ومضغوف كلاها
واباهرها حتى هاجه كالليث مو نورا والبحر مجرجا مضرورا زا
فكم كدحت حتى استنزلته عن حرانه وشماسه وجهدت حتى
بخوت منه راسا براس كطفقت انشد وقد فارقته سالما
اذا نحن ابنا سالمين بانفس كرام رجت امر الخائب رجاؤها
فانفسنا خير الغنيمة انها توب وفيها ماوها وحياؤها
واغرى بي بدر الملك بن شمسه يمين الدولة وامين الملة
في عظيمة لولا ان الهمه الله الاناة واشعره الحصاة فقر ونقب
واستشف اعطاف البلاغ فعل من جرب ودرب لثارت

على منه داهية لا تبقى ولا تذر • ولا استطارت عليه عاقبة
يقتني عليها الشعر والبشر • فمن الله تعالى بان فضح الفاجح
بما زور • وكسف وجهه وكور • واهواه فيما حفره وخفقه
بقوى ما صغره • وسخم وجهه بنور الافتعال • وكشف عورته
لفحول الرجال • وجعله عبرة للغابرين بشرح هذه الاحوال •
فمن قرا هذه الفصول فليحمد الله على السلامة من مثلها والبراة
من فوادح الاوزار وفوادح الشار نهما • وليعلم ان الاساة
تعقب على الايام عيبا ثقيلا • وعيبا وبيلا • وخطبا جليلا • ولسانا
كالحسام صقيلا • وقبح الله من نقص عمره على زيادة الاثام •
ومساة الانام وجبارة الملام • ويرحم الله عبدا قال امينا

وهذا تم الكتاب والحمد لله الملك الوهاب
وصلى الله على سيدنا محمد واله و
صحبه وسلم وكان
الفراغ من كتبه
في اثناء
سنة تسع والف على يد العبد الفقير المعترف
بالذنب والتقصير محمد بن علي عفا الله له و
لوالديه وجميع المسلمين امين



